الرسائل القصيرة

للأب صفرونيوس

رسائل الأب صفرونيوس القصيرة

اسم الكتاب : رسائل الأب صفرونيوس القصيرة
المؤلف :من رسائل القديس صفرونيوس
الناشر :جذور للنشر – ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
المطبعة :جي سي سنتر ١٤ ش محمود حافظ – ميدان سفير – مصر الجديدة
الطبعة :الأولى نوفمبر ٢٠١٨
رقم الإيداع :

فهرس المحتويات

رسائل وكتابات الأب صفرونيوس، والثقافة الكنسية المعاصرة ٥
ردٌّ على سؤال أحد الآباء الكهنة عن كتابات الأب صفرونيوس ٨
عتاب للإخوة الذين يتهمونني باطلاً ١٢

الرسائل القصيرة

لماذا مُسِحَ الربُ يسوع بالروح القُدس في نهر الأردن؟ ١٧
معمودية الرب يسوع في الأردُن ٢٣
نعمة البنوة ٢٧
المولود من الله لا يخطئ ٣٣
الصومُ حسب بشارة الإنجيل ٣٧
الصوم الذي صَامَه الربُّ يَسوع، وهو في الجسد ٤٣
الانقطاع عن الطعام هو تدبير الزمان الحاضر حسب نعمة الإيمان، ورجاء الحياة في الدهر الآتي ٥١
صومُ العقلِ ٦١
الإفراز والتمييز ٧٥
البِرُّ الذاتي وأفكارُ الدنسِ ٨١
الشّكوكُ والإيمان الحي ٨٥
الطريق الملوكي ٩٥
المعنى الحِسِّي والمعنى الروحي للأقوال الإلهية ٩٩
روحُ الفضولِ الباطلِ ١٠٥
علاجُ الكآبة ١٠٧
لسانُ السوء ١١١

الأمانة في القليل ١١٥
البتولية الحقيقية ١١٩
الصلاةُ الحَسَنة ١٢٥
الذبيحةُ العقلية ١٢٩
العلية والجلجثة والقيامة ١٣٥
حول موت الرب المحيي على الصليب المُكرَّم ١٤٧
شركتنا في آلام الرب وقيامته هي شركة حياة ١٥٧
الإفخارستيا، جسد المسيح الحي القائم من بين الأموات ١٦٧
الإفخارستيا جسد المسيح الواحد ١٧٣
توزيع جسد الرب وكأس عهده الجديد، واتحادنا بالرب ١٨١
اتحاد اللاهوت بالناسوت قاعدة الخلاص الأبدي ١٨٩
اتحادُنا بالمسيح؛ لأن المسيحَ يسوع واحدٌ من اثنينِ ١٩٧

تقديم
رسائل وكتابات الأب صفرونيوس،
والثقافة الكنسية المعاصرة[1]

من أجل التاريخ وحده، لست مِن الذين يكتبون بأسماء مستعارة، ولا أختفي خلف السابقين من آباء الكنيسة. ثقافتنا المعاصرة تحتاج إلى جرعات كبيرة من الأرثوذكسية:

أولاً: يجب أن نتذكر دائماً أن ما يصلنا من كتابات ودراسات هو صحيح إذا كان التعليم صحيحاً بغض النظر عن اسم أو أسماء المؤلف أو المؤلفين.

ثانياً: انتشر التشيُّع في عهد الأنبا شنودة الثالث بحيث وقع البعض تحت تأثير حملات الشك والخوف من كتابات الأب متى المسكين، وأصبح مجرد وجود اسم الأب متى المسكين كافياً لرفض ما يُنشر.

هذا تصرف أهل الشيع والأحزاب.

علينا أن نضع تحت بصرنا أن ما يُنشر إمَّا أن يكون أرثوذكسياً؛ لأنه يتفق مع ما لدينا من مرجعية أرثوذكسية، وهي ما سُلِّم إلينا من الآباء الرسل ومعلمي الإيمان وما هو مدون في الأسفار المقدسة ومحفوظ لنا في صلوات الكنيسة الجامعة: القبطية، والسريانية، واليونانية، والأرمينية، لأن التراث الليتورجي واحد في كل هذه الكنائس رغم اختلاف اللغة. وإمَّا أن يكون غير أرثوذكسي؛ لأنه يتعارض مع التسليم الكنسي، أو يهدم عقيدة من عقائد الكنيسة.

كتابات الأب صفرونيوس:

هذه قصة ألم. جاء شخص لزيارتي في القاهرة عندما كنت أسكن في حي

(١) رد من الدكتور جورج حبيب بباوي على اتهامه بأنه هو كاتب رسائل الأب صفرونيوس، وقد نُشِرَ هذا الرد في ١٩ سبتمبر ٢٠١١ على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

الدقي ومعه "مقطف" مملوء بالمخطوطات قال إنه ورثها عن أبيه، وعرضها للبيع بمبلغ ٢٥٠ جنيهاً، ولم يكن لديَّ المبلغ، ولكنه قَبِل في النهاية ١٥٠ جنيهاً. حدث هذا في الصوم الأربعيني سنة ١٩٧٤ وفي أحد السامرية على ما أذكر. كانت هذه المجموعة من المخطوطات تتألف من:

١- خولاجي قبطي — ربما من القرن الـ ١٤

٢- التسبحة السنوية قبطي — من القرن العاشر.

٣- رسائل الأب صفرونيوس، بما فيها كتاب الثالوث موزَّع على جزئين، والمسيح محب البشر مئة مقالة، وغيرها من الرسائل.

تمت ترجمة الرسائل والكتب بمساعدة الرجل العظيم نيافة الأنبا مكسيموس أسقف القليوبية المتنيح، وقد كنَّا نتبادل الزيارات لإنجاز هذه الترجمة، وكان نيافته فرحاً ومذهولاً بها. وظلت الكتب عندي حتى عام ١٩٨٠ إلى أن أخذها المتنيح الأنبا مكسيموس وكان قد قال لي إن هذه المخطوطات "وقف"، وتجلب عليَّ اللعنة.

بعد ذلك جاءت عواصف ١٩٨٠-١٩٨١. وانشغل الأنبا مكسيموس لأن الرئيس السادات عيَّنه عضواً في اللجنة البابوية.

وكان الأنبا شنودة الثالث قد طلب من جابي حبيب إنهاء عملي في مجلس كنائس الشرق الأوسط، وقال عبارة نقلها لي واحد من مساعديه: "أنا هخليه يقف يشحت على أبواب الكنائس". كان قد فصلني من العمل في الإكليريكية القسم النهاري والمسائي دون أسباب، سوى الادعاء بأنني قلت إنه "سياسي غبي"، في حين أن العبارة وردت على لسان أحد مذيعي الإذاعة البريطانية.

كنت دائماً في موضع صعب بسبب بعض المواقف السياسية التي لم تكن محل اتفاق بيننا، إضافةً إلى رفضي الهجوم على الأب متى المسكين والأنبا غريغوريوس ومركز الآباء .. وطلبت من الأنبا شنودة تحديد التهمة وهو ما عجز عنه .. سافرت للعمل في إنجلترا حتى لا أصبح "شحاذاً"، ولم أعد إلى القاهرة إلاَّ مرةً واحدة عام ١٩٨٨.

وكان الأنبا مكسيموس قد انتقل إلى السماء.

أقول للأخوة والأخوات: لو أنني مؤلف هذه الرسائل والكتب، لَوَجَب على الكل أن يشهد لي بأنني لاهوتي في ذات مستوى الآباء الكبار أثناسيوس وكيرلس وذهبي الفم وغيرهم.

إن كل ما أرجوه هو أن تموت روح التشيع أمام الصدق مع النفس، وتعلُّم "الإفراز" وأن يُغلَق هذا الحوار "الفج" الذي لا داعِ له.

لقد نشرت كتاب "القديس أثناسيوس الرسولي في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي" أثناء احتدام حملة الكراهية التي قادها الأنبا بيشوي في سنة ١٩٨٤ –غفر الله له، فقد كان أحد الذين غرسوا "التشيع"– ولم أضع عليه اسماً مستعاراً.

فيا مَن لديك "حِسٌّ روحي"، هل تعجبك كتابات الأب صفرونيوس؟ هل ترى فيها صفاء الأرثوذكسية ونقائها؟ لما لا تحذف الاسم "صفرونيوس"، واسم الناشر، وتقرأ "بروح التمييز" لعلك تجد فيها تعليماً أرثوذكسياً يفوق تعليم العصر الوسيط الذي يكاد يخنق الكنيسة؟

هذه كلمتي الأخيرة: المخطوطات ليست عندي، ومحاولة الخروج بها من مطار القاهرة كانت كفيلة بأن أعاقب بالسجن، وهي الآن عهدة عند رجل عظيم هو الآن في السماء وسوف تظهر في يوم من الأيام. الله يرحمنا

جورج حبيب بباوي

١٩ سبتمبر ٢٠١١

ردٌّ على سؤال أحد الآباء الكهنة
عن كتابات الأب صفرونيوس

جناب الأب الفاضل[1]

سلام ومحبة في الرب يسوع الذي دعاك لخدمة عرش مجده الإلهي المذبح السمائي الذي مُسحت لتخدمه بقوة ونعمة الرب يسوع وبعمل الروح القدس.

بقدر ما أتعزَّى بما يكتبه الأخوة والأخوات ويُنشر على موقع الدراسات القبطية، فإن مع التعزية يأتي الألم، بل والحزن أيضاً.

لنكن في لهيب محبة الحق وتحت إرشاد روح الحق. ولنسأل هل ما يُنشر حتى ولو كان باسم القديس اثناسيوس هو صحيح؟ وما هو معيار الصحة والحق لدينا في الكنيسة؟

الجواب الأرثوذكسي الصادق، هو أننا نعرف التسليم الرسولي، وهو مدون في تراثٍ سُلِّم لنا في الصلوات، وهي (الصلوات) خلاصة وجوهر الأسفار الإلهية. كما سُلِّم إلينا في شرح الآباء وما سُلِّم إلينا من تعليم النساك الأنبا أنطونيوس وباخوميوس ويوحنا الدرجي واسحق السرياني والقمص مينا المتوحد والقمص متى المسكين والأب فليمون المقاري، بل أضيف القمص ميخائيل إبراهيم.

ما هو شنيع حقاً هو روح "التشيع". والشيع هي كل ما هو مضاد للأرثوذكسية؛ لأن الشيع تجتمع حول شخص ولا تجتمع حول التسليم. وقد خلق الأنبا شنودة الثالث شيعة كبيرة، ربما بدون قصد، كما يتشيع الكثير من الأحباء للقمص متى المسكين لأن الدفاع عنه جعلهم شيعة لا تبحث في الأصول الآبائية لما كتبه الأب متى المسكين. إن معيار صحة ما كتبه الأب متى المسكين ليس هو الأب متى

(١) رد – لم يُنشَر– على أحد الآباء الكهنة ظن أن الدكتور جورج بباوي هو كاتب رسائل الأب صفرونيوس. وقد أُرسل إليه في أواخر شهر أغسطس ٢٠١٢.

المسكين، ولا سيرته الذاتية الفاضلة، ولا ما عُرف عنه من فضائل، بل تتأسس صحة ما نُشر على مدى اتفاقه مع التسليم، وهذا قرارٌ يجب أن يكون واضحاً في ضمائرنا مع كل الآباء كيرلس الكبير وذهبي الفم والباقين.

حتى التعليم لا علاقة له باسم الشخص، ولا معرفتنا بحياته؛ لأن صحة التعليم هي في صحة التسليم الرسولي. وما يذكره أي إنسان يأخذ مكانته لما فيه من حق مُعلن في الأسفار وتشهد له الصلوات..

إنني في دهشة. لا أجد لديَّ إلَّا أن أُذكِّرك بأن هؤلاء الآباء مينا المتوحد — فليمون المقاري، وغيرهما عاشوا في عصر واحد، وكانت لهم روح واحدة، بل أحياناً ذات الكلمات يعرفها الذين طرحوا عليهما الأسئلة، وعاشوا مع هؤلاء، أما أن تظن أنني غير أمين فيما نشرت، فدعني أسألك: فيم عدم الأمانة؟ هل في سرقة أو ضياع هذه المخطوطة من نيافة الأنبا مكسيموس؟ أم في أن ما نُشر في كتاب الثالوث توحيد وشركة وحياة هو ضد التعليم المسيحي الأرثوذكسي؟

أرجو أن تغيب سحابة التشيع عن الكنيسة لأن قوة وصدق ما يُنشر، له معيار واحد صحيح مكوَّن من طبقات كثيرة:

أولاً: شهادة الأسفار.

ثانياً: الممارسة الكنسية.

ثالثاً: صلوات الكنيسة.

رابعاً: شرح الآباء.

خامساً: ما نتذوقه نحن من فرح الاكتشاف والاستنارة، وتشهد له ضمائرنا؛ لأن لمسات الروح القدس، روح الحق هي فينا، وأرجو أن تراجع حياة الأنبا انطونيوس وهو يشرح الفرق الكبير بين صوت الشيطان وصوت الملائكة، الرؤيا السماوية والرؤيا الكاذبة (حياة القديس انطونيوس فقرات ٢٥ — ٤٣).

وهذا اختبار في الإفراز: يقول الأنبا أنطونيوس إن الشيطان يستخدم الخوف "إن الشياطين يخيفون الناس بما سيُعذبون به" (ص ٤١ ترجمة الأب ميشيل نجم،

إصدار رهبنة دير مار جرجس الحرف بلبنان). غير أن نفس هذه الفكرة تظهر عند فرويد مؤسِّس علم النفس في كتابه تفسير الأحلام. حسب الإفراز، لا يوجد سوى خط واحد، وهو أن روح الحق ينطق في كل زمان ومكان من أجل تعليم الإنسان. وفرويد لم يقرأ حياة أنطونيوس. بل أدعوك لمراجعة كتاب (طبقات الصوفية) لأبي عبد الرحمن السلمي – تحقيق نور الدين شريبة – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٨٦، وستجد فيه بعض تعليم نساك الكنيسة؛ لأن النفس، أي نفس تبحث عن الحق تجده مهما كانت تربية ونشأة هذه النفس؛ لأن اللوغوس *Logos* هو النور الذي ينير لكل إنسان آتٍ الى العالم.

لقد طلبت من الأب متى المسكين أن يكتب لنا كتاباً عن الإفراز، وربما وجدنا فيما تركه شيئاً، ولكن لم يصلنا شيء عن الإفراز سوى كتاب القديس ديادوخس أسقف فوتيكي – تعريب دير مار جرجس الحرف ١٩٩٢ وكذلك شذرات موزعة في كتابات النساك. بل لدينا حسب تراثنا القبطي ٢١ رسالة للقديس أنطونيوس، بينما لم يصل الغرب إلَّا ثمانية فقط، ولذلك وبسبب ضياع الأصل القبطي لا يعترف الغرب إلاَّ بهذه الثمانية. هذه نكتة سخيفة جداً؛ لأن الإفراز يشرح لنا أن فيها روح أنطونيوس.

والأخوة في مركز دراسات الآباء يقولون نقلاً عن أساتذة الغرب إن المقالة الرابعة للقديس أثناسيوس ضد الأريوسيين ليست من قلم أثناسيوس. هذه أحد سخافات الغرب، لذلك وبحسب معلوماتي، لم تترجم إلى العربية في الوقت الذي حرصت فيه حركة الترجمة في جامعة أوكسفورد ١٨٨٩ على أن تنشر المقالة الرابعة[1].

حتى متى يا أبي الفاضل سوف نحكم على ما يُنشر على أساس أن المرجعية هي اسم المؤلف ومكانته؟ ولو تمسكنا بالأسماء وحدها لوصلنا الى أدنى درجات الجهل، ولذلك نحن لا نريد أن ندرس ما كتبه مكسيموس المعترف لأنه جاء بعد ٤٥١، هذا بالرغم من أن رهبان الإسقيط قبلوا يوحنا الدرجي واسحق السرياني وهما بعد ٤٥١ لأن ما ورد عند هؤلاء هو تعليم صحيح، رغم أنهما لم يكن لهما شركة مع كنيستنا.

(١) قام الدكتور وهيب قزمان بترجمة هذه المقالة ونُشرت ضمن سلسلة نصوص الآباء التي ينشرها المركز تحت رقم ٥٥، مايو ٢٠٠١.

ويبقى السؤال: هل أنا كاتب هذه السطور باسم الأب صفرونيوس؟

والجواب بكل أمانة: لا بكل تأكيد.

إنني أتعزى بهذا الاتهام، فهو بالرغم مما يحمله من تجريح، يرفعني إلى نفس مكانة الآباء!

ولعلك لو راجعت كتاب "الثالوث توحيد وشركة وحياة" للأب صفرونيوس، تجد أنه أفضل بكثير من كتاب الكنوز للقديس كيرلس السكندري، ولكنه أقل بكثير من كتاب القديس كيرلس نفسه "حوار عن الثالوث".

لقد شرب القمص مينا المتوحد من مار اسحق، وكذلك الأب فليمون المقاري، ولكن رهبان العصر الحديث من خريجي الجامعات لا يعرفون شيئاً عن تقوى الجيل الذي سبقهم من رهبان جاءوا من صعيد ودلتا النيل. أسمع الكثير عن بعض رهبان دير أنبا أنطونيوس ودير الأنبا بولا مثل أبونا فانوس وغيره، وهؤلاء يحتقرهم الجامعيون.

هذه مصيبة كبرى؛ لأن من يصعد على جبل المعرفة يسقط من فوقه، ولكن مَن في مثابرةٍ، يتسلق جبل المحبة، تُوهَب له المعرفة. لقد وضعنا المعرفة قبل المحبة وضاع منا الطريق؛ لأن المعرفة تحدد المحبة، أمَّا المحبة فهي لا تحدد المعرفة، بل توسِّع مجال المعرفة وتجعلها نقية

Knowledge denies love but love enlarge knowledge and even make it pure.

يجب تسليم الحق من روح الحق، أي روح يسوع الروح القدس (الرجاء مراجعة العظة رقم ٥ من عظات القديس مقاريوس المصري).

مع محبتي واحترامي وطلب بركة صلواتكم.

د. جورج حبيب بباوي

عتاب للإخوة الذين يتهمونني باطلاً[1]

لم أكن يوماً من الأيام من الجبناء الذين يأخذون من الأسماء اللامعة ستراً حامياً يستترون خلفه:

الأب صفرونيوس

كانت مجموعة من مجلدين، تُرجِمَت بالاشتراك مع العالم الكبير المتنيح الأنبا مكسميوس مطران القليوبية، ولأن المجلد الثاني كان يشتمل على دلال المزامير، وهو كتاب قبطي قديم يُستخدَم في السحر، احتفظ نيافته بالمجلدين، ولم أكن أتوجس خيفةً منه؛ لأنه كان راهباً أميناً بالحق. ثم جاءت زوابع ١٩٨٠ — ١٩٨١ وسافرتُ إلى لبنان، ومنها إلى انجلترا –وكان نيافته مايزال حياً– ومعي الترجمات العربية فقط التي نُشِر أغلبها. أعتقد أنني من الشجاعة بحيث أقول هذا الكلام، وأي ادعاء غير ذلك هو محض خيال وبطلان.

الأب فليمون المقاري

كان أعظم من عرفت من رهبان الإسقيط، تصنَّع العبط والجهل لكي يهرب من اهتمام الناس به بعد أن شُفِيَ من البواسير بمعجزة لل ٤٩ شهيداً. وعند حضور مجموعة وادي الريان بقيادة العظيم القمص متى المسكين إلى دير القديس أنبا مقار، انزوى بعيداً عن الأنظار ولازم قلايته. لديَّ ثلاثة مجلدات تشتمل على حوارات معه عن أمور خاصة بالطقس والعقيدة والكتاب المقدس. كان يحفظ العهد الجديد كله، ويحفظ رسائل القديس بولس، فكيف صدَّق الرهبان أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة؟

أقول لقد نجح هذا الرجل العظيم في تصنُّع العبط والجهل حتى صدَّق البعض أنه هكذا.

---

(١) كلمة نُشِرت على موقع الدراسات القبطية بتاريخ ١٧ مارس ٢٠١٤.

قصاصة ورق بخط يد أبونا فليمون لم تنشر من قبل.

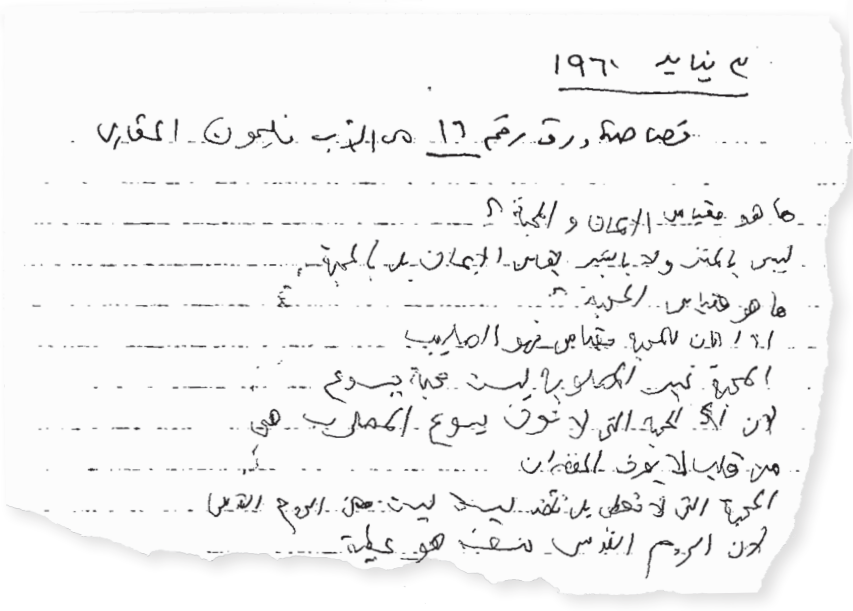

٣ يناير ١٩٦٠

قصاصة ورق رقم ١٦ من الأب فليمون المقاري

ما هو مقياس الإيمان و المحبة ؟
ليس بالمعرفة ولا بالتعبير قياس الإيمان بل بالمحبة
ما هو مقياس المحبة ؟
إنه الآن للمسيح مقياس هو الصليب
المحبة بدون المصلوب ليست محبة يسوع
لأن المحبة التي لا تعرف يسوع المصلوب هي
من قلب لا يعرف الغفران
المحبة التي لا تعطي بل تأخذ ليست هي من الروح القدس
لأن الروح القدس يعطي هو عطية

٨ يناير ١٩٦٠ قصاصة رقم ٢

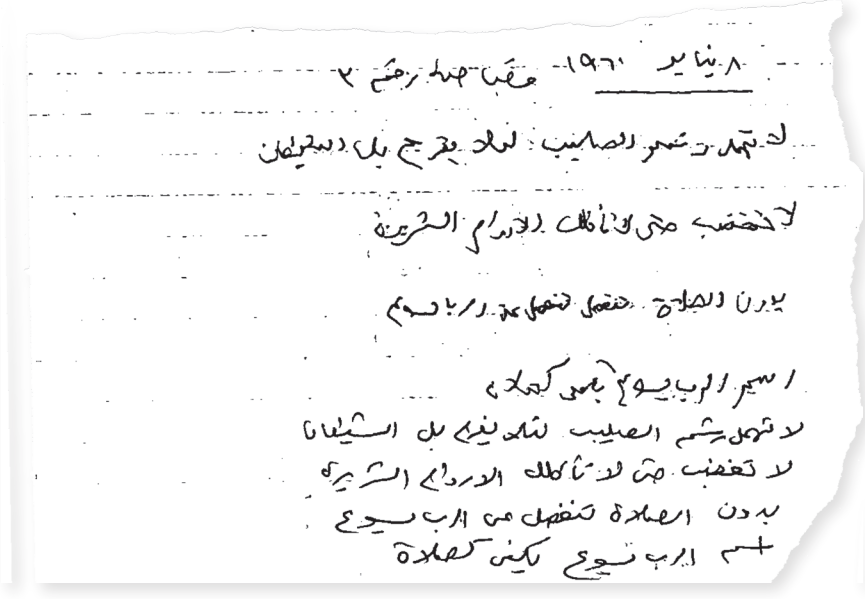

لا تهمل رشم الصليب لئلا يفرح بك الشيطان

لا تغضب حتى لا تأكلك الأورام الشريرة

بدون الصلاة تنفصل تنفصل عن الرب يسوع

اسم الرب يسوع يكفي كصلاة
لا تهمل رشم الصليب لئلا يفرح بك الشيطان
لا تغضب حتى لا تأكلك الأورام الشريرة
بدون الصلاة تنفصل من الرب يسوع
اسم الرب يسوع يكفي كصلاة

البابا كيرلس السادس

عشت معه ثلاث سنوات، أيام كان القمص مينا المتوحِّد، وكأن أب اعترافي حتى يوم إعلان رسامته بطريركاً، وهو الذي قال لي بعد ذلك إنه لن يسمع اعترافات بعد، وأن عليَّ أن أتوجَّه إلى القمص ميخائيل إبراهيم، وقال لي: ''ده أحسن مني''.

كتبتُ ما سمعت، ومَن يعترض على ما كتبت، عليه أن يتذكر متى ولِدَ وأين عاش، وما إذا كان قد تقابل مع قداسته. أمَّا عن التعليم، فهو صاحب عبارة مشهورة سمعناها منه: "من كثرة المواعظ قلت المواعظ". كان التعليم عنده بالمثال، وربما لازال الشهود على هذه الحادثة أحياء، فقد جاء المتنيح الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف في يوم أحد ليخدم مع البابا كيرلس، وكنت أخدم معه شماساً، فقال قداسته للأنبا أثناسيوس: "يا ابني قل لنا كلمة تعليم". وألقى الأنبا أثناسيوس عظة نارية عن التوبة، وبعد العظة قال له قداسة البابا عندما دخل إلى الهيكل: "يا ابني مين قال لك إن دول خطاه. دول فيهم ناس أحسن مني ومنك. وهو اللي عاوز يوعظ موش يقول البشارة، ولَّا يخوِّف الناس؟" ونُهِت المطران وصمت.

كان يتكلم على قدر احتمال كل شخص، والكلام الكثير كان يعني عنده انعدام نعمة الإفراز، أي نعمة الروح القدس، وهو كان يعرف خفايا قلوب من كان يتقابل معه. فعندما كان ضابط مباحث أمن الدولة منصور حلمي، والذي كان يعرفه كل من كان لهم نشاط كنسي، يزور قداسة البابا، كان قداسته يقول له: "أنت جاي عشان كذا وكذا، عن فلان وعن فلان"، فكان الضابط يخاف، وقد ينكر هذا إذا كان ما يزال على قيد الحياة.

الذين عاشوا معه عرفوه، والذين طلبوا إرشاده كشف لهم طريق الحياة، أمَّا ثرثرة الذين لم يعرفوه كمطران دمياط –الذي لم يكن قد حصل على الثانوية العامة وقت أن كان البابا كيرلس بطريركاً– والذي اعتراض على قرار المجمع المقدس بإعلان قداسته بقالةِ إنه كان يمارس السحر، فليست إلَّا ترديداً لكذبة كانت تقال عن القمص مينا المتوحد الذي كان ينسخ بيده أقوال مار اسحق السرياني ويعطيها للبعض للمنفعة.

أعود فأُذكِّر القارئ الكريم بكلمات الحكمة التي كثيراً ما كان يرددها البابا كيرلس السادس:

"اسمع – فَكِّر، ثم تكلم. ولا تنقل كلاماً لست أنت شاهداً عليه؛ لأن ذلك نقلٌ للشائعات، وهو عمل الشيطان".

غفر الله لنا جميعاً

دكتور

جورج حبيب بباوي

لماذا مُسِحَ الربُ يسوع بالروح القدس في نهر الأردن؟

عظة للأب صفرونيوس

ذكصولوجية للثالوث[1]

١- لنمجد الذي لأجلنا تواضَعَ وصار في هيئة إنسان. الأزليُ الحي القادر على كل الأشياء وضابط الكل. الكلمةُ الذي وَهَبَ النطقَ لكل إنسان، والابنُ الوحيد خالق كل الكائنات بقوته لمسرة الآب وفرح الروح القدس.

٢- الآبُ الأزلي أرسل ابنه إلى العالم في شكل تواضعنا؛ لكي يرفع تراب الأرض إلى عرش اللاهوت. أخذ الناسوت من والدة الإله. صار بالتجسّد كواحدٍ منا. وسكن بالناسوت فينا، أي في طبعنا.

٣- اليوم نراه عند مياه الأردن. خالقُ المياه نزل إليها. اعتمد من الصابغ؛ لكي يقدِّس المياه لميلاد الخليقة الجديدة.

كان يصلي لكي يأتي الروح القدس الذي تغرَّب عنه آدم الأول (لوقا ٣: ٢١)، وتغرَّب عن آدم بسبب ظلام فكره. اليوم يدعوه الرب يسوع باسم البشرية.

تعالوا أيها الأخوة لنسمع السر الجديد الفائق:

الواحد مع الروح القدس، ومع الآب يقبل مسحة الروح لأجلنا.

بميلاده صالحنا الوحيدُ مع السمائيين.

واليوم يُصالح الروح القدس مع إنساننا الجديد، الذي يتكون من أجل الميراث السماوي.

٤- قبلَ تجسُّده كنَّا غرباءَ عن السماء، الموطن الأبدي. وبعد تجسُّده، وفي معموديته شَقَّ السماء ليأتي الروح القدس؛ لكي يسكن فينا.

٥- لنمجد الثالوث الواحد:
الآب الذي أرسل ابنه نعمةً وخلاصاً للعالم.

(١) تبدأ هذه العظة بالذكصولوجية.

والابن الذي اعتمد لأجلنا لكي يمَسح إنساننا الجديد.

والروح الذي قبلناه في الابن إلى الأبد.

المجد للثالوث الواحد غير المنقسم إلهنا القوي الأزلي.

عظة الأب صفرونيوس

١- أيها الأحباء، إنَّ عيد الظهور الإلهي هو أحد أركان الخلاص؛ لأننا اليوم نسمع البشارة بالحياة. لقد جاء الابنُ إلينا، أي جاء لكي يتجسَّد، وبتجسُّده صار كواحدٍ منَّا ومعنا، حاملاً ومتَّحداً بالطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله القديسة مريم.

٢- قبل تجسُّده كان انفصال البشرية عن الله هو علة الموت. كُنَّا غرباء عن الحياة الإلهية، وكانت غربتنا أبدية، لكن صلاح الآب جعله يرسل ابنه إلينا.

كان في العالم، والعالم كوّن به (يوحنا ١: ١٠)، ولكنه جاء إلى الطبيعة الآدمية لكي يغلق هوةَ الانفصال إلى الأبد.

التجسُّد أساس الشركة في الحياة الإلهية:

٣- عندما تجسَّد ابن الله، صارت إنسانيتنا فيه، وكائنة إلى الأبد في أقنومه الإلهي. صارت معه واحداً بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

٤- حَفِظَ الناسوتُ متحداً بلاهوته؛ لكي يحفظ لنا سر الثبات فيه، ويؤسِّس إنسانيتنا على أساس جديد هو أساس الاتحاد.

٥- اليومُ نسمع بشارة الحياة، فلنُسرع إلى الأردن، إلى قوة التبني التي أخذناها في سر الحميم الجديد؛ لكي ننال مع الابن قوة نداء الآب، حيث يقول لكل واحد منَّا: "أنت ابني الحبيب"؛ لأنَّ ابني الوحيد قد جاء بالخراف الضالة إلى حظيرة الشركة.

معمودية الرب في الأردن:

٦- لنقف عند قُدس الأقداس الحقيقي والأبدي، أي ربنا يسوع المسيح. ولنسمع في صمتٍ هذا السر الفائق:

الآن تدخل إنسانيتنا بواسطة "الوسيط" إلى شركة أخرى مع الثالوث. لقد نالت إنسانيتنا شركة الاتحاد بالابن الوحيد، ولكنها الآن تُمسح فيه بالروح القدس؛ لكي تنال شركة أخرى، وماذا أدعوها؟

هي شركة في الروح؛ لكي يمسح الروح القدس من الداخل ومن الخارج جوهر إنسانيتنا: من الداخل للتبني، ومن الخارج للقيامة وعدم الفساد. من الداخل؛ لكي يكون لنا شركة مع الابن والآب، ولكي يرفع شفاعة القوة والمجد بالأنين الذي لا يُنطق به (رو ٨: ٣٥). ومن الخارج؛ لكي ننال ذات النور الإلهي الذي لناسوت الرب.

٧- اليوم ننال شركةً في يسوع لكي نُصبح "مسيحيِّين"، أي ممسوحين بالروح القدس. ننال مسحة يسوع لكي نكون شركاء في الاسم، وشركاء في جوهر إنسانيةٍ جديدةٍ، وفي شكلٍ جديدٍ هو مجدُ التبني[1].

لماذا مُسح الرب يسوع في الأردُن؟

٨- نحن لا نعثر في هرطقات الشيطان، ولا نسمع تعاليم المخالفين.

لقد مُسح الرب يسوع لأجلنا. وصار هو قدس الأقداس الحقيقي الذي فيه يُعلن الآبُ مسرته.

لقد مُسح الرب يسوع لأجلنا. هو لا يحتاج الروح القدس؛ لأنه كإله وأقنوم مع الروح القدس في جوهر واحد، ولكنه لا يؤسِّس شركة الحياة دون أنْ يعلنها شركةً جديدةً.

---

(١) راجع صلاة خضوع للآب قبل التناول في القداس الكيرلسي: ''لكي نتناول بطهارة من هذه الأسرار، ونتطهر كلنا كاملين في أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، إذ نصير شركاء في الجسد، وشركاء في الشكل، وشركاء في خلافة مسيحك''.

وهكذا، عند مياه الأردن أعلن قبوله للروح القدس؛ لكي ندرك أننا فيه نقبل الروح القدس.

٩- وعندما مُسح بالروح القدس، نقل الابنُ إنسانيته المتَّحدة بلاهوته إلى شركةٍ مُعلَنةٍ في الروح القدس، وبذلك تمَّت ثلاثة إعلانات إلهية كاملة:

* أعلن لنا أنَّ عطية الروح القدس للتبني ستكون فيه وباسمه ولأجله كوسيط ورأس الإنسانية الجديدة.

* أعلن لنا العلاقة الحميمة الأبدية بين البشر والروح القدس.

لقد حلَّ الروح على الابن المتجسَّد؛ لكي لا يفارق الإنسانية المؤمنة بيسوع كرب. ولذلك، يشهد الروح القدس لأرواحنا أننا أبناء الله، ويصرخ في قلوبنا ذات صراخ الابن الوحيد المتجسِّد والمندهش من محبة الآب: "أبَّا أيها الآب" (غلا ٤: ٤).

* أعلن سر المعمودية المقدسة التي بها صرنا أبناء الله، والتي تُعطى باسمه كوسيط؛ لكي ندخل شركة الثالوث في يسوع المسيح.

١٠- مُسح الربُّ في الأردن بالروح القدس لكي يُدخِل الروح خدمة الخلاص، أي خلاص الإنسانية. ولذلك لم يؤجِّل الرب مسحته، بل جعلها تسبق تقدمة الصليب وقربان محبته؛ لكي يشترك الروح القدس في المناداة بالبشارة في المعجزات، وفي طرد الأرواح النجسة، وفي إعلان أنَّ "يسوع هو ربٌّ لمجد الله الآب" (فيلبي ٢: ١١).

عيد الظهور الإلهي تجديدٌ لنعمة المعمودية:

١١- أيها الأحباء إننا اليوم نقترب من تقديس المياه لا لكي ننال فقط مياهاً مقدسةً تطهِّر كل مَن يحتاج للتطهير، بل لكي نفهم أيضاً قوة الإعلان الإلهي العظيم:

اليوم ينقل الروح قوة التقديس إلى عناصر الكون؛ لأنه عندما قدَّس الابنُ المياهَ، قدَّس كل العناصر التي تنال حياةً من المياه، ونقل قوة اتحاده بالناسوت إلى هذه العناصر؛ لكي تعود من جديد إلى شركة مع الآب في انتظار انعتاق الخليقة من الفساد.

لقد جمعَ الربُّ في ناسوته كل عناصر الكون الجديد الذي سنحيا فيه، وحرَّر كل هذه العناصر من عبودية الفساد، وأعلن مجدها بقيامته. ولذلك، عندما نزل إلى المياه واعتمد من يوحنا الصابغ وبعد خروجه من المياه، حلَّ عليه الروح القدس معلناً بذلك أنَّ الخليقة الجديدة قد بدأت تدخل عصر الروح القدس وتؤهَّل للانعتاق في يوم الدينونة.

لنسمع هذه البشارة المجيدة، ونفرح بالحياة الجديدة، ونبارك الرب الذي عَتَقَ أجسادنا من الفساد، وأباد الموت وأغلق فم الهاوية.

استعلان الكون الجديد:

١٢- بالمعمودية المقدسة ندخل السماويات في انتظار يوم الدينونة الذي فيه نرى كل الهبات كاملة: هبة القيامة وهبة الملكوت الأبدي.

هذه الهبات تُستعلَن الآن في أسرار الكنيسة المقدسة؛ لأننا نأكل "خبز الله" (يوحنا ٦: ٣٣)، ونشرب كأس الملكوت، كأس الرب، دمه الكريم، وكأس عهد محبته الذي لا ينتهي، ونُمسح بمسحة الملوك ... وبالصلاة والتمجيد نشترك مع القديسين في ملكوت ربنا يسوع المسيح حتى ننال الملء.

هكذا يُستعلَن الكونُ الجديد كبذرةٍ صغيرةٍ في صلواتنا وفي أسرار الكنيسة إلى أنْ نراها كاملةً في يوم مجد ربنا يسوع المسيح[1] .

(١) هكذا يبدو أن هذا النص هو عظة، لا رسالة. والخاتمة في آخر الورقة من المخطوطة، وهي بنفس الخط ولون الحبر.

معمودية الرب يسوع في الأُردن

صفرونيوس الذي يشتركُ معكم في ذات نعمة ربنا يسوع المسيح، يرسل السلام والمحبة للأخوة الذين لهم شركةً معنا في ميراث الله الآب الذي خُتِمَ بدم العهد الجديد.

فرحٌ روحيٌ أبديٌ في الرب يسوع مَلِك الكل.

عيد الغطاس:

١- تعلمون أنه -حسب ترتيب الكنيسة المقدسة- سوف نحتفل بعيد "الثيؤفانيا" (الظهور الإلهي) بعد احتفالنا بعيد تجسُّد ابن الله الكلمة. عيدٌ عظيمٌ ظَهَرَ فيه الثالوث القدوس مبشِّراً إيانا بالتبني؛ لأن ابن الله نزل في مياه الأردُن لكي يعتمد، وسمِعَ صوت الآب ينادي: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت". وهو نداءُ الآب لنا في يسوع ابنه الوحيد رب المجد؛ لأننا فيه نلنا البنوةَ شركةً أبديةً أُعطيت لنا حسب إعلان الأنبياء، وحسب ظهور ابن الله نفسه؛ لأن الابن الأزلي لله الآب ظَهَرَ عند الأردُن، وبه سمعنا نداء الآب لنا. الذي فيه، أي في يسوع نأتي إلى بنوةٍ ليست من دمٍ ولحمٍ، ولا بإرادة جسدٍ، ولا بأية وسيلةٍ مخلوقةٍ، بل من الله الآب (يوحنا ١: ١٣ - ١٤).

٢- وعند الأردُن سمعنا أيضاً حفيفَ أجنحةِ الروح القدس الذي كان يرفُّ على وجه المياه مزمعاً أنْ يأتي إلينا في زمان التجديد (تك ١: ١ - ٣). لأنَّ روح يسوع كان يرفُّ على وجه المياه في زمن الخليقة الأولى، ولكنه الآن يحلُّ ويستريح فينا مُعلِناً لنا الابن (١كو ١٣: ٣). ومنه، أي من الابن يأخذ؛ لكي يعطي لنا (يو ١٦: ٢٦)؛ لأنه أخذ جسده من الروح القدس عندما حُبِلَ به. ومن الروح القدس نأخذ نحن جسده ودمه، عندما نأتي إلى السر الفائق العظيم، سر الشكر السمائي.

٣- لقد مُسحنا في يسوع، وصارت لنا منه وفيه مَسحةً مقدسةً، هي ذات المسحة التي أخذها حسب شهادة الرسول يوحنا "أمَّا أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء" (راجع يوحنا الأولى ٢: ٢٠).

لنأتِ إلى هذا العيد بذات تقوى وقداسة الآباء الذين سلَّمونا الإيمان. ولنسلك

معهم ذات طريق يسوع المسيح رب المجد؛ لأننا سوف نُقدِّس مياه العيد، **مُعلناً لنا الرب يسوع، أنه باتحاد أُقنومه الإلهي بنا، أي بالناسوت، صار كل ما هو أرضي مؤهَّلاً للتقديس؛ لأن الربَ قدَّس الناسوت بالاتحاد به؛ لكي يفتح باب التقديس لكل الخليقة المنظورة، ويعيدها –حسب استعلان نعمته– إلى مجدها الأول الذي تدنَّس بالسقوط.**

٤– **لنرشم ذواتنا باسم الثالوث القدوس؛ لأن الصليب هو خَتم المعمودية والميرون، وهو ختم التقديس الذي به رُفِعَ حكمُ الموتِ، وأُعلنت الحياة، وبه فاضت نعمة الخلود على المؤمنين مُعلناً الربُ لنا أنه به بدأ زمان التجديد، ذلك الزمان الجديد الذي لا تغرب شمسُه**؛ لأنه زمان الملكوت، أو حسب تعبير الرسول "ملء الزمان" (غلاطية ٤: ٤). لأن الربَ ملأ كل الكائنات التي فوق في السماء، والتي على الأرض بنور الحياة.

٥– وعند تقديس المياه، ليكن لنا ذات الإيمان الذي للآباء الرسل؛ لأنهم عاينوا مجده عند المياه عندما حوَّل المياه خمراً في عرس قانا الجليل (يوحنا: ٢). وعندما سار عليها مُعلناً قوته، كما أخضع أمواج البحيرة وجذب السمك إلى شبكة بطرس، وعاتب رسوله عند المياه (مت ١٤: ٣١).

لذلك يا أحبائي، لتكن لنا المياه المقدسة علامةً ونعمةً على إيماننا بالرب الذي دعانا إلى نعمة المعمودية بالماء والروح وأعطانا علامة التطهير في اسم الروح القدس، مياه الحياة التي وَعَدَنا بها (يوحنا ٧: ٢٧).

٦– عند كل اغتسال ليكن عندنا ثاؤريا القديسين، **وأن نستعد داخلياً وبعزمٍ متألِّهٍ، وهو إرادة الرب نفسه وإرادتنا نحن**، أن نطلب مع كل استخدام للمياه أنْ ننال التطهير والشفاء من الروح القدس المعزِّي الرب المحيي المشتاق لأن يعطي لنا الغفران والحياة.

٧– إنه زمان افتقاد الرب لنا، **وهو سبب ترتيب الأعياد؛ لأننا لا نحتفل بمناسبات مثل غير المؤمنين والأمم، بل نحتفل بافتقاد النعمة**، أي نعمة الظهور الإلهي؛ لأن الربَ أعلن لنا ذاته لكي نشترك في حياته.

٨- بالثالوث القدوس نحيا: نأخذ الوجودَ من الآب، والتبني من الابن، والحياةَ من الروح القدس. عملٌ واحدٌ، ونعمةٌ واحدةٌ، وشركةٌ واحدةٌ من الآب الأصل والينبوع، بالابن المعلِن لنا النعمة في الروح القدس[1]، مياه الينبوع التي بها نُولد، ومنها نشرب؛ لأن أجسادنا تغتسل بمياه المعمودية وتتقدَّس مع أرواحنا. يمسح الله أجسادنا من الخارج بالمسحة الإلهية؛ لكي يسكن فينا روح الآب بالابن واهباً لنا حياةً جديدةً.

٩- أيها الأخوة الأحباء، لنُعيِّد بالصوم حسب ترتيب الكنيسة، ونستعد بطهارة القلب لكي ننال -في افتقاد النعمة الإلهية- شركةً أعمق، واستنارةً أكثر، ونتقدَّس مثل عروسٍ تستعد لدخول الخِدر السماوي؛ لأن العريس يدعونا من عند المياه مؤكِّداً لنا إرادته في أن يغسل نفوسنا وأجسادنا لكي نبقى دائماً هياكل روحه القدوس.

١٠- صلوا لأجلنا لكي نبقى دائماً في الشركة بلا بُغضة وبلا تعب الانقسام، بل تعب المحبة المصلوبة لكي ننال مجد يسوع المسيح، ونستقر معه في أحضان الآب.

الآباء والأخوة يرسلون تحية المحبة في الرب يسوع.

صفرونيوس عبد يسوع المسيح يؤكِّد محبته الأبدية لكم.

(تُرجم عن القبطية ١٩٨١م)

(١) راجع ذات التسليم عند القديس أثناسيوس الرسولي في رسائله عن الروح القدس إلى سرابيون، حيث يقول: "لأن الكتاب الإلهي قد أعطانا ... أن نتكلم بدون التعرض لخطر الضلال، وأن نفكر بطريقة مشروعة، وأن نؤمن بقداسة واحدة مُستَمدَّة من الآب بالابن في الروح القدس" (١: ٢٠).

نعمة البنوة

١- النعمة والتقديس صارا بيسوع المسيح إلهنا، الذي أعطانا خلاصاً عظيماً لا يمكن تقديره (تقدير اتساعه)؛ لأنه "ليس بكيلٍ يعطي اللهُ الروحَ"، لئلا تصبح النعمة الإلهية مقداراً يُقاس ويُوزَن، وهي ليست من الطبائع المخلوقة. يريد الله أن يخلِّص الكل وأن يؤمن الكل باسم ابنه الوحيد، ولكن قساوة طبع الإنسان تجعل الله يتمهل على كل إنسان لكي يعود إليه، وإذا رَجَعَ، فإنه يجتذبه بالعذوبة وبحلاوة المحبة، لعله يتجرَّد من قساوة الطبع ويتقدَّس بنعمة الروح القدس.

٢- ما أكثر العطايا التي يشتاق الله لأنْ يعطينا إياها، ولكن ما أقل العطايا التي نأخذها. انظروا كيف وهَبَنَا البنوةَ، ومعها ميراث ابنه الأبدي، فكيف نأخذ شركتنا في البنوة دون أن نأخذ معها ما يجعلنا فعلاً أبناء الله؟ لقد صرنا بالحق مقدَّسين في طاعة ربنا يسوع المسيح، الذي لم يكن له احتياج لأنْ يُقدِّم طاعةً نقيةً للآب، ولكنه قدَّم هذه الطاعة، أي حياته قرباناً مقبولاً؛ لكي يؤسِّس لنا عودةً من موت العصيان إلى حياة الحق.

٣- لننظر إلى أنفسنا لئلا بعد أن قُدِّمَ لنا، بسعةٍ، أن ندخل ملكوت الله، نجد أنفسنا في النهاية وقد طُرحنا خارج الملكوت مع الزناة والقتلة وكل الذين لا يخافون الله، ولا عرفوه البتة.

٤- إن الذي يعطِّل عمل الله فينا هو الأهواء التي غرستها الخطية فينا. والله ينظر إلى هذه الأمراض جميعها مثل طبيبٍ حكيم جداً، فيعطينا أن تتوقف هذه الأهواء لكي نذوق محبته، ونرى في حلاوتها ما يؤهِّلنا لأنْ نبتعد عنها. وتضعف أهواء الخطية بسبب القوة التي تغرسها محبة الله. وليس هذا هو الشفاء، إنما هو الترياق الذي يوقِف مفعول السُّم، ومع ذلك لا يعطي الحياةَ الصحيحةَ التي بلا أمراض.

٥- وبعد ذلك يَهِب لنا الطبيبُ الحكيم والإلهي أن نموت مع ابنه، فهذا هو الدواء الوحيد الذي يعيد إلينا الحياة، ويجعلنا قادرين على أن نعود إلى الصحة. فالموت مع ابنه الوحيد هو الذي يخلع الشر الكامن في داخلنا؛ لأن الله لا يعطي نعمةً للنفس التي لا تريد أن تموت، ليس عن بُخلٍ، وإنما لئلا تأخذ نعمة الحياة

الجديدة وتحولها إلى حياةٍ فاسدةٍ، ويتم فينا الحكم الإلهي الرهيب: "إن كان النور الذي فيكم قد صار ظلاماً، فالظلام كم يكون رهيباً".

طوبى لمن يقبل الصليب في جسده وروحه كقوةِ شفاءٍ؛ لأنه بالصليب وحده، ينال القوة الجديدة، أي القيامة.

٦- كثيرون جرَّبوا طريق ربنا يسوع المسيح وتركوه بعد زمن؛ لأنهم جرَّبوا أن يسلكوا بقلبين، ولذلك لم يجدوا فيه ربحاً؛ لأن المخلص قال: "لا تقدروا أن تخدموا الله والمال"، ولما فشلوا في التجارة في الحياة الجديدة، انتقلوا إلى سلعة الموت، وباعوا أنفسهم في سبيل الحصول عليها، فصاروا مثل الذي بنى البرج ولم يكمِّل، ونال هُزءَ العابرين في الطريق.

٧- الذي له قلبٌ منقَسِمٌ لا يأخذ شيئاً؛ لأن القلب المنقَسِم مثل "موج البحر" لا يستقر في مكان ولا يتحرك في اتجاهٍ واضحٍ. وهكذا، إن لم نهدأ ونستقر، لا نأخذ نعمةً من الله، وإنما نظل مثل الأجنة عديمة الكمال والتي تُولَد قبل أن تكتمل وتموت على الفور، أو تحيا بصعوبةٍ ومشقةٍ.

٨- لأجل ذلك، علينا أن ندرك أننا نحن أنفسنا الذين لا نقبل الدواء، ونصرخ أحياناً في وجه الطبيب الرحيم بأن الدواء مُرٌّ وصعبٌ علينا أن نشربه، فلا نتذمر إن جاء وقت المطر ولم نستفِد شيئاً؛ لأننا لم نضع البذار الصحيحة في مكانها. وما هي البذار الحقيقية سوى التخلي التام عن الذات وعن القِنيةِ وعن الأهواء، لكي نقتني حياةً أفضل، ليست مبنيةً على رمال هذا العالم الزائل، الذي يتمخض بأوجاع كثيرة، إلى أن يُولد الجديد، ومتى وُلد، صارت كلُّ اختيارات البشر الزائفة قبضَ ريحٍ وخيالاتٍ طائشةٍ؛ لأن الذين شيَّدوا حياتهم على الرمال، متى جاءت سيولُ الموتِ وبلايا الحياة الحاضرة، جَرَفَت كل آمالهم، وجعلتهم يكتشفون أن فساد الحياة التي اقتنوها، يكمن في أن أساسها لم يكن هو الله.

٩- عندما سقط الإنسان الأول، جَرَفَه الشَّرُّ إلى أمورٍ غير حقيقية، أي ليست من الله ولا تنتمي إلى الخليقة التي خلقها الله. فقد تصوَّر الإنسان أنه قادرٌ على أن يكون مِثل الله بقدراته وليس بالنعمة، وبإرادته المنفردة وليس بالشركة، وهي اتفاق

المحبة بين الله، الذي من عِظَمِ صلاحه لم يَضِن بالوجود على أحدٍ، بل أتى بالكل من العدم، وقَسَمَ لكل كائنٍ مقداراً من العطايا، فوهبَ للحيوانات والنباتات أن تُخلق على النحو الذي يجعل الإنسان سيداً عليها، وربَّاً نال سلطان التسلط عليها. أمَّا الإنسان الذي خُلِقَ على صورة الله ومثاله، فإنه كان يرى ذاته في الله، ويدركها من خلال الشركة مع الخالق، لكنه عندما لم يستحسن أن يبقى كما خلقه الله، وتعدَّى حدود طبيعته؛ سقطَ وطُرِدَ من الفردوس، وصار الموتُ ينشئُ فيه أهواءَ كثيرةً تجعله يتشبَّثُ بالبقاء وبالحياة الباطلة التي اخترعها لنفسه.

١٠- لأجل ذلك كله، جاء الطبيب الحقيقي بدواء جحد الذات، والتخلِّي عن الحياة الفاسدة التي خلقها الإنسانُ لنفسه، ليس حسب الصورة الإلهية الحق، بل حسب صورة الإنسان الميتة التي سادت عليها الأهواء. وقد نادى مخلصنا الصالح قائلاً: **إن كان أحدٌ يريد أن يصير لي تلميذاً، فليجحد ذاته ويتبعني، ومَن لا يجحد ذاته، لا يقدر أن يكون لي تلميذاً. وكان ربنا يسوع يعني بهذا أنه لا يقدر أن يكون ابناً لله؛ لأن ابن الله الوحيد، جاء لكي يُتلمِذ الإنسانية ويعلِّمها كيف تعود إلى مرتبة البنوة**. وكطبيبٍ حقيقيٍّ أراد أن يحدد مرض الإنسان الأصلي، وهو أن الحياة الحقيقية تأتي من الله، وليس من الإنسان. فالفرق بين الحياة التي يهبها الله، أنها حسب الصورة والمثال، وأمَّا الحياة التي صنعها الإنسان لذاته، فهي ليست حسب الصورة والمثال، وإنما حسب ما تخيَّله الإنسانُ لذاته، وحسب ما تخيَّله عن نفسه، وهو ما ليس له كيان أو وجود. وهكذا نرى أن هبة الحياة التي وهبها الله للإنسان لم تعُد كما كانت، حسب الصورة، بل أخذها الإنسان وجعلها عكس ذلك، وهو ما جعل الشركة بينه وبين الله غير ممكنة. وعندما رفض الإنسانُ أن يحيا حسب الصورة، فقد رفض الاعتماد على الخالق، وأنكر عليه قوته المطلقة، وصار يفتخر بسلطانه على الكائنات الدنيا التي خُلِقَت لمنفعته وخدمته. أمَّا الله، فقد تركه لذاته، ولم يعد يعطيه ما يؤهِّله للشركة، أي الروح القدس؛ لأن الاستنارة التي يعطيها الروح القدس، هي وحدها التي تؤهِّل الإنسان لأن يعرف الله، ويحيا حسب الصورة.

١١- كان الله يسكن في الإنسان قبل السقوط، وحلَّ فيه مانحاً إياه -كخالقٍ- حياةً إلهيةً تبعده عن الفساد والموت؛ لأن الابتعاد عن الله يعني انحلال الطبيعة

المخلوقة التي لا تستطيع أن تعيش بدون الصلاح الإلهي الذي يسمح للخليقة بالبقاء؛ لأن الرسول وهو يعلم وَهم الإنسانية الساقطة، قال عن سلطان الله والخاص بجوهره: "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته"، وأيضاً: "لأن قدرته الفائقة تُرى ببقاء المخلوقات" (رومية ١: ٢٠)، لأن الله الكلي الصلاح لم يترك خليقته؛ لأنه لو فعل ذلك، لعادت فوراً وبدون أي إبطاء إلى العدم، لكنه استمر يرعاها عالِماً أنه سوف يجدِّدُها.

١٢- فأيُّ أُناسٍ يجب أن نكون نحن الذين أدركتنا نعمة الله الصالحة؟ لأنه إن كان الله قد أشفق علينا ودعانا إلى تلمذة البنوة، ووهبنا شركةً صالحةً في خيرات أُلوهيته في ابنه الوحيد، فكيف نصرف العمر في اقتناء الفانيات؟ وكيف نجمع أباطيل وخيالات الحياة الزائفة البعيدة عن الله، ونجعلها الكنز الذي تعتمد عليه حياتنا؛ لأن الرب الطبيب الحقيقي قال: "حيث يكون كنزك، فهناك يكون قلبك"؟ ولأن الإنسان مخلوقٌ، فهو لا يحيا في فراغ، وإنما كمخلوقٍ، يتلقى إمَّا العطايا الإلهية، أو ما يتصوره قلبه؛ فعلينا ألا نسعى إلى سيِّدٍ آخر سوى الله، لئلا يداهمنا الموت، ونخلع الجسد، ونقف عراةً من المجد الإلهي، ولا نجد سوى أوراق التين البالية التي لا تقوى على البقاء.

١٣- لنخلع أعمال الظلمة، أي الابتعاد عن الله، ونلبس أسلحة النور التي تقاوم الفناء. لنكن صاحين؛ لأن الصحوة هي التي تجعلنا قادرين على التوبة. وإن كان كل ما لا يأتي من الله لا يدوم، فأيُّ عذابٍ نتوقَّعه لأنفسنا، إذا وجدنا ذواتنا فارغين لم نقتنِ الأمانة، ولا يسكن فينا الروح القدس، وأننا نتكالب على المقتنيات ظانين أن فيها حياةً، وهي ليست سوى مصنوعاتٍ تَبيد إن تخلَّت عنها النعمة الإلهية الصالحة.

١٤- لنقتنِ الاعتماد التام على الله، حتى وإن هيَّأ لنا دواءً مُراً، فالله الصالح لا يعطينا سوى الصالحات. وجحدُ الذاتِ صعبٌ إذا حاولناه بدون محبة الله، ورأيناه وحده دون تأمل الحياة الجديدة التي يهبها الربُّ لنا بصلاحه الفائق.

١٥- ومتى بدأت النفس تتخلى عن حياتها القديمة، في الفكر والحديث،

وبدأت في التعامل مع الإخوة بروح الصبر والاحتمال، وليس بروح الكبرياء والغرور وفرض الهوى (الرأي) على الآخرين، فإن حُسن وجمال الحياة الجديدة يجعلنا نسرع بالسير في الطريق الضيق، ونراه وقد صار سهلاً طبقاً لقول الرب: "احملوا نيري عليكم، لأن نيري هين وحملي خفيف" وعند ذلك يُشرق الربُّ علينا، ويرى كلَّ شيءٍ، فإذ هو حسنٌ جداً.

المولود من اللّه لا يخطئ

١- صفرونيوس إلى الإخوة في البرية، سلامٌ في الرب مصدر كل شيء، والذي بدونه لا سلام لنا حتى مع أنفسنا، فكم بالحري مع اخوتنا.

الجدلُ الكثير يزعج المبتدئين، ومع أنه قد يُفيد البعض، إلَّا أن أضراره أكثر من فوائده. أما الذين تدرَّبوا على حياة الفضيلة والعبادة الحسنة، فهم بالتأمل والاختبار، يدركون الكثير من الأسرار، ومتى نموا في حياة التأمل وهدأت الأوجاع الداخلية، امتلك الإدراكُ عندهم قدرةً على فهم أسرار الله، وقويت جذور الحياة الجديدة، ونما فيهم زرع الله.

٢- أردت أن أكتب لكم عن معنى ذلك النص السِّري الجميل المملوء بالمعاني الفائقة، وهو القول الإنجيلي: "المولود من الله لا يخطئ". ومع أن ضمائرنا تشهد علينا من آنٍ لآخر أننا لسنا بلا خطية، كما قال الإنجيلي نفسه الذي كتب نفس الكلمات السابقة بوحي الروح القدس: "إن قلنا إننا بلا خطية نضل أنفسنا وهذا ليس الحق الذي فينا"، أي أننا نعثر من آنٍ لآخر، ونعترف بهذه العثرات للشيوخ لكي ننال الشفاء. ثم أن الإنجيلي نفسه يقول: "كتبت لكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحدٌ، فلنا شفيعٌ عند الآب هو يسوع المسيح البار الذي صار كفارةً". ولأن المعنى السِّري غير ظاهر، أردت أن أضع أمام محبتكم ما سمعته وما استلمته من الشيوخ الذين عاشوا حياة العبادة الحسنة. لقد سلَّمنا هؤلاء أن المعنى الظاهر لهذه الكلمات: "المولود من الله لا يخطئ"، **أي لا يفقد إيمانه بالدينونة الآتية، فهو كابنٍ لله، لا يمكنه أن يقع في هذا الخطأ الذي يقع فيه الهراطقة، وهو إنكار القيامة والدينونة.**

٣- كلُّ مَن يخطئ يموت، والخطية ليست من الإيمان، والإيمان يشهد أن ابن الله أدان الخطية، وأن الذي بلا إيمان، إنما يقع تحت حكم الدينونة.

ومَن هو المولود من الله إلَّا الذي يؤمن بأن يسوع هو المسيح الذي جاء وتجسَّد، وهو جوهر رسالة الإنجيلي يوحنا الذي نرى فيه هذه الكلمات الفائقة، والتي لا يجب أن نعزلها عن الرسالة، لأننا متى عزلناها، أخطأنا في فهمها.

لقد أنكر الهراطقةُ القيامة، وأنكر الآخرون الدينونة، إذ حَسِبوا أن الجسدَ لا يقوم من التراب، ولا ينهض في اليوم الأخير. وكلُّ هذه تعاليم مضادة ضد تجسد ربنا يسوع المسيح، وضد قيامته أيضاً. **ولذلك، المولود من الله لا يخطئ؛ لأنه يعرف أن الابن تجسَّد، وأن الدينونة هي على ثمار أعمال المحبة. ومن جهة هذا الأمر بالذات، لا يخطئ المولود من الله، لأن القيامة والدينونة آتية.**

٤- والمولود من الله لا يخطئ **بمعنى أنه لا يسقط في خطية الارتداد؛** لأنه يعلم أن مصدر كل شيء، إنما هو الآب السماوي، وأنه بالإيمان به يُولَد منه في ابنه يسوع المسيح وبالروح القدس. فهو لا يخطئ في معرفة الآب السماوي، ولا يخطئ في معرفة أنه بدون محبة الله لن يرث ملكوت السموات.

٥- ومِن المولودين من الله الذين لم يخطئوا فيما ذكرناه من معاني محددة: أغناطيوس وبوليكاربوس وغيرهم من الشهداء الظافرين، فالشهداء لم يحسبوا أن العالم يستحق شيئاً، لأنهم مولودين من الآب وأسلموا أجسادهم بدون تردد للسباع والنار وصنوف العذاب الأخرى.

٦- ونحن نُولد مثل الشهداء، من الله عندما نرفض العالم. والمولود من الله حقاً يثبُت، ومهما اشتدت الحرب عليه لا يرتد ولا يفقد بنوَّته، ولو ظل يصارع حتى آخر نَفَس، فهو مجاهدٌ، وتعينه ولادتُه من الله على الثبات في الجهاد؛ لأنه بدونها يهلك. وكلُّ مَن يحفظ نفسه يثبُت ليس بالكلام، وإنما بالحياة التي تتأمل في أقوال الله الحية في الأسفار الإلهية، فهي صوت الدينونة الذي يحكم على العالم ومفاسده.

٧- فهل لا نخطئ بالمرة؟ لقد قال واحدٌ من الرسل الاثني عشر إننا في أشياء كثيرة نعثر جميعاً. ولكن الفرقَ بين الخطية والعثرة ظاهرٌ؛ لأن الخطية تقود إلى الموت، أمَّا العثرة فهي صادرة من الطبع الضعيف، وهي عثرةُ طفلٍ يتعلم المشي. وأولاد الله لا يخطئون ولا يرتدون عن الإيمان، وهي خطية الموت التي قِيل أن لا نطلب مغفرتها للآخرين؛ لأن الإيمان الذي يهب المغفرة هو غير كائن وبالتالي هي خطية موت. وهؤلاء المرتدُّون لا يثبتون في الآب والابن والروح القدس. أمَّا الذين لا يرتدُّون وكان فيهم ضعفٌ ظاهرٌ، فهؤلاء بكل يقين يعثرون ولكنهم يتابعون المسيرة.

٨- وقد وضعت الكنيسة الجامعة عدة قوانين معروفة للمرتدِّين، وهي قوانين أقرتها المجامع المسكونية والمكانية. **فإذا كانت هذه القوانين موضوعة للمرتدِّين من أجل عودتهم لشركة الكنيسة، فواضحٌ أن هذه القوانين تؤكد أن الذين يولدون من الله في المعمودية المقدسة يمكن أن يجحدوا الإيمان في حالات الضعف، ولكن لأنهم يرغبون في العودة، صارت رغبتهم في العودة شهادةً على أنهم مولودين من الله، ولذلك يجب تطهيرهم بالتوبة وبالاعتراف وبالنسك. أمَّا الذين لا يرغبون في العودة، فهؤلاء متى ماتوا في الارتداد أكَّدوا أنهم لم يُولدوا من الله، ولعل المثل الصادق الذي يدلُّ على هؤلاء، هو أريوس الذي كان قساً وجحد الإيمان ومات في جحوده.**

٩- والذين لا يعودون هم مثل الذي دَفَنَ الوزنةَ ولم يربح منها شيئاً. والوزنةُ هي ختم المعمودية المقدسة الذي لم يستفِد منه. ونحن نعلم أنه في زمان الاضطهاد، لَبِسَ موعوظون أكاليلَ مؤمنين ارتدُّوا، كما حدث مع شهداء سبسطية وغيرهم.

١٠- ينبغي علينا أن ندرس تاريخ الكنيسة جيداً، وحياة الآباء الذين سبقونا لكي نفهم كيف نفسِّر أقوال الله الحية تفسيراً سليماً يتفق مع التسليم الرسولي.

١١- وأمَّا نحن الذين أدركنا المعاني السابقة، فلنَخَف من الذي بعد أن اِتَّضع، سوف يجلس للدينونة، ولنطرح أنفسنا عند قدمي الرب الفادي لكي ننال الرحمة.

صلوا لأجلنا.

يصلي الأخوة لأجلكم.

سلامٌ في الآب والابن والروح القدس، إلهنا الذي وُلِدنا منه للحياة الأبدية.

الصومُ
حسب بشارة الإنجيل

سلامٌ في الرب يسوع المسيح الذي صام عنَّا لكي يُعلن لنا الصوم الحقيقي الذي يقبله الآب السماوي، وفرحٌ بالروح القدس الذي يُعلِّمنا الصوم الحقيقي بسكناهُ فينا، نحن الذين لا نستحق سُكناهُ فينا.

صفرونيوس عبد يسوع المسيح، يسأل بركة صلواتكم، ويطلب لكم بركة هذه الأيَّام المقدَّسة، لكي نُثمِر معاً للرب يسوع المسيح.

الصوم والمحبة:

١- أوَّل سُلَّم للمحبة هو جحدُ الذاتِ. وأوَّل جحدُ الذاتِ، الانقطاعُ عن الطعام مِنْ أجل الذي نُحبَّه، أي يسوع المسيح ربنا.

الانقطاعُ عن الطعام يُعلِّمُ الجسدَ كيف يُحبُ اللهَ خالقه، وكيف ينتظر باكورة الحياة الجديدة، أي القيامة مِنْ الأموات. لأنَّ الربَ يسوع صام، لكي يُعلن أنَّ الخليقةَ الجديدةَ سوف تعيش وتحيا بكلِ كلمةٍ تخرجُ مِنْ فم الآب السماوي، أي كلمة الحياة التي تُعطي لنا صوم العقل، عندما تسكن كلمة المسيح فينا بغنى، وبذلك نذوق حياة الدهر الآتي جزئياً؛ لأنَّنا عندما نأكُل مِنْ كلمة الله لا تسود علينا شهوة الأكل، وعندما نذوق "خبز الله النازل مِنْ فوق" مِنْ عند الآب، الذي يُعطي الحياةَ للعالم، أي جسد ودم ربنا يسوع المسيح طعام القيامة، نتعلَّم مِنْ تذوُّق كلمة الله، ومِنْ السر السمائي كيف نُمسك عن الطعام والشراب بمحبةٍ.

وإذا كانت الطبيعة الإنسانية تحتاج أحياناً إلى "تغصُّبٍ"، فليكن هذا مِنْ أجل الحياة الجديدة، لأنَّ قهر الإرادة بلا محبةٍ، يخلق جفافاً في القلب، ويُوَلِّدُ عجرفةً في الفكر، لأنَّنا نسلك طريق القدِّيسين، وهو محبة يسوع. وتغصُّب المحبة يُوَلِّدُ الانسحاق، وأوَّل الطريق هو المحبةُ، ونهاية الطريق هي المحبةُ، وبين البدايةِ والنهايةِ، نرى صراع الروح القدس مع نجاسات القلب.

٢- لم يأمرنا الربُّ بالصومِ، ولكنه جعل نفسه مثالاً لمنْ يُريد أنْ يسلك ذات الطريق الذي سَلَكَهُ. أوصى الذين يتبعونه بالصلاة والصوم، ولكنه أمرنا أنْ نحمِل

الصليب لكي نستحقَّهُ، ولم يطلب الصوم مع حَمل الصليب، ولا حتى الصلاة، ولكنه طلب "جحد الذاتِ"، وهي التي تُعلِّمنا الصلاة والصوم.

٣- لِنجحد ذواتنا، ونصلُب إرادتنا أولاً، ونقبل أنْ نموت مع الرب كل ساعةٍ برفض كل ما يُعطِّلنا عنه ويُؤخِّرنا عن محبته. وهكذا تبدأ أوجاع الصليب:

أولاً: لِنرفض بوداعةٍ دون غضبٍ أو عُنفٍ ما هو غير ضروري للحياة. فالصوم الحقيقي لا يبدأ برفض الطعام، بل برفض ما هو غير ضروري لكي يتحرَّر القلب.

ثانياً: أنْ يكون لنا ثقةٌ في رحمةِ وجُودِ وصلاح الآب السماوي؛ لأنَّ الصومَ لا يُقرِّبنا مِنْ الآب، بل يطرد ما هو غير ضروري. وعندما ننقطع عن الطعام، نستطيع أنْ نحيا ونُفكِّر في الحياة الجديدة التي مِنْ فوق، الحياة التي لا يتعظَّم فيها الجسدُ بقوة أعضائه، ولا تتشامخ فيها الرُّوح بما تملك. وكما قُلتُ، لم يأمرنا الربُ بالصومِ، بل تركه لحرية الاختيار، حتى -بالمحبة- نتعلَّم كيف نختار ونصوم بحرية أولاد الله، وليس بخوف العبيد.

الحياةُ القديمةُ، والصوم:

٤- عندما نتوجَّعُ بترك الحياة القديمة، ونذوق صعوبة الموت مع المسيح، يختم الروح القدسُ القلبَ بصورة المسيح المصلوب لكي يؤهِّلنا نفس الروح القدس أنْ نذوقَ آلام الصليب، وفرح القيامة.

٥- ليس الصوم قانوناً نُكمِّله بالساعات. فهذا هو سلوك العبيد، ولكنَّه وسيلةٌ لغايةٍ أعظم، وهي طلب الرب نفسه بالاعتكاف والصلاة، وعلينا أنْ نحَذر مِنْ أنْ تتحوَّل الوسيلةُ إلى غايةٍ، فنسقط في عبوديةٍ مُرَّةٍ، أو يُمسِك بنا فخ الوثنية.

الصوم حسب المُستوى الإلهي نفسه.

أوَّلاً: صوم الابن:

٦- عندما تجسَّد الابن له المجد، "صام" عن طلب المجد، وصام عن استخدام القوة، وأخلى ذاته (فيلبي ٢: ٦) مِنْ كل ما يُعطِّلُ بشارة الإنجيل.

صام الربُ روحياً قبل أنْ يصوم في البرية. صام حسب محبته للآب، ومِنْ أجل الخلاص قَبِلَ أنْ يصوم لأجلنا في البرية؛ لكي يُبطِل شهوة المجد، وشهوة القوة مِنْ الحياة الإنسانية التي أخذها مِنْ القديسة والدة الإله، والتي جاء لكي يغرسها، ويُعطيها مِنْ دمه وجسده قوام بقائها الإنساني، ومِنْ لاهوته ثباتها في البِّر والقداسة، ولذلك صام روحياً، أو إلهياً قبل أنْ يصوم في البرية.

٧- صام الربُّ عن المجدِ، فأعلن مجده مرةً واحدةً على جبل طابور، وأمام ثلاثة فقط مِنْ تلاميذه. وصام عن استخدام القوة قبل أنْ يُسلَّم للصلب، ولذلك عندما سُلِّمَ للصلب والجلد والمُحاكمة، كان صومه الروحي قد سبق موته المُحيِّي عنا. وصام عن توبيخ بطرس ويهوذا مع أنَّه كان يعرف خيانة يهوذا. ودام صومه حتى جاء إلى الجُلجُثةِ، فصام عن حفظ حياته لكي يُذبح حملاً بلا عيبٍ.

ولما صام عن كل هذا، أخذ القيامةَ مِنْ الآبِ مع أنَّه قادرٌ على أنْ يقوم بقوة لاهوته، لأنَّه أقام الموتى قبل موته المُحيِّي لأجلِّنا، ولكنه صام عن استخدام قوته؛ لكي ينال القيامة مِنْ الآبِ، ويحفظ هذه العطية للخليقة الجديدة. وعندما نال القيامةَ مِنْ الآبِ، وأقامه روح الآب، أي الروح القدس (رو ٨: ١١) كان صومه هو الذي أسَّس شركة المحبة، وأعلنه بسلوكه الإلهي؛ لكي يحفظ لنا هذا السلوك جمال الخليقة الجديدة.

صوم الابن صومٌ اختياري.

٨- كيف اقترن الصوم عن طلب المجد بالمحبة؟ تأمَّل ذاك الذي تخلى عن كل أمجاد السماويات اختيارياً، يصوم عن إرضاء ذاته بسبب محبته للآب، وبسبب الشركة. ومع أنَّ إرضاء الذاتِ هو أمرٌ لا يؤدِّي إلى الشر، أو إلى الخطية؛ لأنَّ الابنَ كاملٌ وبلا عيبٍ، ولكن إرضاء الذات لا يتفق مع الشركة، لأنَّ الشركة فيها جحدُ الذاتِ، وجحدُ الذاتِ هو ذبح الإرادة وصَلبها.

وهكذا -روحياً وأزلياً- قَبِلَ الابنُ أنْ يتجسَّدَ، فذَبَحَ -أزلياً- إرادته، ولذلك قال الرسول بطرس عن موت الرب بالجسَّد: "دمٌ كريمٌ كما مِنْ حملٍ بلا عيبٍ،

ولا دنسٍ، دمُ المسيحِ معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهِرَ في الأزمنةِ الأخيرةِ مِنْ أجلكم" (١ بطرس ١: ١٩ – ٢٠).

وحسب الحياة الإلهية للثالوث، كان تدبير الخلاص هو مشورة الثالوث الأزلية السابقة على خلق العالم، وكان جحد الابن لذاته سابقاً لتجسُّده، ولذلك تجسَّد، ولذلك أيضاً قال: "نزلتُ مِنْ السماءِ، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يوحنا ٦: ٢٨) ومَنْ يعمل مشيئةُ آخرٍ، هو روحياً، مصلوبٌ بالإرادةِ قبل أنْ يُصلب على الصليب.

٩– ويليق بنا أنْ نقول إنَّ الثالوث الواحد قَبِلَ الصليبَ، وإنَّ الصليبَ كائنٌ بالإرادة الأزلية في الابن، وحسب مسرة الآب والروح القدس.

ثانياً: صوم الروح القدس

١٠– يقول الرسول بطرس أيضاً إنَّ الروح القدس هو الذي "سبق فشهِد بآلام المسيح" (١ بطرس ١: ١١) وأكد الرسول بذلك أنَّ الروحَ القُدسَ شريكٌ يُعلِنُ آلام المسيحِ؛ لأنَّه هو روح الشهادة والنبوة الذي يعرف أعماق الآب. وهو الذي كوَّنَ ناسوت الابن في رَحِم القديسة مريم، وبذلك جاد بعطاء أساس الخليقة الجديدة، وفَرِحَ بها، وبمجيء آدم الثاني. واشترك مع الابن في جحد الذات، لأنَّه كان يعلم أنَّ التدبير يقتضي أنْ يسكن في المؤمنين إلى الأبد بعد أنْ يمَسح ناسوت الابن، ويمسح "إخوته" وإنَّه سوف يحيا فينا، ويرى نجاسات القلب، وأفكارنا الباطلة، فصُلِبَ الروحُ مع الابن، لأنَّه روح القداسةِ الذي يسكن فينا نحن الخطاة، وبذلك يصوم عن إرضاء ذاته، بل يقول الرسول: "لا تُطفئوا الرُّوح"، ويقول أيضاً إنَّه: "يشفع فينا بأنَّاتٍ لا يُنطَقُ بها" (رو ٨: ٢٦) إذ يشهد الجهل والضعف والتراخي الذي فينا .. وهكذا صام الروح القدس عن طلب إرضاء ذاته، وتخلى عن التمسُّك بإرضاء قداسته لكي يُقَدِّس الخطاة، ويُطهِّر النجسين، ويمسح الخُدَّام، ويُعطي نعمة الاستحقاق لميراث الملكوت السماوي.

ثالثاً: صوم الآب

١١- وماذا نقول عن الآب الذي رتَّبَ التدبير، وأعطى كل هذه الإعلانات، وهو ينبوع كل صلاحٍ وخيرٍ. يكفي حسب قُدرة عقولنا أنْ نقول إنَّ الابن الكائن في حضن الآب (يوحنا ١: ١٨) كان في الآب وكان الآب فيه، وكان يحمل فيه ومعه ذبح الإرادة، وجحد الذات الذي أخذه مِنْ الآب نفسه، لأنَّ الآب أيضاً قَبِلَ أنْ يُعلن ذاته بواسطة الابن وبالروح القدس، فجَحَدَ ذاته، وترَكَ إعلان ذاته للابن، كما ترَكَ الابنُ إعلان ذاته للروح، وترَكَ الروحُ إعلان ذاته للكنيسة الجامعة، وكل هذا لكي ينسكب جحدُ الذاتِ مِنْ الطبيعة الإلهية فينا بواسطة الابن والروح القدس، لكي نتعلَّم أساس الشركة مِنْ الثالوث، وأنَّ الصوم عن إرضاء الذات هو أساس الشركة.

الخاتمة:

١٢- أطلب أنا العبد الصغير بين عبيد المسيح، أنْ أصوم صوماً حقيقياً عن إرضاء ذاتي لكي بالصليب -ختم الشركة- أنْال ميراث القدِّيسين.

الصوم
الذي صامه الرب يسوع،
وهو في الجسد

رسالة القديس صفرونيوس إلى مجمع المبتدئين

لقد حان زمان الصوم المُقدَّس الذي يُشبه صوم الأربعين المقدَّسة، وهو زمان تواضع الرب وقبوله "صورة العبد". بهذه الروح، روح يسوع إلهنا، أكتب لكم هذه الرسالة القصيرة؛ لكي أنال مكافأة التعليم الرسولي، ولكي ننال معاً -بالشركة في الإيمان المقدس- ميراث ربنا يسوع المسيح.

الإيمان يسبق الصوم

١- هذا زمانٌ نتعلم فيه تواضع الله، الذي في ابنه الوحيد أظهر محبته للبشر عندما قَبِلَ تواضعنا، أي فقرنا، ونزل إلينا؛ لكي يرفعنا إلى مجده.

هنا في زمان احتفالنا بتواضع الرب، يجب أنْ يسبق الإيمان كل الأُمور؛ لأن الرسول يقول: "بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه". ونحن بالإيمان نصوم، وبالإيمان ننقطع عن الطعام، وبالإيمان ننال بركات الدهر الآتي. وبدون الإيمان يصبح صومنا مثل صوم الأُمم، أي صوماً عقيماً؛ لأن الإيمان يُرضي الرب، أمَّا الانقطاع عن الطعام، فهو لأجلنا نحن؛ لأن عدم الأكل هو ضبطٌ للفكر، ويرافق صوم العقل عن الشهوات وغرور الزمان الحاضر، أي العالم الزائل، الذي بالإيمان أدخلنا فيه زمان الصوم، لكي يحل المسيح في كل الدهور ويُقدِّس كل أيام الخليقة؛ لكي يؤهِّل الدهور إلى الدهر الجديد، أي دهر الدهور، حينما تجتمع الأزمنةُ معاً تحت رأس آدم الجديد، ربنا يسوع المسيح الذي سوف يُعلِنُ نهاية الأزمنة عندما يملأ كل الخليقة الجديدة بنعمة الشركة في بنوته، فلا تخضع الإنسانية الجديدة للفساد والشيخوخة؛ لأن الزمان انتهى كوسيط بين الله والبشر، عندما حلَّ الكلمة في أحشاء البتول وتجسَّد منها (غل ٤: ٤، ٥)، فصار الزمانُ عديمَ النفع؛ لأننا لم نعُد نحفظ السبوت، ونراقب الهلال، والقمر لكي نمارس شركتنا في الثالوث القدوس، بل بإيمانٍ بالذي تجسَّد وجمع في أُقنومه صورتنا وطبعنا وكياننا، فنزع كل وساطات الطقوس والاغتسالات والأزمنة، وصار هو الوسيط الذي حلَّ بيننا رأساً جديداً يجمع أعضاء جسده باغتسالٍ واحدٍ في المعمودية المقدَّسة، وبمِسحةٍ واحدةٍ في الميرون السمائي، وبغذاءٍ واحدٍ هو جسده ودمه المقدسين والكريمين في كل شيء.

فقد قدَّس بداية حياتنا بالمعمودية، وثبَّت فينا البنوة بالمسحة المقدسة، التي نالت الثبات فيه؛ لأنه مُسِحَ لأجلنا؛ لكي ننال فيه مِسحة البنوة، ولما أكمل تدبير الخلاص، سلَّمَنا جسده ودمه؛ لكي نحيا بهما ونصبح منه وفيه وبه.

هذه هي نعمة الله الفياضة التي ملأت الزمان كقول الرسول؛ لأن الربَّ ملأ كلَّ شيءٍ، أي أعطى لكل ما خَلَق غايته، وحقق سبب وجوده؛ لأن الزمان سار في حقباتٍ ودهورٍ إلى أنْ جاء الكلمة، فملأ كلَّ الأشياء، فتوقف طلوع القمر، وحفظ السبوت، والأعياد عن أنْ تكون مناسبات وأزمنة خلاص، وذلك لأن الوسيط واحد، وهو الرب يسوع المسيح.

٢- وعندما يسبق الإيمان كل الأشياء، وكل الممارسات؛ ولأن كل "ما هو ليس من الإيمان، فهو خطية" -وهذا تحذير لنا جميعاً- فلا نظن أننا بالصوم، أو الصلاة ننال مكانةً، أو معروفاً، أو مكافأةً، بل الصوم والصلاة يحفظنا في نعمة الله، فالبركة والتقديس عائدٌ إلينا، نابعٌ من الله، ننناله بالصلاة، ولا تعطيه الصلاة، نحفظه بالصوم كنعمةٍ من الله، وليس كمكافأةٍ.

صوم ربنا يسوع المسيح بالجسد

٣- حسناً جاء ترتيب الكنيسةِ أنْ نصومَ قبل عيد تجسُّد ربنا يسوع المسيح، كما نصوم قبل عيد القيامة؛ لأننا نستعد بالصوم لاستقبال رب المجد آتياً إلى شكل وجوهر تواضعنا، كما نستعد بالصوم للخلاص الذي أعلنه الرب على الصليب، ومن القبر عندما هدم الدينونة، وأباد سلطان القبر.

٤- نحن نصوم لتجسُّد الرب؛ لكي ندرك -روحياً- صوم الرب عن طلب المجد، كقوله: "مجداً من الناس لست أطلب". ونصوم لتجسُّد الرب الذي كان دائماً يشير إلى الآب معلناً: "الآب الحال فيَّ، هو يعمل الأعمال التي أعملها أنا"، فأكَّد بذلك إخلاء ذاته التام؛ لأنه عندما قَبِلَ "صورة العبد"، صيَّر العبدَ شريكاً في بنوته، أي الطبيعة الإنسانية الآدمية، وجعلها في شركة مجده، فرفعها من فقر الناسوت إلى مجد اللاهوت، وحفظها في صورتها الجديدة الإنسانية؛ لأنه احتفظ بنا، أي

بالطبيعة التي تخُصنا، ولم يرذلها؛ لأن غاية تدبير التجسُّد هي الخلاص، وتحرير الطبيعة الإنسانية من الفساد.

صام الربُ عن القوة، وكان صومه هو صوم المحبة، ولذلك السبب قال لتلاميذه: إنه كان يستطيع أن يرسل قوات الملائكة؛ لكي تفني شعب إسرائيل، ولكنه جاء من أجل الخراف الضالة، وجاء لكي يُخلِّص، لا لكي يُهلك.

٥- وصومُ المحبةِ ليس في الانقطاع عن الطعام، بل في الانقطاع عن إرضاء الذات دون غضبٍ، ودون رفضٍ للآخرين؛ لأن المحبة تصوم لكي تُعطي، وتبذل لكي تجود.

هكذا كان الرب يصلِّي صلاة الصائم الحقيقي الذي تجرَّد عن كل شيء، وعن استخدام إرادته الخاصة؛ لأن هذه هي كانت بداية سقوط آدم الأول. وفي صلاة الرب نرى كيف كان يخاطب الآب، كآدم الجديد معلناً طاعة محبته، ومؤكداً صومه الكامل عن البغضة والحسد؛ لأنه لم يدخل في منافسةٍ مع قيادات شعب اليهود ولم يحتقرهم، وعندما كشف عن نفاق رؤساء اليهود، فقد كان يرى في ذلك دعوةً للتوبة؛ لأن خطاياهم كانت خطايا علنية أفسدت حتى الممارسات المقدسة مثل الصوم والصلاة.

٦- وجديرٌ بنا ونحن نصوم قبل التناول من الأسرار المقدسة أنْ نقف قليلاً عند صوم الرب يسوع المسيح نفسه، ذلك الصوم الإلهي السِّري الفائق في ليلة آلامه ومجده.

لقد مجَّد الربُّ ذاته بالكمال، ولذلك السبب، وبفرح البذل الذي لا يُنطَق به قال: "شهوةً اشتهيت أن آكل معكم هذا الفصح"، فقد كان يراقبُ بفرحٍ شديدٍ تسليم جسده ودمه للتلاميذ في علية صهيون. وهكذا أسلَمَ الربُّ جسده بمحبةِ الصائم عن إرضاء الذات؛ لكي يُكمِّل -باتحاده بكل الآتينَ إليه بالإيمان، رغم خطاياهم- تدبير الخلاص عندما يُعطي جسده ودمه من أجل الاتحاد بهم. فقد قال: "إنَّ حبة الحنطة إنْ لم تقع في الأرض وتموت، تبقى وحدها"، وهو لم يشأ أنْ يكون وحده؛ لأنه لو كانت له هذه المشيئة، لَوَجَدَ أن التجسُّدَ مستحيلٌ، بل

لأن المشيئةَ هي كمال التدبير بأن يكون له فرحٌ "هاأنذا والأولاد الذين أعطانيهم"، وهو لذلك السبب "لا يستحي أن يدعونا إخوته". فلما جاء إلى الآلام الطوعية، حمَل جسده على يديه الطاهرتين، والذين لهم إخلاء الذات يدركون قوة هذا السِّر؛ لأنه صام صوماً كاملاً حتى جاء على الصليب؛ لكي يُعلِن محبته ورغبته الأزلية في الاتحاد بنا. وهكذا بذات اليدين اللتين عملتا المعجزات، وباركت الأرغفة، وفتَّحَت أعيُن العميان ... ذات اليدين تمسكان بالجسد؛ لأن الجسدَ هنا هو ذبيحةُ المحبة الإلهية التي ترضَى أن تُقدِّم كل شيء، المحبة التي صامت عن إرضاء الذات، ولذلك بواسطة اليدين يتحول الجسدُ، عقلياً[1]، وإرادياً إلى طعامٍ سماويٍّ يُعطى للخلاص من الانفصال، وللشركة، أي الشركة التي أسَّسها الربُّ في كيانه الإلهي المتجسِّد عندما أشرك ناسوته في كل مجد وغنى لاهوته، وأشرك لاهوته في تواضع وفقر الطبيعة الإنسانية.

٧- هنا حدث أمرٌ فائقٌ، فقد أخذ الناسوتُ قوةَ اللاهوت المتَّحِد به، وأخذ اللاهوتُ حركةَ وكيان الناسوت المُتَّحِد به. وأخذت اليدان الأزليتان اللتان لا صورةَ حسيةً لهما تحركان اليدين الظاهرتين المحسوستين، وتنقل إليهما الجسد والدم حسب قدرة اللاهوت؛ لكي يوزَّع سِرِّياً على التلاميذ، وتصبح العلِّية هي ينبوع كل قُداسٍ إلهيٍ. وبإرادة الرب الإلهية وَزَّعَ جسده دون أن ينقسم، فقد قال للرسل أنْ يقتسموا الخبز والخمر؛ لكي ينال كل واحد منهم ميراثه الكامل، أي المسيح، ولما وَزَّعَ الخبز والخمر أكَّد بالتوزيع رغبته وإرادته الأزلية في أن يُعطي ذاته لكل واحدٍ منَّا، عطاءً كاملاً.

٨- لقد جلس الربُّ مع تلاميذه بالجسد، ووزَّع عليهم إلهياً جسده؛ لأن الجلوس هو حركة الناسوت النابعة من إرادة الأُقنوم، والنابعة أيضاً من جسده، من إرادته الإنسانية؛ لأنه واحدٌ لا ينقسم، وإرادته واحدة من إرادتين، كما هو طبيعة واحدة من طبيعتين. هكذا نفهم أنَّ كلَّ حركةٍ لناسوتِ الربِ نابعةٌ من أُقنومه الإلهي المتَّحِدِ اتحاداً حقيقياً بالناسوت. وعندما أمسَكَ بالخبز والكأس بيديه كان أُقنومه الإلهي الواهب الحياة هو الذي يُعطي حسب قدرته الإلهية. ولما أخذ الخبز والخمر

(١) عقلياً تعني أيضاً روحياً لأن الطبع العاقل فينا هو أحد مكونات الروح الإنسانية.

كان يريد أنْ يوجِّه أنظار التلاميذ، وإدراك الكنيسة الجامعة إلى أنه ترك لنا هذين العنصرين: الخبز والخمر؛ لكي يَكونا مثالاً يؤَكِّدُ أنه هو القُوت والطعام الإلهي، وإنَّ ما تُقدِّمه الخليقة هو تقدُمة تلتقي بتقدُمةِ الرب لذاته لنا، فصار الخبز والخمر جسد الرب ودمه، دون أن يكون له عند التوزيع جسدين، جسدٌ يُوَزَّع، وجسدٌ يُؤكل، بل جسدٌ واحدٌ؛ لأنه كان يجب أنْ يكونَ منظوراً حتى يُثبِّت لنا تأسيس هذا السر العظيم.

٩- هكذا صام الرب عن المجد والقوة؛ لكي يُوَزِّع علينا جسده ودمه توزيعاً حقيقياً، فصام عن البقاء في عزلةٍ، وأعطى جسده ودمه الذين يحملان لنا صوم محبته؛ لكي بهما ننال شركةً في صومه الإلهي.

١٠- يقول الربُّ بفمه الإلهي الذي لا يكذب، بعد أنْ تذمَّر التلاميذ على كلامه عن جسده ودمه: "أهذا يعثركم. فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً. الروح هو الذي يُحيي. أمَّا الجسد فلا يفيد شيئاً" (يو ٦: ٦١ - ٦٣)، فأعلنَ بذلك أنَّ صعوده إلى السموات بقوة لاهوته، مثل تقديم جسده بقوة لاهوته في العلِّية، وعلى مذابح الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية الأُرثوذكسية، التي لها مذبحٌ واحدٌ، وهو إرادة الابن، أي إرادة تقديم ذاته طعاماً للغفران وللحياة الأبدية.

صوم الميلاد المقدَّس

١١- لِنَصُمْ بطهارةٍ وبر حسب كلمات صلواتنا المقدسة، ولِنَصُم عن كل طلب القوة، ولِنَصُم عن السُبح الكاذب، ولنخدِم بعضنا البعض بطول الأناة والمحبة مثل آبائنا الرسل القديسين.

لنستعد للعيد كل يوم، أي عيد اتحاد لاهوت الابن بالناسوت، وليكُن هذا الاستعداد دائماً (على النحو التالي):

أولاً: لنراقب أفكارنا ونياتنا الداخلية، ولنجعل قلوبنا مُتَّحِدةً بالرب بالالتصاق باسمه القدوس (صلاة يسوع).

ثانياً: لِيكُن كلُّ يوم من أيام الصوم تسبيحٌ وتمجيدٌ لمن تواضَعَ، وصار في فقر

الطبيعة الإنسانية؛ لكي نصير نحن في غِناه، وليكُن الانقطاع عن طعام الجسد هو بابٌ لدخول الانقطاع عن طلب مجد الذات. وهكذا، لِنَصُم؛ لكي نتعلم كيف نجحد ذواتنا حسب الشكل الإلهي[١] المُعلَن في تجسُّد الابن. فقد جَحَدَ الربُّ مجده، لكي يتجسد، وهذا يجعلنا نجحد ذواتنا؛ لكي نصبح حسب الشكل الإلهي الذي يُعلِن المحبة، ويمجِّد الآب دون أنْ يحتاج إلى كلمات الإهانة، وإذا أُهين لم ينتقم، بل كما قال النبي: "كان يُسلِّم لمن يحكم بالعدل"، أي الآب السماوي.

وعندما نقول نحن خطاة دون أنْ تكون أنظارنا على نعمة الله الغنية، فإننا نقع في "صِغر النفس". إنَّ التواضع الحقيقي هو في شكل المسيح الذي ترك كل شيءٍ؛ لكي ينال معنا وبنا غنى محبة الآب التي له بالطبيعة، ولكنه لم يطلبها لنفسه، بل طلبها للذين يؤمنون به.

ثالثاً: يجب أن نُميِّز عطاء الجسد والدم كصورةٍ[٢] حقيقيةٍ للبذل، وأيقونةٍ للمحبة الإلهية التي نراها بعيون قلوبنا على المذبح المقدَّس كل يوم.

١٢- لِنَصُم صوماً يؤهِّلنا أنْ نكون قربانَ الرب يسوع الذي يقدِّمه للآب. وهكذا نحتمل أتعاب المرض، والتعب، وضيق الحياة الحاضرة، وكل الإهانات من أجل الذي تجسَّد ومات وقام.

إنَّ طاعة الإخوة، وخدمتهم تكسِرُ سلطان الطبيعة الآدمية القديمة، لأننا عندما نخدم بمحبةٍ، فإننا نضع أنفسنا بالكامل تحت سلطان الوصية الإلهية، وننال معونة الروح القدس. لذلك السبب حَرِصَ الآباء على أنْ يخدم الذين يسيرون معنا طريق النُسك في المجمع؛ لكي ينالوا بخدمة الإخوة نعمة المحبة الإلهية، ونقاوة الفكر، أي البتولية الحقيقية؛ لأن الذي لا يخدم الآخرين تحوِّله العجرفةُ الداخلية دون أن يدري إلى إنسانٍ مُتسلطٍ، ويمكن أن يسقط تحت سلطان شيطان الزنا.

---

(١) الكلمة القبطية **cмот** وتعني شكل، صورة، أيقونة، مثال، وهي لا تختلف في المعنى عن الكلمة اليونانية القبطية "**морфн**" أو "*ηφρομ*"، والمقصود هنا هو صورة المسيح، أي ليكُن تواضعنا مثل تواضع المسيح الذي لم يشتم نفسه، أويهين نفسه، بل أخلى ذاته داخلياً؛ لأن الكتابات النُسكية تحذرنا من الذين يقولون أنهم خطاه، وعند ممارسة السلطة، أو لمجرد الاختلاف في الرأي يتحولون إلى وحوشٍ كاسرةٍ بسبب التواضع المزيَّف.

(٢) راجع نفس الحاشية السابقة.

١٣- أخيراً، يا فرح الرب ومجد نعمته، لِنحفظ الأحد الأول، أي بشارة زكريا وأليصابات بميلاد "ملاك العهد" يوحنا المعمدان. لنرفع أبصارنا لمن يُخرِجُ الجديدَ من القديم.

ولِنحفظ الأحد الثاني بشارة والدة الإله بميلاد المخلِّص، ونكرِّم فيه والدة الإله، ونتعلم أنَّ مدح البتول، هو مدحٌ لنعمة الله، ونلاحظ أنَّ كل ما نقوله عن سيدتنا، وفخر جنسنا، هو تعليمٌ عن نعمة الله.

ثم نحفظ الأحد الثالث، ميلاد يوحنا؛ لكي نرتِّب فكرنا لميلاد الرب بالجسد؛ لأنَّ تواضع الله لا يمكن إدراكه إلَّا من تجسُّده، ومعاينته في أقماطٍ ومذودٍ؛ لأنَّ الرب جاء إلى فقرنا.

صفرونيوس يسأل بركة صلواتكم؛ لكي ينال معكم بركة الصوم المقدس.

ليقرأ الإخوة رسالة الأب ديونيسيوس الكبير عن تدبير الصوم.

الانقطاع عن الطعام
هو تدبير الزمان الحاضر
حسب نعمة الإيمان،
ورجاء الحياة في الدهر الآتي

صفرونيوس خادم إنجيل ربنا يسوع إلى الأخوة الذين هم واحدٌ معنا في الإيمان بنعمة الله الآب التي أُعلنت في ابنه، والتي وُهِبَت لنا فيه بالروح القدس، نعمةُ الحياة الأبدية في الدهر الآتي، يوم مجد الثالوث القدوس إلهنا الواحد بالجوهر والمثلث بالأقانيم.

سلامٌ في الرب

الصوم هو تدبير الزمان الحاضر

١- نحن نعيش على رجاء حياة الدهر الآتي؛ لأننا "ننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي" حسب كلمات الروح القدس في الأمانة المقدسة[١].

هذا الرجاء هو تدبير[٢] الزمان الحاضر؛ لأننا نكفُّ أولًا عن الأحاديث، حتى النافعة والصالحة. ونصوم عن كل الأمور الحسنة مثل الجلوس مع الإخوة، ولكننا لا نصوم عن افتقاد المرضى والمتضايقين؛ لأن الطوباوي أنطونيوس ترك الوحدة لكي يعزِّي الشهداء، ولكي يقاوم تعليم الشيطان الذي نشره أريوس الذي جُنَّ بالفلسفة الباطلة، فلسفة الأمم الكاذبة وبها أنكر الإيمان المقدس.

٢- تدبير الزمان الحاضر هو كل الأعمال النسكية التي تحفظ نعمة الله فينا، ولكنها لا تؤهِّلنا لنعمة الله؛ لأننا في المسيح قد نلنا نعمة التبني، ليس بواسطة الأعمال الصالحة، بل بمحبة الله الآب وابنه الوحيد ونعمة وشركة روح التبني، روح الآب الذي وُهِب لنا في ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح.

٣- ومع أنَّ الصومَ يحفظ نعمة الله فينا، لكنه ليس مثل الإيمان، لئلا عندما لا نصوم نكون قد تركنا الإيمان[٣] وعُدنا إلى عداوة البشر لله، وتركنا المصالحة السماوية التي صالحنا بها ابن الله.

---

(١) أي قانون الإيمان.

(٢) كلمة "تدبير" كلمة لاهوتية هامة، وهي تعني خطة الخلاص كما أُعلنت في الابن بواسطة الروح القدس. وهي خطة تشمل ما يحدث في الزمان الحاضر، وهو مُعلن بالروح القدس، وما سوف يُعلن كاملاً في يوم القيامة وحياة الدهر الآتي.

(٣) نحسب أنفسنا، أو نحسب أننا تركنا الإيمان.

الإيمانُ يبقى معنا دائماً ويعمل فينا لكي نصوم بطهارةٍ وبر، أي صوماً حقيقياً تصوم فيه الروح قبل الجسد، والقلب قبل الفم. ومتى تركنا الانقطاعَ عن الطعام لا نحُسب أننا ابتعدنا عن الإيمان؛ لأننا بالانقطاع عن طعام الأرض، نأكل كلمة الله الحية التي نسمعها من الأسفار المقدسة ونتغذَّى بخبز الله (يو ٦: ٢٣)، وكأس عهده الأبدي، ونطلب نار الروح القدس التي تجعلنا لهيبَ محبةٍ إلهيةٍ، وهكذا نذوق إلى حينٍ، شكلَ الحياة الغالبة الموت، حياة القيامة وحياة الدهر الآتي.

٤- لقد تسلَّمنا من الشيوخ الذين سبقونا في الإيمان أن الحياةَ الأبديةَ نعمةٌ من الله الآب وليست مكافأة، أو أجرة عن الأعمال النُسكية.

يحفظنا النُسك في الطريق الضيق لكي لا نترك صليب ربنا يسوع المسيح، أو نبتعد عن حياة القداسة؛ لأننا إذا تركنا قانون النسك[1] نكون مثل الذين انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان؛ لأن قانون النسك هو شكل الحياة الجديدة التي تُقاطع الشهوات، وتترك الملذات وتحتقر الشهوات وترفض كل إغراءات الخطية.

ونحن نتمسَّك بهذه السيرة الحسنة؛ لأنها السيرة الوحيدة التي تحفظ لنا الحياة الجديدة التي أخذناها في سر المعمودية المقدسة وبمسحة الروح القدس وبهاء الإسكيم المقدس الملائكي.

٥- هكذا -أيها الأحباء- الصومُ هو تدبيرٌ مؤقتٌ من أجل ضيق الزمان الحاضر، وهو ممارسة مقدَّسة تجعلنا نرى -بعين الروح- الحياةَ الآتيةَ التي ليس فيها طعام أو شراب، بل فرح الروح القدس، الفرح الذي يجعل الروح القدس نفسه يصرخ في قلوبنا "أبَّا أيها الآب" (غل ٤: ٤ - ٥).

الصوم كممارسة أُرثوذكسية

٦- نحن لا ننقطع عن الطعام لأن الطعامَ نجسٌ أو شرٌّ، بل لأنه نعمة الله التي

(١) كلمة قانون في القبطية واليونانية تعني: ١- المبادئ القانونية التي توجد في مدونات القانون الكنسي. ٢- القاعدة الخاصة بالتفسير، أي التفسير الكنسي لأسفار الكتاب المقدس، وهو عكس التفسير الفردي الخاص الذي يقع فيه الهراطقة. وقاعدة التقوى هي التي نجدها في قانون الإيمان نفسه. ٣- الدفة التي تحدد اتجاه وحركة السفينة وهذا هو معنى الكلمة الذي استعمله الآب صفرونيوس.

تحفظ الجسد وتعطي له القدرة على القيام بالأعمال النسكية. هكذا من أجل أن الطعام نعمة تحفظ الجسد، وَهَبَ الله لنا طعامَ الخلود والحياة الأبدية، أي جسد الرب ودمه. وهو أيضاً، أي سر الشكر المجيد والفائق الذي يجعلنا نرى نعمة الطعام كعلامةٍ ناطقةٍ تُعلن صلاح الله وفيض محبته للبشر.

نحن لا نشترك مع الهراطقة والأمم في التجديف على الله بالادعاء بأنَّ الخليقةَ المنظورةَ من صُنع إله الشر، أو أنها سقطت من نعمة الله، أو أنها غريبة أو نجسة بعيدة عن صلاح الله؛ لأن الذين يقاومون عمل الله ليسوا منَّا ولا هم شركاء لنا في إيماننا الأرثوذكسي الذي تسلَّمناه من الآباء.

٧- أرثوذكسية الممارسة لا تسمح لنا بأن نميِّز بين أنواع الطعام لنجعل بعضها نجساً وآخر مقدساً، بل كل الأطعمة قد خُلقت من أجل منفعة الإنسان وهي -بصلاح الله- قد أُعطيت لنا، ولكننا نميِّز بين أنواع الطعام لكي نختار منها -بشكرٍ وبإيمانٍ- ما يصلح لنا وما لا يصلح حسب الاستحسان الذي نميِّزه في حياتنا النسكية وسيرتنا مع الرب يسوع.

٨- وعندما نرفض اللحوم والأطعمة الدسمة، فإننا نتركها بحرية من أجل محبتنا للصالح محُب البشر. ومن أجل صلاح الرب يسوع وموته المحيي، نترك كل ما يقوِّي فينا رغبة وشهوة الجسد، وتسلط قوته على إرادتنا ونيات قلوبنا. لأن أكل اللحوم يقوِّي الجسد ويخُضع الفكر والحس لقوة أعضاء الجسد، ويجعلنا أقوياء جسدياً معرَّضين للضعف الروحي بسبب توارد خيالات الفكر وعواطف الحياة القديمة التي تحاول أن تجعل من قوة عضلات الجسد وسرعته وحركات أعضائه وجمالها مصدرَ يقين البقاء والوجود والحياة، وهو الوهمُ القديم وحسُّ الخطية الذي يجعلنا نتصوَّر أنَّ حياتنا نابعةٌ منَّا ومن أنواع الطعام الذي نأكله؛ لأن الإعجاب بالجسد هو الذي يحرِّك الفكر نحو الكبرياء والتفاخر، ويجلب علينا أوجاع ووهم العظمة.

٩- أمَّا إذا ضعفت قوة الجسد بسبب السهر وملازمة الهذيذ في الكتب المقدسة والانقطاع عن الطعام، فإن هذا يجلب معه راحة الفكر وقوة البصر الروحي حتى أننا في هدوء القلب قبل هدوء البرية، نستطيع -بعدم الانشغال- أن نسمع

صوت الرب ينادي قلوبنا لكي تشتعل بالمحبة الإلهية وتنمو فينا نار الروح القدس الذي ينتظر –في شوقٍ إلهي جارفٍ– القلوبَ التي تتفرغ له ويحثها على هذا بأنواع كثيرة من تعزياتٍ وتجاربٍ ومرضٍ ومِحَنٍ وضيقات، لكي يعود البصر الروحي نقياً غير منشغل بالأمور التافهة الوقتية التي بلا فائدة.

١٠– لنمارس الصوم حسب التقوى الأرثوذكسية، أولاً: بالسهر والهذيذ. وثانياً: بصوم العقل الذي يبدأ بصوم اللسان وصوم المخيِّلة وصوم الإرادة؛ لأن مَن يصوم صوم البطن ولا يصوم صوم القلب قد ينال اعتدال الصحة، ولكن تبقى روحه بلا ثمر.

الانقطاعُ عن الطعام ضروري:

١١– يجب أن نكفَّ عن تناول الطعام حتى يقوَى فينا الحس الروحي، وهو أنْ نعتبر أنَّ الله هو مصدر حياتنا. وعدم تناول الطعام هو من أجل الاعتكاف والجلوس في القلاية في حضرة الرب، وتأمُّل جيش الشهداء الظافرين والآباء اللابسين الروح الناري؛ لكي تقوى فينا شجاعة الحياة الجديدة ونلتهب بمحبة المجد الآتي، أي مجد ربنا يسوع المسيح نفسه الذي أُعطي للقديسين.

١٢– لنطلب بحرارةٍ أثناء الانقطاع عن الطعام أنْ تكون فينا شهوةٌ لكلام الله المحيي الذي يغذِّي أرواحنا بالرجاء وبالإيمان الذي يقوِّي الهذيذ. وإذا قال النبي "وجدت كلامك حلواً فأكلته" (أر ١٥: ١٦). فلنأكل من مائدة الرب، الأسفار المقدسة لكي لا تقوى علينا شهوات الجسد.

١٣– لا يجب أنْ نظن أنَّ الصومَ، أي الانقطاع عن الطعام هو قداسةٌ أو برٌّ، بل هو أدنى درجات السلوك النُسكي إذا لم يرافقه صوم العقل. أمَّا صوم العقل فهو أعلى من صوم البطن، ولكن صوم البطن ضروري ولازم لئلا نظن أننا مجرد أرواح بلا أجساد ونقع في خطية جهل التدبير الإلهي؛ لأن ربنا ابن الله الحي الكلمة المتجسِّد صام، فقدَّس الصوم وجعله علامةً بارزةً للسلوك الروحي المقدَّس.

نحن نحيا في الجسد الذي به ننتظر حياة الدهر الآتي، ولذلك يجب أن "نُعقِّل"

الجسد، أي نغرس فيه ذات الحس الروحي الذي نأخذه من عطية التبني. هذا الحس الروحي يجعلنا نحب الجسد ونطلب له حياة مجد ابن الله، فيدخل الجسد في ذات الشركة التي نالها جسد الرب، ويتمجد في الدهر الآتي؛ لأنه يذوق جسد الرب ودمه لكي ينمو منعطفاً نحو المتجسِّد ابن الله الحي.

١٤- وعندما نتذكَّر الحس الروحي، فليكن فينا دائماً روح الإفراز؛ لأننا نحسُّ بالروح في القلب بركات عدم الفساد وقوة الإيمان ومجد البنوة، وهكذا نجعل هذا الحس هو الربَّان الذي يقود سفينة الحياة -أي وجودنا في الزمان الحاضر- نحو ميناء الخلاص.

١٥- عندما نصوم بالعقل، فإننا نصوم ذلك الصوم الذي صامه الربُّ يسوع المسيح وهو بالجسد، أي قبل مجده الذي دخل إليه بعد صعوده. فقد عاش مجد السماء وهو على الأرض، ولذلك قال: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني" (يوحنا ٤: ٣٤). ليكن لنا هذا الطعام لكي نجلس معه على عرش مجده (رؤ ٣: ٢١)، وننال كرامته الإلهية التي وعدنا بها. مَن له هذا الرجاء يحتقر كل الأشياء لكي يربح الملكوت. ومَن يخسر كل الأمور الأرضية لكي يربح السماويات هو الصائم حقاً صوماً دائماً؛ لأنه يطرح الاهتمامات الباطلة، فيصوم بالقلب حيث تولد الإرادة، ويصوم بالفكر حيث يولد الإدراك، ويصوم بالروح حيث توجد محبة المسيح، ويصوم بالجسد لأنه بالرجاء يتطلع إلى القيامة والمجد السماوي.

تدبير الانقطاع عن الطعام

١٦- الهدوء العقلي يجب أن يسبق عدم تناول الطعام، وهو الابتعاد عن الأحاديث غير الضرورية والاعتكاف.

١٧- ترك كل الأمور التي تشتِّت العقل مثل الجدل، حتى في الأمور السماوية. والاعتكاف الذي يسبق الصوم ضروري؛ لأنه يجعلنا نرتِّب حياتنا حسب طقس (ترتيب) الروح.

١٨- الاحتفاظ بالماء والخبز والملح وما هو ضروري حسب قدرة الصائم حتى

لا ينشغل بالطهي ويترك اعتكافه.

١٩- هدف الانقطاع عن الطعام ليس الاعتكاف، والاعتكاف هو وسيلة. الهدف الحقيقي هو الاتحاد الكامل بالرب، بالروح وبالجسد، بالقلب والبطن وكل أعضاء الروح التي تظهر بشكل خارجي منظور في أعضاء الجسد.

الصوم الحقيقي هو انقطاعٌ عن الأرضيات، وطلب الروح الناري الذي أوصى به معلمنا العظيم أنطونيوس أب السيرة الرهبانية.

نحن نصوم لكي نتفرَّغ للامتلاء من روح الحياة، روح ربنا يسوع المسيح؛ لأننا بدون الانقطاع عن الطعام لا يقوى فينا الحس الروحي الذي به نطلب نعمة الروح الناري لكي نمتلئ من الروح القدس حسب التعليم المقدس.

٢٠- توجد أربعة مسائل هامة هي الأعمدة الأربعة لتدبير الصوم:

أولاً: الانقطاع عن الطعام تدريجياً حتى تطول فترات الانقطاع وتصل إلى أطول فترة ممكنة تحت إرشاد الأب الروحي. والذين يسيرون في طريق النسك بلا مدبِّرٍ يسقطون سريعاً مثل أوراق الشجر الجافة.

ثانياً: عدم الانشغال بالفكر وبالعواطف الذاتية حتى لا ندخل دون أن ندري دائرة الحياة القديمة، ولذلك يجب تدبير قراءة الكتب المقدسة وإتقان الصمت واستخدام السهر كوسيلة أعظم من الانقطاع عن الطعام؛ لأن الآباء علَّمونا أن السهر في الصلاة هو بداية صوم العقل الدائم الذي تُزرع بذرته في الصوم الجسداني وتنمو بكلمة الله.

ثالثاً: التأمُّل الدائم أثناء الاعتكاف في حياة ربنا يسوع المسيح، والتعليم السماوي، وموته المحيي وقيامته المجيدة؛ لأن الالتصاق بالرب يبدأ في العقل وينمو صاعداً بنا نحو مجد السماويات التي يعطيها لنا الروح القدس.

رابعاً: مراجعة النفس بحزمٍ والعودة إلى القانون الأول للحياة، وهو أن نحكم وندين أنفسنا ولا ندين الآخرين حتى لا نسقط في الأُلوهة الكاذبة ونجلس على عرش الديان ونحن غارقون في خطايا سمجة وثقيلة.

والذين يصومون من أجل معاقبة أنفسهم لا ينتمون إلى قطيع المسيح، بل هم أشواكٌ يزرعها الشيطان في كرمة رحمة ربنا يسوع المسيح؛ لأننا لا نتوب بعقوباتٍ، بل نتوب عندما نتذوَّق نعمة الرب يسوع المسيح، وبالتأمل وذكر محبته ورحمته، والصراخ الدائم بصلاة يسوع نتنقى من أوساخ الروح وننال سعادة وفرح التوبة.

قانون الصوم

٢١- نحن لا نخلص بالأعمال الصالحة، وإنما بالإيمان الذي يثمر صلاحاً وقداسةً فينا بسبب نعمة الله الغافرة. ولذلك السبب عينه، نحن لا نصوم لأننا بالصوم ننال مكافأة، بل لأننا بالصوم نصون ونحفظ النعمة.

ليس لدينا مكافأة، بل ملكوت السموات والحياة الأبدية وقيامة الأبرار هي أعمال الرب[١] نفسه وهبة محبته، وُهِبَتْ لنا بسبب صلاحه. وحتى القداسة هي تقديس، أي عمل[٢] الروح القدس فينا؛ لأننا لا نملك بقدراتنا أن نصل إلى شكل المسيح ومجده لأنه "أخذ الذي لنا" لكي يعطينا "الذي له"[٣].

٢٢- لكل مجاهدٍ قانونه الخاص الذي يتفق مع حياته الروحية وحالته الجسدانية وقدرته، ولا يحل قانونه بسبب الكسل أو التراخي أو عدم قبول "نير المسيح" أو "التهاون"؛ لأن هذا هو سقوطٌ بالتدريج نحو الانحلال الكامل.

٢٣- القانون الحقيقي للصوم يبدأ برفض ما هو صالحٌ وخير من أجل المسيح ومحبته. إنه حركة المحبة التي فينا والتي يغرسها الروح القدس، روح محبة الثالوث، ويغذِّيها الابن كرأسٍ للجسد الذي منه تنمو كل الأعضاء، ويحرِّكها -بمحبة الصليب، أي بالبذل- سَيرُ الميل الثاني وتقديم الرداء، ليس كقانونٍ يُفرَض، بل كمحبةٍ تُبذَل، ولذلك أحذِّر الإخوة من تقليد الآباء والتشبُّه بهم في فترات الانقطاع؛ لأنهم صاموا بمحبة الله وبنار الروح القدس، وصار الامتلاء من الروح القدس هو قانون الصوم الذي نطلبه في صلوات الساعة الثالثة كل يوم عندما نقول: "قلباً نقياً أخلق فيَّ

(١) الكلمة القبطية اليونانية هي ⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ وهي تعني: قوة - عمل - قدرة، ولذلك ترجمت أعمال.
(٢) راجع الحاشية السابقة.
(٣) راجع التسبحة السنوية "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".

يا الله وروحاً مستقيماً جدِّده في داخلي". لأننا عندما نطلب "روح القداسة"، كيف لا نعطي حياتنا كلها للرب؟ وعندما نطلب "روح السلطة على كل شيء"، فإن حيوانات البرية تخضع لنا؛ لأن "روح السلطة" قد أخضع البطن وما تحت البطن[1].

٢٤- بعد نهاية فترة الانقطاع لنُصلِّ أولاً، ولا نهجم على الطعام أو نطلب أكثر من احتياجنا. والأهم هو ألَّا نمدح أنفسنا؛ لأننا أكملنا قانون الصوم، بل لنُصلِّ حتى لا تعود إلينا شهوات الجسد ويقوى فينا الحس القديم، حس الاعتماد على قوتنا.

الخاتمة

لقد جاء موسم الحصاد، أي الصوم الكبير الذي ينتهي بأسبوع البصخة. لنحمل معنا حياتنا القديمة للطبيب الشافي ربنا يسوع المسيح، ونطلب معونته، ولنصُم معه صوم الأربعين المقدسة رافضين أنْ نملك مع الشيطان الذي يظنُّ أنه يملك الخليقة الحاضرة، ولذلك يُفسدُها كما لو كانت ملكوته الدائم.

ولنصلب رغبة الحياة الذاتية التي هي منَّا ونابعة من أهوائنا وتجعلنا نظن أننا أحياءٌ بقوة الإرادة، وتحجب عنَّا إرادة وصلاح الخالق، وهو الرفض الذي أعلنه الرب عندما جُرِّبَ في البرية وقال للمجرِّب: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"، فكشف عن الداء القديم وأعلن لنا مجد الحياة الآتية بكلمة الله.

لنصُم بطهارةٍ وبرٍّ بالتخلي عن كل ما يقوِّي فينا نزعة التسلط وأهواء الكسل ورغبة الامتلاك.

ليكن الرب يسوع المسيح في قلوبنا حياً بالصلاة، وبذكر اسمه القدوس حسب ترتيب الكنيسة[2] وبالشركة في الأسرار الإلهية لكي نتقدَّس بجسد ودم ربنا يسوع المسيح، وننال منه الحياة التي من فوق حسب معونته السماوية.

(١) ما تحت البطن هو تعبير مهذب رقيق يشير إلى الأعضاء التناسلية.

(٢) الإشارة هنا إلى الإبصاليات في التسبحة السنوية.

سلامٌ ومحبةٌ لكم، وهي صومٌ عن إهمال محبة الأخوة، وذكرٌ دائمٌ لكل واحد منكم أمام عرش النعمة.

ليقوّي الربُّ يسوع حياتنا، ويقوي فينا ثبات القلب بالنعمة.

سلامٌ للأب المحبوب أرسانيوس المدبِّر المجتهد وقائد سفينة الدير.

صفرونيوس يرسل سلاماً ومحبةً خاصةً للأخوة المبتدئين

نعمة ربنا يسوع المسيح معكم.

صلوا لأجلنا.

صومُ العقلِ

صفرونيوس يرسل السلام للأُخوة المحبوبين في ربنا يسوع المسيح.

١- عندما تكلَّم الرسولُ عن المحبةِ العديمة الرياء، أكَّد أنها لا تنبع من الجسد، وإنما هي عطية الله الآب لنا في ربنا يسوع المسيح. والذين التصقوا بالمسيح يسوع في المعمودية، ويتبعون طريق الحياة الذي أسَّسه المسيح، ينالون من المسيح قوةَ حياةٍ جديدةٍ تحثُّهم على سلوك الطريق الضيِّق وطلب طريق النُسك بكل أمانةٍ؛ لكي ينالوا ثمار المحبة الإلهية التي يسكبها الروح القدس في قلوب الذين يطلبون نعمته برجاءٍ في المسيح يسوع ربنا.

الصوم في المسيحية الأرثوذكسية

٢- بخصوص رسالة بعض الإخوة عن الصوم، وهو ممارسة معروفة عند اليهود والأُمم؛ لأن الصومَ أمرٌ شائعٌ ومعروفٌ عند الذين لا يؤمنون بربنا يسوع المسيح، فهم يصومون حسب شرائعهم وعوائدهم. ولا يجب أنْ نندهش من هذا الأمر؛ لأن الذين يسلكون حسب شريعة الضمير أتقنوا الصومَ والصلاةَ، وبذلك أكَّدوا لنا صحة تعليم المسيحية بأن الإنسانَ مخلوقٌ على صورة الله (تك ١: ٢٦). ولا تموت فيه هذه الصورة بالمرة، بل تنمو حسب ميول الإنسان ورغبته في التشبُّه بخالقه. ويحدث هذا النمو عندما يتمسَّك الإنسان بشريعةٍ ساميةٍ، وتميل إرادته إلى العمل والتأمُّل في الأُمور الفائقة السماوية. وعندما يطلبها ويسعى إليها مفضِّلاً إياها على الأمور الأرضية، فإن عقله يتنقى. وتسعى النفسُ بقوة الحس الذي فيها -وهو حركة الطبيعة الإنسانية التي تبحث عن خالقها- بسبب وجود الصورة الإلهية فيها، والتي يشرق فيها بهاء الصورة الإلهية عندما تتأمل الأمور الأفضل. وعندما يطلب الإنسان ما هو أحسن، تدفعه الصورة الإلهية لأن يتقدم أكثر فأكثر في طريق الفضيلة.

والبعضُ تحرِّكُهُ الصورةُ الإلهية المصوَّرة فيه بواسطة الخالق، فيأخذ حركة النفس نحو خالقها ويوجهها إلى الصناعة أو الفن أو إلى أي عملٍ يحبه الإنسان ويتقدم فيه. ومن هذا نُدرِك أن رغبة الإنسان في الأمور الأعظم والأشرف والأفضل، واختياره الدائم لما خلقه الله له، وبحثه في المخلوقات عن أحسنها، هو السلوك الذي يميِّز كل البشر، حتى الذين يكفرون بالخالق وينكرونه؛ لأنهم هم أيضاً بدورهم تحرِّكُهم الصورةُ

الإلهية نحو الأُمور الأفضل، ولكنهم يخطئون في إنكار الخالق.

٣- لقد اكتشف الإنسان أنه من الضروري له أنْ يتعلم أنْ يضبط نفسه؛ لكي يقتني إرادةً فاضلةً تسعى نحو الأُمور الحسنة، وتعلَّم الإنسانُ عبر أجيالٍ كثيرةٍ، ومِن نَظَرِ العقلِ وحده أنَّ ضبط حركات الجسد وأهوائه، هو أمرٌ ضروريٌّ لا يمكن أنْ ينجح فيه إلَّا بالتخلِّي عن الأمور الزائلة والتقشُّف في الملابس، والزُّهد في الطعام الفاخر، بل والإقلال من النوم، لاسيما الذين يشعرون بقوة الحياة أثناء فترات الشباب؛ لأن الإنسانَ الذي يترك قيادة سفينة حياته إلى قوة وعواصف الأهواء، لا سيما الطعام والمال والشهرة ومحبة الكلام، لن ينتهِ إلى ميناء سلام الله بالمرة. بل سوف يجد عواصف الخلافات والكراهية وحرارة نار المنافسة والصراعات حول الأمور الزائلة.

فإن كان الأُمم واليهود يصومون، ونحن أيضاً نصوم، فهذا أمرٌ لا يستوجب الدهشة، ولا يدعو إلى التعجب؛ لأن صورةَ الله في كل البشر هي صورةٌ واحدةٌ، وهي صورة الإله الذي وَهَبَ الإنسانَ منذ البدء وحدة الجنس البشري، ولكن الإنسان افترق عن أخيه بالتديُّن الكاذب. ومع أن الله زرع في الطبيعة الإنسانية النزوعَ نحو الوحدة، ووهب الكلَّ أن يكونوا واحداً بالعودة إلى صورة الله فيهم، إلَّا أن البشر سلكوا طريق عبادة الأوثان، فزادت فيهم الخلافات، وأهملوا بذلك عطية الصورة الإلهية التي كانت -كهبةٍ من الله- قادرةً على أن توحِّدهم.

٤- وبرهان ما ذكرناه الآن نجده في حديث الرب مع المرأة السامرية عند بئر يعقوب. فقد أوضح لها الربُ أنها تسجد مثل غيرها من السامريين للإله الذي لا يعرفونه (يو ٤: ٢٢). وشجَّعها على أن تؤمن بالإله الذي أعلن ذاته في تاريخ إسرائيل وآمن به اليهود، وهو الآن هو نفسه الذي يُعلن عن ذاته في ابنه يسوع المسيح. ولم يكن الرب يدعوها إلى ديانة إسرائيل، ولا لكي تتهوَّد، بل لكي ترى الله الآب في المسيح، وتعبده بالروح القدس والحق، أي ابنه يسوع المسيح (يو ٤: ٢٣). هذه هي العبادة الفائقة السماوية التي لا تُعلِّم الإنسانَ الغشَّ وكراهية الغير، بل تُعلِّمه حتى محبة الأعداء.

٥- من يؤمن بالخالق، يعلم -من نور الضمير- أنَّ الله صالحٌ وجوَّادٌ ورحيم، ولذلك يصلِّي ويعلم أنَّ مَنْ يُبغضُ أخاه، فهو في ظلمة الشر مقيم؛ لأن الله نورٌ يشرق بالخيرات لكل البشر، كما قال الرب: "يشرق شمسه على الأبرار والأشرار" (مت ٥: ٤٥). ومَنْ يستنير بهذا النور -أي الإيمان بصلاح الخالق- لا يمكنه أنْ يترك نور صلاح الله ويغرق في أوهام وخرافات وظلمة الوثنية التي تعلِّم البغضة والعداوة والكراهية، وتحث على أن يسيء الإنسانُ إلى أخيه.

هكذا مَنْ يمارس الصوم وحده بدون صدقة، فصومه ليس حقيقياً؛ لأنه يفتقر إلى العطاء. ومن يهذِّب نفسه بالانقطاع عن الطعام فقط، صار مثل اليهود أو الأمم. أمَّا الذي يهذِّب قلبه بالتخلِّي والانقطاع عن امتلاك الأشياء والتصرُّف الحسِن فيما يقتنيه بتقديم ما لديه للآخرين، فهو يصوم حسب شريعة ربنا يسوع المسيح، أي شريعة المحبة السماوية التي لا تعطي للمقتنيات المكانة الأولى ولا الاهتمامات التي نراها في حياة الناس.

٦- حَسَنٌ أن نصوم، وأن ننقطع عن الطعام لكي يكون هذا الانقطاع بداية التخلِّي والانقطاع عن الحياة القديمة التي نحياها في أباطيل هذا الدهر.

والصومُ المقبول هو صومٌ من أجل الله، ومن أجل طلب الحياة الجديدة في ربنا يسوع المسيح. فإن كانت هذه الحياة هي هبةٌ من الله الآب في ابنه ربنا يسوع المسيح، فلماذا نصوم؟ ولماذا نصوم قبل تناول الأسرار، وقبل كل الأمور السماوية؟

أعلموا أيها الإخوة إنِّ أساس الإفراز الثابت الذي لا يتغير بالمرة، أي أساس طلب الأمور السماوية، هو:

"جحدُ الذات والكفر بالأهواء".

هذا هو صَلبُ الإنسانِ لذاته، والتخلِّي عن الحياة القديمة التي يحيا فيها الإنسان من أجل الأهواء وتحت سلطانها، فتبعده تلك الأهواء عن طلب خالقه. هكذا، بدون جحد الذات كل يوم، وصَلب الأهواء، يَبطُلُ الصومُ كممارسةٍ كنسيةٍ، ويصبح مثل صوم الأمم واليهود؛ لأن شريعة الصليب لا يعرفها الذين يعيشون بدون الإيمان بالإنجيل، بل يعيشون ضدها؛ لأن شريعة الإنجيل الثابتة في جحد الذات

بالعطاء، لا تظهرُ كممارسةٍ في حياتهم، كما أنها ليست هي الأساس الثابت الذي يبنون عليه حياتهم.

أمَّا بالنسبة لنا، فإن أساسَ الحياةِ وأعمدتها هي الصليب والقيامة وعطية الروح القدس، والتي تبدأ بالإيمان بأنَّ الله أرسل ابنه الوحيد وبذله عنَّا (يو ٣: ١٦). وعندما بذل الآبُ ابنه الوحيد، نلنا فيه أساسَ البذل كبدايةٍ لبذل الذات، وصار ابن الله هو النموذج الحي الذي يخلِّص النفس والجسد، ويعلِّمنا السلوك الحي في كل أمور حياتنا.

إذا تذكرنا هذا الأساس الثابت، استطعنا أنْ نميِّز الحياة الجديدة التي أخذناها منه. أمَّا إذا أهملنا بداية حياتنا، أي شريعة الصليب، فإننا نفقد حتى الخير الطبيعي الذي تحثنا عليه صورة الله فينا، والذي نراه كاملاً في قلوبنا، أو الذي تعلَّمناه من غيرنا من الناس. وإذا وجدناه وعاش فينا وعاش في داخلنا بقوة النور الطبيعي أي الضمير، ونال قوة المسيح، تجلَّى فينا نورُ الله الآب بنعمة ابنه الوحيد وبقوة الروح القدس.

٧- سلامٌ لكل مَنْ يصوم من أجل جحد الذات؛ لأنه بالصوم يطلب أن يحمل صليب ربنا يسوع المسيح، ويقتني بذلك، الحياة الآتية من الله.

هذا هو سبب صومنا قبل القداسات، واجتماعنا[1] مع الرب لسماع كلمة الله الحية. لأننا بالاجتماع بالرب نعود به إلى الآب عودةً حقيقيةً، نطلب فيها الحياة التي وُهِبت لنا منه، أي الحياة الجديدة الآتية دائماً، فنحيا به.

أمَّا الذي يحيا حسب الطبيعة، وتتسلط عليه الأهواء -لا سيما- أهواء الجسد، فهو يصوم مثل الأُمم. ومَن يتصدق مثل اليهود، أي يعطي أبناء جنسه، فهو بذلك لا يقتني حياة ربنا يسوع المسيح؛ لأنه لا يتعلم شريعة الإنجيل، أي الصوم عن العداوة ورفض البغضة.

نحن لا نصوم لأننا نكره الجسد، وقد سبق وكتبنا لكم أن كراهيةَ الجسد هي كراهيةٌ لعطية الله؛ لأننا لسنا مثل أتباع ماني والهراطقة الأشرار الذين علَّموا بأنَّ إله

(١) الكلمة القبطية اليونانية syntax تعني اجتماع الإفخارستيا أو الليتورجية. والكلمة تعني اجتماعنا بسبب دعوة الرب يسوع لنا لكي نأكل المن السماوي.

الشر خلق الجسدَ لكي يُعاقِب الإنسان ويبعده عن إله الخير. هذا التعليمُ مضادٌ لكل خير، ولكل ما هو صالح وجميل في خليقة الله المنظورة. هذه البغضة لخليقة الله هي التي تجعل هؤلاء المجانين المساكين يندفعون في طريق النسك طلباً للنجاة من شر الجسد، وهرباً من الخليقة المنظورة التي غرس فيها إلهُ الشر بذرة الشر.

أمَّا نحن الأرثوذكسيون الذين نؤمن بإلهٍ واحدٍ، ونعبده في ابنه بالروح القدس، بكل يقين، لا نقترب منه بالنسك ونفاق المانيين، وإنما نقترب منه لأنه هو الذي اقترب منَّا عندما تجسَّد، وهو الذي أحبنا أولاً قبل أن نحبه. هكذا نحن لا نُرضِ الله بالصوم؛ لأن إرضاء الله لا يكون بدون توبة عن الوثنية والإثنينية، والكفر بإلهين.

الجسدُ صالحٌ، وهو أداة النفس وصورتها المنظورة، وبدونه لا يمكن للنفس أن تعيش حياةً إنسانيةً على هذه الأرض. لقد دخل الموتُ بالخطية، وبذلك صار لعنةً، وصارت له سيادةً علينا، وهو ما يجب أن نحذر منه، ولا نشتاق إليه، ولا نطلبه بإرادتنا؛ لأن هذا يتعارض مع صلاح الله الذي خلقنا وأتى بنا من العدم إلى الوجود في هذه الدنيا، ولذلك لا يجب أنْ نظن أنَّ إرضاء الله هو أنْ نترك هبة الحياة الأرضية. هذا هو نفاق المانيين الذي انتشر بين الأخوة. أمَّا إيماننا، فهو أنَّ الجسدَ صالحٌ، وهو خليقةُ وعملُ الآب والابن والروح القدس، ولذلك نقرِّبَهُ ذبيحةً عقليةً للآب في ابنه يسوع المسيح وبالروح القدس الذي لبسناه في المعمودية.

الجسدُ صالحٌ، ولذلك يسكن فيه الثالوث (يوحنا ١٤: ٢٣) الواحد غير المفترق. ويسكن فيه الآب بالابن في الروح القدس؛ لكي يجعل الإنسانَ واحداً غير منقسم إلى جوهرين: النفس والجسد، بل يشفي الثالوثُ الواحدُ انقسامَ الجسد والنفس بسبب سُكناه في النفس والجسد.

الذهن الجسداني:

٨- لذلك، أي بسبب سُكنى الله فينا بالروح القدس، أي في النفس والجسد، يقول الرسول: "عظيمٌ هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد" (١ تيمو ٣: ١٦). وظهور الله في الجسد هو سر التقوى الأرثوذكسية الذي لا يقبله الهراطقة المنافقون

الذين ينشرون ضلال نُسكِهم الذي ينكرون به محبة الله صانع الخيرات، خالق النفس والجسد. **أمَّا نحن، فعلينا أن نجعل تجسُّد الابن الوحيد توبيخاً لنا إنْ كانت لدينا رغباتٌ مستترةٌ لإهانة الجسد، أو للنُسك الباطل الذي لا يقوم على الاعتقاد الأرثوذكسي بأن الجسدَ مؤهَّلٌ لقيامة عدم الفساد.** لأن هراطقة الأجيال الأولى علَّموا بالقضاء على الجسد وقوته بالانغماس في الأباطيل[1] أمَّا نحن، فإنَّ حياة "العفاف والبر" هي بابُ حياةٍ للجسد والروح معاً؛ لأن عدم التقوى هو مثل الكسل والتراخي، يصيب الإنسان بأمراضٍ روحيةٍ صعبة الشفاء.

وتجسُّد الابن الوحيد هو سر التقوى الحقيقية ومحور التعليم الصحيح؛ لأن الإنسان الأول آدم سقط وهو في بيئة الصلاح والفرح، أي الفردوس عندما أحب ذاته وعشق جسده بدون الله. لأنه أدار ظهره –روحياً– للخالق، وأنكر ضرورة الشركة وتأمُّل صلاح الله، فَفَقَدَ كل ما يعرفه عن الخالق، وسلك في طريق الأهواء، وسقط في هاوية الشر التي حفرها لنفسه. ومنذ سقوط الإنسان، والإنسانيةُ كلها تعلَّمت الاعتماد على الجسد الذي نرى فيه –نحن البشر– حياتنا، وبذلك اظلَّم العقلُ، وهو ما جعل الرسول يصف الإنسانَ قبل إشراق نور الإنجيل بأن ذهنه جسدانيٌ؛ لأن نور اللوغوس (الكلمة) يُشرق في العقل ويُنير كل حواس الجسد. أمَّا إذا انقطع نور الكلمة اللوغوس بسبب الجهل والمناعة العقلية التي يكوِّنها الشرُ في الإدراك، صار العقلُ جسدانياً؛ لأنه لا يعرف ولا يحب أن يتأمَّل إلَّا في الأمور الجسدانية. وإذا صار العقلُ مهتماً بالأمور الجسدانية تعوَّد عليها، ولم يعُد يعرف غيرها، وصار يطلب الأمور الأرضية ويسعى نحوها بكل جِدٍّ ونشاط، فيسكن فيه الفكر الأرضي ويتعوَّد عليه، فيصبح بالتدريج ميالاً لإدراك الأمور الأرضية، ويفقد قدرته على رؤية الأمور السمائية، عند ذلك يصبح الذهنُ جسدانياً.

وهكذا يصبح الفكر، وهو عطية الله الأولى التي ميَّزت الإنسان عن الحيوانات، هو سبب الابتعاد عن الله خالق الكل. وهكذا يصير الإنسان الذي يفكر جسدانياً، مثل البهائم في الغضب والنوم والأكل والملابس ويختال مثل الثيران ويندفع مثل الوحوش الكاسرة؛ لأن عقله بعيدٌ وعاجزٌ عن تأمُّل الإلهيات، لأن تأمُّلَ الإلهيات

(١) تعليم الغنوصية القائل بأن الانغماس في الشر لا سيما الزنا يقضي على قوة الجسد.

هو الذي يكسر شوكة اللذة، وترك الإلهيات يقود العقل نحو الجسد.

العقل والجسد:

٩- العقلُ هو سيدُ الجسد، كما أن النفسَ هي أصلُ حياة الجسد[١]. والعقل هو الذي يجعل الجسد متعقلاً لكل تصرُّفٍ وعمل؛ لأنه هو الذي يوجِّه الجسدَ نحو أداء كل ما يرغب فيه. ولكن يمكن أيضاً أن يصبح الجسدُ سيداً للعقل إذا انغمس العقلُ في اللذات الجسدانية، وصار يفتِّش عنها ويطلبها ويسعى نحوها، ومتى غرق فيها صارت هذه اللذات تحثُّه على التفكير والتأمل في الأمور الأرضية الزائلة.

النسك الوثني:

١٠- أدرك فلاسفة الوثنيين أن العقل هو سيدُ الجسد، ولذلك -بالتأمُّل- أدركوا ضرورة تأمُّل الأمور العقلية والابتعاد عن الأمور الجسدانية لكي تتطهر الروح ويصبح الإنسان فاضلاً حكيماً عاقلاً. ووضعوا لذلك قواعدَ روحيةً مثل الصوم والصلاة والتأمل والاعتكاف والاعتزال عن الناس والهروب إلى الأماكن الهادئة التي بلا ضجيج وبلا صخب. ونحن لا ننكر فوائد هذه القواعد، ولكننا -حسب إيماننا الأرثوذكسي- نعلم أن الطهارة العقلية لا ينالها الإنسان من التأمُّل وحده، بل هي نابعة وتفيض من ربنا يسوع المسيح، والنسك يحفظها، ومن ينالها يتأمل ويعتزل الناس؛ لأن نعمة الله تعمل فيه بقوة حتى أنه يطلب الوحدة ويفضِّلها على الشركة عندما يسلِّم نفسه لعمل النعمة، ويصبح مثل شراع القارب المرفوع والذي يتلقى قوةَ دفع الرياح فتدفعه النعمةُ بقوةٍ نحو كورة السلام والهدوء.

---

(١) النفس أو الروح هي أصل الجسد، وهو التعليم القديم الذي دوَّنه الآباء لنا وهو غير شائع في أيامنا، وحسب تعليم الآباء بشكل عام يأخذ الجسد حياته من الروح أو النفس. شرح هذا التعليم في إيجاز شديد القديس غريغوريوس النيسي في مقالة القيامة. ولكن التعليم الكامل شرحه أوغسطينوس في مقالتين:

1- De Quantitate Animae.

2- De Immortalitate Animae.

ففي المقالة الأولى الفقرات رقم ١، ٢، ٣٢، والفقرة رقم ٩ في المقالة الثانية، وكذلك الرسالة ١٦٦ من رسائل أوغسطينوس. وقد جمع علماء العصر الوسيط ما كتبه الآباء عن النفس والجسد. راجع دراسة الراهب Aelred of Rievaulx والتي نشرت بعنوان: Dialogue on the Soul, Cistercian Publications. 22, 1981.

الاعتكافُ هو سلوك الحكماء، ومَن يعتكف للتأمل كمَن يغسل عينيه من تراب الطريق لكي يرى بوضوحٍ، الأشياءَ الظاهرةَ أمام عينيه. هذا لا يكفي؛ لأن ظلام الطريق لا ينفع معه قوة البصر. وهكذا، نحن لا نبصر الأمور الإلهية لأننا نتأملها في اعتكافنا، وإنما لأنها أشرقت بإعلانٍ في ربنا يسوع المسيح الذي أنار الحياة والخلود ببشارة الإنجيل (٢ تيمو ١: ١٠) فجاء وبشَّرنا نحن البعيدين (أف ٢: ٧) عن الله بسلام سماوي. لقد جاء إلينا النور الذي أشرق من الله الآب. هذا هو النور الذي أرسله الآب إلينا كابنٍ وحيدٍ من ذات جوهره، جاء لكي يفتِّش عن الخروف الضال.

الصومُ لا يكون بالابتعاد عن مشاغل الحياة والاعتكاف والتأمُّل فقط، وإنما هو قبل كل هذه الممارسات الخارجية، هو عودة الإنسان إلى الصورة الإلهية التي نالها في الخليقة الأولى والتي تتجدَّد في يسوع المسيح وبالروح القدس. هذا هو طريق الحياة الواحد الذي لا يوجد له مثيل ولا يمكن أن ينحرف، وكل إنسان مدعو لأن يسلكه لأنه يرى نهايته الكاملة الواضحة في ربنا يسوع المسيح، وبالمعونة الإلهية التي يعطيها الروح القدس.

الانقطاع عن الطعام:

١١- لا يكفي الانقطاعُ عن الطعام؛ لأن الانقطاعَ عن الطعام لا يجدد شيئاً في حياتنا، وإنما تجديد الفكر ونقاء المخيِّلة هو الذي يجعل الإنسان صائماً بالحق. أمَّا نقاء المخيِّلة، فهو نعمةٌ ننالها بتوسُّلٍ للروح القدس؛ لأنه هو الذي يقدِّس الفكر، ويجعل المخيِّلةَ -بقوة الحياة التي في الروح القدس- قادرةً على أن ترى السمائيات وتسعى نحو الأمور الأفضل. لأن قوة حياة الأقنوم الثالث هي التي تعتق الفكر من خوف الموت، وبذلك تحرِّر العقلَ وتجعله قادراً على أن يتحرر من سطوة وطلب الأرضيات، وبذلك يقطع -بقوة الروح القدس- رباطات الالتصاق بها، أي رباطات الظن بأنها باقية وحقيقية، فيخلُص من الوهم الذي تزرعه الخطية، والعمى الذي أصابه عندما توهَّم وظنَّ أنه نال الخير بالابتعاد عن الله، فأصاب ظلامُ الشرِ مخيِّلَته عندما سقط، ولكن ربنا يسوع المسيح الذي يفتح أعين العميان، ردَّ البصر الحقيقي

للإنسان حسب قوله: "الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ١٠: ٣٠) وعندما ننال البصر بقوة نور الآب ربنا يسوع المسيح، نقترب من غايتنا، أي الله نفسه.

١٢- الانقطاعُ عن الطعام ضروريٌ إذا كنا نسعى لصوم العقل. لماذا يجب أن ننقطع عن الطعام وهو الدرجة الأدنى للصوم؟

والجواب هو، إنَّ الانقطاعَ عن الطعام يشبه العامل والفلاح الذي يرتدي ملابس مهنته وعمله لكي يعمل بعد أن يرتدي ما هو مناسب. **هكذا مَن ينقطع عن الطعام ولا يصلي ولا يعتكف، يكون كمَن لبِسَ الدروعَ، وحمل السيفَ وسار بعد ذلك للتنزُّه، فهو لن يستطيع أن يسير لمسافة طويلة بسبب ثقل عدة الحرب. ولأن غايته ليست الحرب أو القتال، بل التنزُّه، فهو سيتعب سريعاً**؛ لأنه لن يجد عدواً يقاتله أو خطراً يجعله في حالة اليقظة والتأهُّب، كما أن غايته هي السير فقط، وهي غاية لا تحتاج إلى عبء وثقل الملابس الحربية من دروع أو عدة الحرب مثل السيوف والخوذة، وتصبح هذه غير ضرورية، بل تعطل السير بسرعة. **وهكذا كل مَن ينقطع عن الطعام بدون غايةٍ روحيةٍ يعتكف لأجلها، لا يجني ثمرة صومه، ولا ينال إلَّا ما تعطيه الدرجة الأدنى للصوم، وهي تجديد القدرة الطبيعية للإرادة الإنسانية التي تنال قسطاً من حرية الاختيار عندما تبتعد عن أنواع الطعام المفضَّلة وتطلب الطعام البسيط.**

كيف نبدأ صوم العقل:

١٣- يبدأ صوم العقل بالكفِّ عن الاهتمامات العقلية الجسدانية التي تجردنا من صورة الله التي فينا. هذا هو الصوم المطلوب من الإنسان المسيحي والذي يجب أن يمارسه ما دام حياً على هذه الأرض؛ **لأن هذا الصوم هو بداية الحياة في الدهر الآتي. لأننا بصوم العقل وبتأمُّل السماويات، ندخل الحياةَ الآتيةَ بشكلٍ جزئي حتى ننال الكمال يوم الدينونة.**

يحرِّرُ صومُ العقل الإرادةَ العقليةَ من الخضوع للأهواء، ويجعل الإنسان مشتاقاً للنعمة وقادراً على أن يتذوَّقها. فهو لا يكون مُشتَّتاً مثل من يضع نوعين أو أكثر

من الطعام في فمه، فلا يدرك طعمَ كلِّ نوعٍ على حدة، بل إذ تختلط هذه الأطعمة في فمه، لا تجعله يأكل بتمييزٍ أو اعتدال.

هكذا العقل الذي يهتم بالأمور الزمانية العابرة الباطلة، أي تلك التي لا تقرِّب الإنسان من شركة أسرار الله، وتجعل فكره مختلطاً ومخيِّلته عاجزةً عن تصوُّرٍ دقيقٍ لما يخص الله، وما هو آت من اللذة. ومتى أصبح العقل مختلطاً بلا سذاجة (بساطة أو نقاوة) روحية، وقع في التردد، وأسَرَهُ الغضبُ دون أن يدري؛ لأن العقلَ تجرَّد من البساطة.

ولكننا يجب أنْ نقول إنَّ بساطة ونقاوة الفكر لا تجعل الإنسانَ يعاين أسرار الله؛ لأن هذه الأسرار تُعطى من الله الآب بإعلان يسوع المسيح الذي وهبنا نعمة البنوة، وأنارنا بالروح القدس في سر المعمودية المقدسة، وأعطانا أن نعرف السمائيات في أسرار البيعة.

١٤- صومُ العقل يجب أنْ يلازمنا كل أيام غربتنا؛ لكي -بنقاوة الفكر- نستعد دائماً لأن نمتلئ من السلام الحقيقي الذي يرافق عطية سلام الله الآب لنا. لأن نقاوة الفكر تجعل حصولنا على السلام الإلهي ظاهراً لنا حتى في أثناء الصراع الروحي. ونحن نعرف أن طهارة النفس من كثرة الصراعات هي التي تصون النفس من التمزق الداخلي؛ لأن كثرة الاهتمامات تقتل فرح الإنسان، إذ توزِّع قدراته في اتجاهات متباعدة. وعدم نقاء العقل من صراعات الخطية وتضاد الشهوات هو خسارة حقيقية.

القلب الواحد غير المنقسم:

١٥- صومُ العقل يجعل لنا قلباً واحداً لا قلبين. والقلب الواحد هو الغاية التي نطلبها بصوم العقل؛ لأن النقاء الذي نناله برفض التشتت -الذي تجلبه الأهواء، وبالتخلُّص منها برفضها- يجعلنا قادرين على الرؤية الصحيحة، وبذلك يحلُّ في القلب فرحٌ حقيقيٌ نابعٌ من سلام وفرح تأمل ومحبة الخيرات. ومتى نما الفرحُ النابعُ من بساطة النفس، أي عدم تشتُّتها، استطاعت أن تتكون فيها قوة حقيقية ورغبة

ثابتة في تذوق أسرار الله؛ لأن معاينة وتذوق أسرار الله هو الذي يعطي للنفس قوةً وثباتاً في الحياة الجديدة في يسوع المسيح ربنا. أمَّا إذا حصل للنفس نقاوة واقتنت قلباً واحداً، دون أن يكون لها اشتراكٌ في الإعلانات السماوية وتذوُّق أسرار الله المعلَنة في المسيح، فإنها تبقى بلا تجديد وتظل مستنيرةً بالنور الطبيعي، أي الضمير، ولكنها لا تنال قوة الدهر الآتي، وتظل رغم نقاوتها، ضعيفةً؛ لأن نعمة عدم الموت لم تُشرق عليها، وهبة الروح القدس لا تعمل فيها. هذا هو حال الذين تطهَّروا بالنُسك ولم ينالوا نعمة الاتحاد بربنا يسوع المسيح الذي أحيانا من الموت وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.

١٦- نحن لا نخلص من الموت وخوفه الكامن في القلب بقوة نقاوة القلب، بل بنعمة الذي أحيا جنسنا الساقط. ولذلك، فالنقاوة الجزئية التي ننالها بالمعرفة لا تثبت أمام الداء الخفي، أي داء الموت الكامن في القلب.

قوة صوم العقل:

١٧- طوبى لمن يصوم عقلياً لأنه إنْ اشتغل في مهنته أو قام بعمله أو تجارته أو أي عمل أرضي، فإنه يقوم به بكل إتقان بسبب بساطة قلبه، أي عدم انشطاره داخلياً، وبسبب عدم انشغاله بالأمور التافهة الحقيرة. وصوم العقل يمكِّنه من الحصول على سَكِينة النفس بسبب عدم الانشغال بالتوافه، فيصبح قادراً على العمل بنشاط وغيرة. وعندما تشرق عليه معرفة الأمور السماوية في يسوع المسيح، فإنه ينال جسارةً عظيمةً، ويضحِّي بكل ما يملك، بل حتى بحياته في سبيل البقاء في هذه الشركة السماوية، بل يعتبر التضحيةَ نفايةً حسب قول رسول ربنا يسوع المسيح الذي اعتبر انتمائه لشعب اليهود وبر الناموس حسب مذهب الفريسيين والغيرة على شريعة الله كلا شيء، لكي يربح نعمة ربنا يسوع المسيح التي لمست قلبه وأنارت فكره وأتت به إلى بساطة الحياة في المسيح.

صوم العقل والامتناع عن الطعام

١٨- صومُ العقل هو أنْ نطلب الأُمور السمائية، وهذا الطلب يقوّى فينا إذا

امتنعنا عن الطعام؛ لأن الامتناع عن الطعام يجرِّد النفسَ من الحِسِّ القديم الذي كان في آدم الأول، أي أنْ تَكُف النفسُ عن الاعتماد على الجسد، وأنْ تمتنع عن رؤية حياتها قائمةً بأطعمةٍ وأشربةٍ لا تُعطي قوةً للنفس، وقال عنها رسول المسيح صراحةً: "حَسَنٌ أنْ يثبُت القلب بالنعمة، لا بالأطعمة التي لم ينتفع بها الذين تعاطوها"(عب ١٣: ٩).

فالطعام يقوِّي الجسدَ فقط، ولا يمنح النفسَ أي قوة. والاهتمام بالطعام يغرس في النفس اعتماداً على الجسد ورغبةً مُتأصِّلةً في الاهتمام بالجسد والاتكال عليه كمصدر قوَّتنا. ومتى صارت النفسُ في هذه الحالة، فإنها تضعف، وتقوَى عليها اللذة، وتخاف أنْ يضعف جسدها، وتجبُن عن رفض اللذة. أمَّا إذا تركَتْ لذة الطعام، أدركت أنَّ الحياةَ تأتي من الله، وليس من الأطعمة، وبالتالي تُدرِك على الفور أن الطعامَ يعجزُ عن أنْ يمنح الإنسانَ حياةً حقيقيةً تقوَى على الموت. لذلك تسلَّمنا من الشيوخ الذين عاشوا قبلنا في المسيح أنْ نُصلِّي قبل تناول الطعام لكي نأكل بخشيةٍ، وخوفٍ "ناظرين إلى رئيس الحياة ربنا يسوع المسيح" (راجع عب ١٢: ٢)، الذي منه تأتي حياتنا، ومُسبِّحين رحمته؛ لأنه وهب أجسادنا قُوْتَها الذي تحتاجه. أمَّا مَن يأكل بدون خشية الرب، فهو يأكل مثل الأُمم الذين يطلبون الطعام لكي تزداد وتنمو أجسادهم، ولكي يُسَّر إنسانهم الباطني بالقوة الجسدانية التي للجسد، ومتى أُعجب الإنسانُ بقوته الجسدانية، نما فيه حِسُّ الزنا، وهو ثمرة الكبرياء التي تتحصن في اعتماد النفس على القوة الجسدانية. أمَّا ضعف الجسد الناتج عن الامتناع عن الطعام، فهو أمرٌ ضروريٌ؛ لكي يُقتلَعُ من النفس الافتخار بالجسد والاعتماد عليه. ومتى أصاب الضعفُ الجسدَ، فعلينا بالاعتكاف والإقلال من العمل الجسداني والاهتمام بالصلاة وتأمُّل كلمة الله، مع القيام بخدمة المحبة للأُخوة؛ لكي لا يؤدِّي الاعتكافُ إلى النوم، وسقوط النفس في التراخي.

الصوم وإهمال الأهواء

١٩- الامتناعُ عن الطعام يُطهِّر النفسَ من محبة الجسد، والاعتماد عليه. وإذا نالت النفسُ هذه الطهارة تصبح قادرةً على إهمال الأهواء، ومقاومة اللذات،

وتسعى نحو ما هو أفضل؛ لأنها أدركت أنَّ الأهواءَ فراغٌ، وأنَّ الاهتمام بها لا يُوَلِّد الشِبَعَ في النفس؛ لأن مَن يشربُ مِن هذا الماء يعطش إلى الأبد (يو ٤: ١٣). أمَّا مَن يشرب من ماء الحياة ربنا يسوع المسيح، فلا يعطش، بل الماء يصير فيه ينبوعاً ينبعُ إلى حياةٍ أبديةٍ.

الصوم وإخلاء الذات

٢٠- الانقطاعُ عن الطعام دون طلب نعمة ربنا يسوع المسيح، ودون إخلاء الذات، هو صوم الأُمم، وهو لا يقدِّم الإنسانَ إلى الله؛ لأنه لا يعطي للإنسان نقاوةً تليق بالله، بل يعطي لمن يُمارس هذا الصوم -باعتدالٍ وكمالٍ- أنْ يرتفع فوق الصغائر، وأنْ تقوَى إرادته، دون أنْ يكون له حُسن الحياة الإلهية الذي وحده يليق بالله. فالنَّفسُ، إذ خُلِقَت على صورة الله، لا يمكن أنْ تتغذَّى بشيء آخرٍ غير الفضائل، وكلمة الله. ولأنها عقليةٌ، ولها قدرةٌ على التمييز، فهي إنْ لم تأكل من مائدة الرب في الأسفار الإلهية تترك تاج الصورة الإلهية فيها، وتتغذَّى بالأهواء عاملةً مسرة الشهوات التي تطرح النفس بعيداً عن الله. هكذا مَن تصوم بطنُه عن تناول الطعام، ولا تصوم نفسُه بالفضيلةِ، متى توقَّف عن الصوم الجسداني يسقط في أصغر الرذائل؛ لأنه كان يستمد قوته الداخلية من صوم جسده؛ ولأن عقله لم يَصُمْ، صار بعيداً عن الكمال عندما امتنع عن صوم الجسد.

صوم العقل يقود إلى رؤية ومعاينة الله

٢١- صومُ الجسدِ وحده يحُرِّرُ الإرادةَ عند النشيطين. أمَّا صوم العقل، فهو الذي يقود إلى رؤية ومعاينة الله. والعقل يصوم بالفضيلة؛ لأنها تقرِّبَه من إدراك الله، وتجعله يرى كل شيءٍ كما هو في ذاته؛ لأن الإنسان يرى الأشياء بتأثير أهوائه، ولكنه متى صام عقله وابتعد عن الأهواء وتغذَّى بأقوال الله وبالسِّر المكرَّم جداً، صار نقياً يرى الأشياء كما هي، وهو الأمر الذي يجعله يعرف كيف يُميِّز بين الخير والشر؛ لأن بداية التمييز هي نقاء الفكر من شوائب الشهوات، وهي لا تحدُث في النفس إلَّا إذا صامت عن الأُمور الباطلة، واقتنت الحياة الفائقة، أي الفضيلة.

الإفراز والتمييز

١- صفرونيوس يسألكم أن تراجعوا هذه الأقوال على تعاليم الآباء الشيوخ الذين لا زالوا عندنا. لأن في ذلك يَعُم السلام وننال رحمةً من الرب إن كنا أمناء في التعليم، ولا نغشُّ كلمة الله، فالسلام يملأ الأديرة وتحلُّ بركات المحبة ويصبح الاتفاق مثل أنغامٍ سماويةٍ نسمعها في كل مكان.

أمَّا الكلام المغشوش الذي يؤدِّي إلى الفُرقةِ والاقتتال، فهو الذي يخلق الظنون ويصبح مثل رياحٍ وعواصفَ ترابيةٍ تخنق الوحدة.

عطية الله

٢- الإفراز والتمييز هو عطية الله الفائقة التي يهبها للأمناء في حياتهم. تأمَّلوا أن الذين يعملون في صناعةٍ ما، لا يتقنون هذه الصناعة إلَّا بعد عدة سنوات، والرَّبَّان لا يتعلم الملاحةَ بمجرد أن يُمسكَ بالدفةِ، هكذا أمور الملكوت لا يصل الإنسانُ إليها إلَّا إذا كان أميناً لله.

٣- المنغلبُ من شهوات قلبه، ويفرِّط بلسانه ويخدع الناس، لا يقتني الإفراز -ولو وضعوه له في كوبٍ وصبُّوه في فمه- لأن روح الحكمة لا يحل حيث الخداع والغش.

الإفراز والتمييز

٤- الإفرازُ ليس هو التمييز بين الخيرِ والشَّرِّ. ومع أن الآباء جميعاً قالوا إن هذه هي أول درجات سُلَّم الإفراز، وإنما الإفراز هو التمييز بين درجات الخير واقتناء ما يَصلُح منها للإنسان.

الإفراز هو السير بترتيبٍ وعدم انزعاجٍ في طريق التوبة. وإذا كان الإنسانُ يعلم ما هو الطعام الذي يحتاجه وتقوى عليه طبيعته ولا يضره، هكذا الأمور السماوية، يأخذها الذي أتقن الإفراز بترتيب، ويصبح هذا الترتيب هو الإفراز الذي تتعلمه النفس.

٥- بدايةُ الإفراز جحدُ الذات. واعلم أن كل ما يؤول إلى جحد الذات هو

صالحٌ ونافعٌ لها، وبمواصلة إدراك جحد الذات ترى أنها بدأت تُتقن التمييز بين النافع والصالح والشر.

الحياة الداخلية

٦- مَن لا يتعلم من حياته الداخلية، لا يمكن أن يتعلم عِلماً حقيقياً من الشيوخ. والذي لا يتعلم أن يتعقَّب أهواء قلبه لا يمكنه أن يُتقنَ شيئاً ولو قرأ كل كتب البيعة، وكل ما تركه الآباء.

٧- راقبتُ أحدَ الأخوةِ المبتدئين ووجدتُ أنه يُكثِر من الصمت، ولا يحب الجدال ويبتعد عنه، ولما سألته عن السبب، علِمتُ أنه كان غضوباً سريع التأثُّر بكل ما يقال له، وأنه أدرك أن الصمتَ شفاءٌ لعقله وإرادته، وأن الابتعاد عن الجدل هو احتراسٌ.

هذا إفرازٌ ظاهرٌ يكمُل بالمحبة، ويثمر ثمراً حقيقياً بالمثابرة. أمَّا إذا انتكس، فهو يفقد كل ما تعلَّمه، وقد يؤدِّي سقوطه إلى عدم الاتزان.

٨- إن الله صالحٌ والذين يبتغون رضاه يجدون ينبوعَ إفرازٍ عنده. لأن قلبَ ما يُرضي الله، هو ما يجعل في قلبه عطشاً حقيقياً للحكمة. هؤلاء ينالون الوعد الإلهي: "طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون" (مت ٥: ٦)، أي من فيض الحكمة الإلهية الذي يقودهم إلى الإفراز.

الخوف والحَذَر

٩- **الحَذَرُ من السقوط لا يُعَلِّم الإنسان الإفراز**. ولا حتى الخوف من السقوط الذي يؤدِّي بالمبتدئين إلى السجس (الوسوسة)، فالذي لا يعلم إن كان قد أخطأ أم لا، هو مثل مَن يرمي السهام بعينين مغلقتين، فهو لا يصيب شيئا، وقد يجرح نفسه في النهاية.

١٠- لا الخوف ولا الحَذَر يجعلان الإنسان يقتني حكمةً حقيقيةً، وإنما تعلُّقُ النية الداخلية ورغبتها في الله هو الذي يجعلها ترى الأمور السطحية الفارغة التي بلا قيمة، فترفضها، وفي هذا الرفض يكون الإفراز.

طريق الملك

١١- طريقُ الملكِ وموكبِهِ معروفٌ، لا يمكن أن يضل إنسانٌ في التعرُّفِ عليه، حتى وإن كان أعمى لا يُبصر، فهو يُدرِك من أصوات المارّةِ أن الملكَ يسير.

وطريقُ الملك المسيح هو الصليب، وهو بداية الإفراز الحقيقي، ومَن لا يسير فيه، فقد اقتنى حكمةً فاسدةً غيرَ راسخةٍ في شيء، وعلينا أن نكتفي بشهادة الذين سبقونا.

١٢- لا يحيا الإنسانُ بالنومِ وحدَه، ولا بالعمل وحدَه، ولا بالطعام وحدَه، وإنما يمزج بين كل هذه على قدر احتياجه. فأحياناً يحتاج إلى النوم أكثر من حاجته إلى الطعام، أو العكس.

فإذا كان الذي يحيا حسب ناموس الطبيعة، يعرفُ احتياجاته ولا يفرِّط فيها، هكذا يعرف الذين يَحيون حسب وصايا المسيح، ما هي احتياجاتهم الضرورية، ويميِّزون بين ما هو أساسي وما هو زائد بلا حتمية؛ لذلك علينا أن نفهم شريعة الحياة؛ لأنها هي التي ترد لنا الإفراز.

علامة اقتناء الإفراز

١٣- **الصليب والتنازل عن الأهواء علامةٌ حقيقيةٌ على اقتناء الإفراز**. أمَّا الذين يعيشون برخاوةٍ وكسلٍ، فهؤلاء لا رجاء لهم بالمرة في اقتناء أي شيء.

١٤- الذي يُفسد الشركة ويزرع الخصام هو مبتدئ، ولو كان شعرُ رأسِه قد تساقط من الكِبَرِ. أمَّا الذي يزرع السلام والوئام بين الأخوة، فهو صاحبُ إفرازٍ حقيقي، ولو كان من العلمانيين.

الإفراز والمغفرة

١٥- الذي لا يغفر خطايا المسيئين وهفواتهم، لا يعرف الله، ولو كان من أصحاب درجات الكهنوت. مثل هذا لا مكان له في ملكوت ربنا يسوع، ومن الخطورة أن يعلِّم في البيعة.

أمَّا أصحاب الإفراز، ولو كانوا من الصيارفة، فهم أصحابُ مغفرةٍ، يعفون عن المسيئين. **راقب مَن يغفر، وأنت تعلم أنه أدرك الإفراز.**

١٦- الذي يمنع الصدقةَ عن الفقير، ويقبض يده عن العطاء، لا يمكنه أن يكون تلميذاً للرب الذي قدَّم ذاته، فلا تسمع له إذا شرح لك التعليم، ولا تعِشِ معه بالجملة لئلا تدخل قساوةُ القلبِ إلى قلبك، وتعدمك المعرفة الصحيحة وتصير جاهلاً. وعن هؤلاء جميعاً قال الرسول: "المعاشرة الردية تُفسد الأخلاق الجيدة" (راجع ١ كور ١٥: ٣٣).

١٧- الجلوس في القلاية لا يعطيك الإفراز، إلَّا إذا لَازَمَه تفتيشُ النية الداخلية. وأيضاً، الصمتُ باللسان أو بالقلب لا يقدِّمك إلى الله إذا صار غايةً.

بالإفراز نعلم أن كلَّ ما تقوم به النفس هو عملٌ يساعدها على الهدوء والبقاء في حضرة الله، ولكنه لا يقدِّم النفسَ إلى الله، إنما الذي يقدِّم الله إلينا هو تواضعه الفائق ورحمته غير المحدودة التي شملت الصديقين والخطاة.

فتأمَّل كيف أنه رَحَم الصديقين والخطاة، وأعطى فَعَلَة الساعة الحادية عشر ذات الأجرة التي أخذها الذين بدأوا في أول النهار، وهذه الأجرة ليست سوى الملكوت الذي يشاء أن يعطيه للذين تابوا من الزناة والقتلة والمجدِّفين.

١٨- لقد تعلَّمنا من الآباء الذين سبقونا أن كل معرفةٍ تؤدِّي إلى الحرص على المتَعِ الجسديةِ والمنافع الوقتية هي معرفةٌ مزيَّفةٌ، ولو كانت مزينةً بالأقوال الإلهية. وكل الذين يشرحون أسرار الملكوت، دون أن يؤكِّدوا نعمة الله في ربنا يسوع المسيح هم تلاميذ اليهود وليسوا سوى قبورٍ مبيَّضَةٍ من الخارج، أي بأعمال الناموس، ومن الداخل مملوءةً بالموت والنجاسة؛ لأنها لم تتطهر بسكنى روح الحياة.

١٩- الذين يَعِظون في المجامع أو الأديرة، ولا يضعون معرفتهم على أساس التسليم الرسولي، وإنما يفصِّلون كلمة الحق لأجل ضلال السامعين، هؤلاء لا يمكنهم البقاء على كرسي التعليم طويلاً؛ لأن البحث عن منافع الناس يقود دائماً إلى تذبذُب المعلِّمين، ولذلك علينا أن نهرب من هؤلاء ونُقبِل إلى كلمات ربنا يسوع المسيح.

٢٠- كلُّ تعليمٍ لا يضع قانون الإيمان أساساً -حتى لصوم الأربعاء والجمعة- هو تعليمٌ بعيدٌ عن ينبوع الحياة، أي الإيمان المقدَّس، ولا يقدِّم لنا سوى موت الإنسان وهرطقة الخارجين، أمَّا الذين يسلكون حسب هذا الطريق، عليهم رحمة الله ونعمة.

صفرونيوس خادم الله يسأل صلواتكم.

البِرُّ الذاتي وأفكارُ الدنسِ

١- الربُّ يحفظ خائفيه، ويحمل الضعفاء على منكبيه، وبستر مظلته يسترهم، وفي ساعة التجربة يمسك بيدهم، فلا يعثرون.

الأخوة الذين تزعِجهم أفكار الدنس، عليهم أن يعلموا أن الانزعاج هو غايةُ الشرير؛ لأنه يكفي أن ننتبه إلى مشورته، لنفقد حياة التأمل وننصرف إلى الأمور السلبية التي لا ثمر فيها.

سألني أحدهم إن كنت أنا نفسي -بعد أن شاب شعر رأسي وبدأت لحيتي تتساقط- أُهاجَمُ بأفكار الدنس وصور وخيالات الحياة الفاسدة؟ فقلت له: نعم، وأحياناً وأنا أُقدِّس تقاطعني الأفكار السوداء. فدُهِشَ الأخ؛ لأنه ظَنَّ أن التقدُّم في العمر يحمي الإنسان من الأفكار المشوشة.

٢- لا الأيام مهما طالت، ولا كثرة السهر، ولا الدوام على الانقطاع عن الطعام يحمي عقل الإنسان من أفكار السوء.

٣- لكن المواظبة على إهمالها وعدم التَطلُّع فيها يُفقِدُها قوتها.

٤- لا تفرح إذا مَرَّت عليك أيامُ هدوءٍ، ولا تنزعج أيضاً، بل ليكن قلبك ثابتاً في الصلاة وخدمة الإخوة؛ لأن الصلاةَ نقاوةٌ للفكر، وخدمة الإخوة، لا سيما التعب، ينقي الجسد من زيادة القوة ويحفظه هادئاً. أمَّا التواضع، فسورٌ عظيم؛ لأن المتَّكِل على الرب، يجد في اتكاله عزاءً وتصغر نفسه.

٥- لا تحاول حماية فكرك؛ لأنك تُباغَت مهما فعلت، ولكن أجعل لفكرك هدفاً تتطلع إليه. وفي حياة التأمل، يتعلم العقل كيف تفقد المباغَتةُ الشريرةُ قوتها. بعد ذلك، يثير عليك العدو أفكاراً غريبةً لم تعبر مطلقاً بفكرك، وهي من الخبرة الماضية، فلا تفزع ولا تظن أنكَ هالكٌ.

٦- فأنت لا تخلُص بحُسنِ فكرك، ولا تتقدس بخلو فكرك من السوء والظن، وإنما تخلُص برحمة المسيح، وتتقدس بالكلمة، وبالسر العظيم، وبسكنى الروح القدس.

٧- لذلك، لا تقتني في قلبك الاعتقادَ بأن اقترابَكَ أنت من الله هو الذي

ينجِّيك، وإنما آمن الإيمان الصحيح بأن اقترابَ الله منكَ متجسِّداً في ابنه الوحيد، هو الذي ينجِّيك.

٨- كلَّما نما إيمانك، زاد اتضاعُك؛ لأنك ترى الله القدوس يمدُّ يدَ المصالحةِ والسلام نحوك. فلا تظن أنه صالحك لأنك أنت الذي تمدُّ يدك إليه؛ بل لأنه جاء إليك وأعطاك ابنه الوحيد. فهو الذي جذبك نحوه، ولست أنت الذي جذبته؛ لأن ربنا يسوع المسيح قال: "لا يقدر أحدٌ أن يأتي إليَّ، إن لم يجتذبه الآب أولاً". فإن كان هو الذي أتى إليك، فلماذا ينمو بِرُّكَ الذاتي وتقول: ها أنا قد أتيت إليه؟ لأن كلَّ مرةٍ يقوى فيها بِرُّكَ الذاتي، تقوى فيها الأفكارُ المعانِدةُ وتسلبك ذلك الفرح الغريب الذي ليس من الله.

أمَّا سيدنا له المجد، فقد قال: "تفرحون بفرحٍ مجيد"، وأضاف: "ويعجزُ الكلُّ عن أن ينزع فرحكم منكم"، أمَّا هذا الفرح، فهو المسيح نفسه، الذي وَهَبَ ذاته لأجلنا، وبقوة هذه الهبة نتشجع ونتقوى؛ لأنه إن كنا "ونحن خطاة، قد صُولِحنا، فكم بالحري الآن ونحن مُصالَحون"، كيف يتوانى هو عن خلاصنا؟

٩- لنكفّ عن الانزعاج، ولنضع آذان نفوسنا عند كلمة الله الحية القوية التي لها سلطان الحياة، ونسمع خبر الفرح بقيامة ربنا يسوع المسيح، فتكُفُّ شوشرةُ الأرواح الرديئة عنا.

سلامٌ من الربِّ. أنا أخوكم صفرونيوس، أطلب صلواتَكم عني.

الشّكوكُ والإيمان الحي

إلى الأخوة الذين لهم "الإيمان المسلَّم مرةً إلى القديسين"،

صفرونيوس يهدي السلام في الرب الذي أحبنا.

١- التوبة من الأعمال الميتة، التي حذَّرنا منها الرسول، لا تكون إلَّا بالإيمان الحي. أمَّا الذي مات إيمانه، فلا رجاء له.

٢- الإيمان ليس تصديقاً فقط، وإنما الإيمان هو تصديقٌ ورجاءُ الحياةِ المبارَك الذي أظهره الله في أوقاته، أي في تدبير تجسد الابن الوحيد وقيامته. والذين ذاقوا قوة الموت واختبروا شوكته وسقطوا تحت طغيان الخطية، هؤلاء يطلبون بكل قلوبهم الحياة، ويؤمنون -بسبب خضوعهم لقوة الموت واستبداده- بالحياة الغالبة التي في المسيح، وبأن لهم الابن يسوع المسيح القيامة والخلاص من الموت.

٣- الإيمان هو إدراك الحياة. والذين يدركون أن الخطية تميت، يطلبون الحياة الباقية من الله. وهؤلاء، عندما يسعون إلى الحياة، تدركهم نعمة ربنا يسوع الفائقة التي قال عنها الرسول إنها "أُظهرت في الأزمنة الأخيرة" داعيةً إيانا إلى أن ننكر الفجور. وإنكار الفجور لا يصدر إلَّا عن النفس التي سقطت تحت سلطان الموت، وأدركت أنها سوف تبيد بالخطية. ولذلك يقول الرسول إن التقوى تدعونا إلى حياة البر بسبب مجيء ابن الله في الجسد: "عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد". وربنا له المجد عندما جاء إلينا، فقد علَّمنا كيف نعيش الحياة التي تليق بنا كأولاد الله. لأن الابن تجسد لكي يعلِّمنا كيف نكون أبناء الآب، وأعلن ذاته إلهاً ومن جوهر الآب. وبدون الإيمان به إلهاً متجسداً؛ نسقط تحت لعنة الموت، كما سقط أريوس المبتدع الذي قطع نفسه من شركة الحياة الأبدية، وصار فرزه من شركة الكنيسة ظاهراً للكل.

٤- الإيمان يقود المحبة، ولكن المحبة تقود الإيمان أيضاً. والذين يحبون الرب من كل قلوبهم لا يمكنهم أن يرفضوا مواعيده، وإنما مهما قال الله، فكل أقواله مقبولة؛ لأن المحبة تصدِّق كل شيء، وترجو نوال المواعيد بالصبر وبالثبات.

إن فَقَدَتْ المحبةُ الثباتَ، فقد تخلَّت عن الإيمان، وإن فَقَدَ الإيمانُ المحبةَ، فَقَدَ

قوة ورجاء المواعيد. أريني إنساناً يحيا بالإيمان وحده بدون محبة، وأنا أُريك كيف ينمو الإيمان بالمحبة؟ لقد وصل الإيمان إلى أغوار أسرار الله دون أن يفحص عن كيف ولماذا، بسبب المحبة التي تزرع الفرح في القلب، وتعطي النفس ثقةً في تذوق أسرار الله، وترجو طلوع الثمر ونوال مواعيد الله.

٥- أمَّا الشكوك النابعة من انقسام القلب وعدم قدرة الفكر على التصديق، فهي آتيةٌ من الحياة القديمة التي تثق في شموخ الفكر، وكأن الإنسانَ -بالفكرِ- قادرٌ على أن يصل إلى الله.

الذي لا يصدِّق نعمة الله، فهو متشامخٌ. أما الذي يَشُكُّ، فهو عديم الخبرة في كلام البر، لم يتدرَّب على التمييز بين الحياة والموت. والنفس التي تقتني التمييز بين الحياة والموت، لا تتأخر عن الإيمان بالمسيح، ولا ترفض النعمة؛ لأن الادراك الذي فيها يحثُّها من آنٍ لآخر على أن تؤمن، فتطلب الخلاص من الموت بثبات.

٦- شكوكُ المبتدئين تحتاج إلى فحصٍ؛ لأن بعضها من قلة المعرفة، وبعضها من نقص الاختبار. أمَّا أغلبها، فهو عندما يطبِّق الإنسانُ مقاييس الفكر المتشامخ، وتعظُّم المعيشة على أسرار الله.

٧- الفكر الذي ذاق النقاوة، يرى الشكوكَ نابعةً من المخاوف، ومن فكر الحياة القديمة، وبكل وضوح يعبُر في هدوء بلا معوقات. أمَّا الفكر الذي تدنَّس بالسقوط، فهو يقف عند الشكوك ويلاجج ويجادل فيها بقوة كأنه سوف يخسر الكثير إذا لم يناقشها، ويتوهم أن خسارته أكبر إذا لم يذُق الدنس.

٨- قوةُ الشَّكِ في انقسام الفكر، وقوةُ الانقسام في خدمة ربَّين وسيِّدَين: الله والمال. **ولم يعنِ الربُّ أن الدنانير هي المال، إنما الحياةُ الخاضعةُ للموت،** والتي تظن أنها قوية بما تملك وتتشامخ حتى على الخالق الصالح الذي أبدع كل شيء من العدم.

٩- قال النبي إن الله جعل أمامنا طريقين: واحداً للحياة وآخر للموت. واحدٌ من الله والآخر من الآلهة المزيَّفة، فلا يجب أن يتأخر أحدٌ في التمييز بين الله والبعل. وأن يذبح بكلمة الله كل أنبياء البعل، أي الشكوك المانعة من إدراك نعمة الله.

لأن إيليا ذَبَحَهم بعد نزول النار من السماء. وهكذا الذي يطلب نار الروح القدس ويستنير بسكنى الثالوث، لا يقبل الشكوكَ، وإنما يقتلعها قبل أن تنمو وتصير شجرة موت.

١٠- الشكوكُ في ظاهرها تكتسي بثوب المعرفة؛ لأنها تبدو أفكاراً صالحةً، وهي تدعو الانسانَ دائماً إما إلى الاحتفاظ بحياته لنفسه، أو الاحتفاظ بالمقتنيات؛ لأن ذلك يُكثِر الشِّجَار والمشاحنات والانقسامات، أينما يعيش حسب الجسد، أي أنه أسيرٌ للشَّكِ في جدوى ومنفعة الحياة الجديدة في المسيح.

مرارةُ الانقسام ثمرةٌ لا تنمو إلا على شجرةِ الشِّكِ، ولذلك جاء الربُّ وصُلِبَ على الصليب من أجل شّكِ الانسانِ في صلاح الله، وأَظهَرَ لنا بموته الحياةَ الجديدةَ الآتية منه، هبةً وعطيةً ليست مِنَّا، وإنما بالإيمان به.

١١- التكاسُل في علاج الانقسامات ووضع دواء ومرهم المحبة، هو علامةٌ أكيدةٌ على أننا لسنا في الإيمان. أمَّا الذين يتأخرون في المصالحة مع الإخوة، أو يهملون الذين أحزنوهم، فهؤلاء مثل سِباعٍ كاسِرةٍ لا رجاء لهم إلا بالموت عن الذات الذي يلد الوداعة، "وحِلم المسيح وصبره"؛ **لأن حِلم المسيح ليس إلا بذل الذات وتواضعه وقبوله لأن يموت عنَّا. أمَّا صبره، فهو انتظاره في الهاوية ثلاثة أيام.**

١٢- البُغضةُ سُمٌّ قاتل، يُصنع من الشك، ويقتل كلَّ شيءٍ حيٍّ في الحياة؛ لأن البُغضةَ ليست سوى التشبُّه بالشياطين، الذين يقاتلون الناس لكي يمنعوهم عن ميراث ربنا يسوع المسيح. والبُغضةُ ثمرةُ الموت؛ لأن الذي يقع تحت سلطان الموت، لا يتعلم من موته سوى الخوف والاحجام عن بذل الذات، وكراهية الإخوة. وبدون الإيمان لا يمكن أن يطهِّر قلبه من البُغضة؛ لأن الإيمان يدعونا إلى أن نرث ملكوت ربنا يسوع المسيح الذي ليس لنا ولا نستحقه كمكافأة على بذل الذات، وإنما هبة الله في المسيح يسوع.

فالإيمان يستهين بالمشقات ويستهين بالموت نفسه، ليس بالاستهتار بالحياة، وإنما لأنه يرى عذوبة الحياة مع الله، فيرفض أن يتركها مهما كان الخطر، ولو بقطع الأعضاء كل ساعة.

١٣- الإيمان يقود إلى التوبة، ويصبح هو إشارة التوبة. والإيمان الذي لا يقود إلى التوبة، يمرض بأمراض الخطية ويموت. أمَّا الإيمان الذي يقود إلى التوبة، فهو الذي يُسرع إلى التخلِّي عن الذات، ويطلب الحياة الجديدة. وقبل التخلي عن الذات، يكون الإيمانُ بذرةً غير نامية، أمَّا بالتخلي عن الذات، فإنه ينمو يوماً فيوماً ويدرك قوة مواعيد الله، وبالرجاء يؤول إلى شجرةٍ تثمر بالمحبة.

١٤- أمَّا الذين بالإيمان يطلبون الحياة الحسنة العبادة، فيسعَون وراء الفضائل ويرونها القوة الحقيقية ويُقبلُون عليها؛ لأن فيها بركة مواعيد الله وصورة الحياة الآتية.

أمَّا الرذائل القاتلة للنفس والتي تُهلك قوة الجسد، فبالإيمان وحده نتعرف عليها كصورة الحياة التي تفسَد بسبب الابتعاد عن الله. هذه تبتعد عنها النفس بقوة الإيمان، وترذلها بالالتصاق بالمسيح وبصليبه؛ "لأن العالم قد صُلِبَ بموت الرب"، فلا تقدر النفسُ أن تعود إلى سلوكها القديم متى تحققت أن سلوكها هو الموت والتغرُّب عن الله. أمَّا بالإيمان، فهي تقبل أن تتغرَّب عن الجسد والعالم والمقتنيات وكل شيء آخر، وتحسب الكلَّ "نفايةً" لكي تربح الحياة الأبدية في المسيح يسوع ربنا.

١٥- إن كانت فينا بقيةٌ من الحياة القديمة، فهذه نراها في الفكر الذي قال عنه الرسول بولس إننا عندما كنا نحيا حسب الإنسان الفاسد بالشهوات، كُنا "أعداء لله بالفكر"، وحيث الفكر الشرير الذي يضل الإنسان ويبعده عن الله، ويرغِّب إليه الرذائل ويصوِّر الفضائلَ كجبلٍ ثقيل لا يقوى عليه، مع أننا بالإيمان قادرون على أن نحرِّك الجبال، سواء كانت خطايانا، أو ما يبدو مستحيلاً على النفس، وهو الحياة الدائمة في الله. فالفكرُ النابعُ من الحياة القديمة هو الذي يقودنا بعيداً عن الله؛ لأنه يحوِّل النِّيةَ الداخلية، ويخلقُ في المخيِّلةِ الصورَ الخيالية، ويهيئ لها أن تقع تحت سيطرة الأرواح الشريرة.

كان أحدُ الأخوة يقرأ الأناجيل الأربعة لكي يعثر على تناقضٍ في أقوال الرب، وكان كلما قرأ الأناجيل، حاربته الشكوك، فجاء يقول إنه يفضِّل الاكتفاء برسائل بولس، وبعد ذلك جاء ليقول إنه يفضِّل بعضها، وأخيراً كفَّ تماماً عن القراءة، وبدأ يفكر في أن يعود إلى سيرته الأولى. ولما جاء إلى الدير الذي كنت مقيماً فيه وعَرَضَ

عليَّ فكره، قلت له إنك لا تستطيع أن تكون تلميذاً للرب وقاضياً في آنٍ واحد. إمَّا أن تقبل بشارة الخلاص، وإما أن ترفضها. والقبولُ ليس رضاءَ الفكر فقط، بل أن تخرج من الحياة القديمة وتسعى إلى الحياة الجديدة في المسيح. ولما أخذ في الجدال قلت له إنني مقيمٌ منذ تسعين سنة ولم أتعلم سوى طاعة الوصية، فكيف أجلس في مجلس قضاءٍ لكي أُحاكِم الآباء الرسل الذين سلَّمونا الإيمان؟ فخرج على الفور من الدير وذهب إلى حيث يشاء، رغم دموع الإخوة. ولما جلسنا في الكنيسة حرَّك روحُ الربِّ أحدَ الشيوخ وقال "إن الذي يترك الوصية الأولى الكاملة، وهي جحد الذات، لا تنفعه كتبُ الحكمة، ولا مشورة الشيوخ؛ لأن الذي لا يهديه فكره إلى الحق لا ينتفع مما يسمع من تعاليم". لذلك، ليكن لنا ضميرٌ من الإيمان يدلُّنا على الخلاص وعلى النجاة من ضلال الفكر العتيق.

١٦- لا يجب أن نفزع من الشكوك أو نرتعب منها؛ لأن الشيطان لا يسعى إلا لكي يسيطر علينا الاضطرابُ والقلقُ، وبذلك نتحول من تأمُّل الأمور المقدسة إلى مقاتلة الأفكار العقيمة الميتة التي بلا فائدة، وبذلك نصبح مثل السائر في البرية وقد اختلطت عليه الطرق، فتقاطعت وتشابكت، فنسى اتجاهه وطريقه الذي كان يسلكه، وسار على غير هدىً. هكذا يكون الذين يقاتلون الشكوك بإطالة النظر فيها ومحاولة التغلب عليها بالفكر وحده. أمَّا الشكوك، فلا يقهرها إلا اتضاع الفكر وعدم الاتكال على الأهواء التي تدفعنا إلى التفكير غير المتزن، وإلى عدم رؤية الشكوك على حقيقتها.

١٧- الفكرُ الصالح ظاهرٌ جداً ولا يحتاج إلى تخمين، بل هو ظاهرٌ لأنه نورٌ من النور الكلي الصلاح، أي الله. أمَّا الفكر الشرير، فهو ظلمةٌ، يقود إلى البُغضة والافتراق والحسد والنميمة والكذب، وهذا لا يحتاج إلى إيضاح. أما الفكر الشرير الذي يبدو نوراً مضيئاً، فهو لا يغشُّ إلَّا عديمي الخبرة. هؤلاء لا يفهمون أن ما يرونه ليس صلاحاً، إنما هو ظلمة؛ لأن كل فكر يبعدنا عن الله ويخلق الانقسامات، ليس من الله.

١٨- أمَّا الحق الذي من الله، فهو لا يخلق الانقسامات، وإنما هو مثل الغربال

الذي يفصل الحبوب عن القش، وهكذا لا يصطدم بالحق إلَّا مَن يريد أن يعيش لنفسه، وهذا موته ظاهرٌ. لأن الربَّ هو صخرةُ شكٍّ وحجرُ عثرةٍ للذين يصطدمون به فقط، أما الذين يقاومونه، فيسقط عليهم الحجر ويسحقهم. فهو لم يأتِ لكي يبدد ويُهلك، وإنما لكي يخلِّص ما قد هلك.

١٩- الفكر الصالح لا يُعيدنا إلى تصرفات وأهواء الحياة القديمة التي عشناها قبل أن نجدد ذواتنا ونرفض العالم. وكلُّ فكرٍ يبدو صالحاً، علينا أن نرى، لا بدايته فقط، وإنما نهايته أيضاً؛ لأن أي مخلوق لا يُعرَف فقط من رأسه، وإنما يُعرف أيضاً من قدميه، ومن طبيعة تكوينه، إن كان حيواناً أم إنساناً. هكذا كل الذين يراقبون مولد الأفكار ويتأملونها حتى نهايتها، لا يعثرون مطلقاً، وإنما يرون حفرةَ الموت وفم الهاوية، ويعبرون أمامه بالإيمان الذي فيهم، والذي "سَدَّ حتى أفواه الأسود".

٢٠- أما إذا صارعتنا الشكوكُ ودام الصراعُ، فاعلموا أن القلب في الداخل ليس طاهراً ولا النية نقية. وأحياناً يكون الجهل الذي فينا هو مصدر طول قتال الشكوك؛ لأن العقل العديم الخبرة يظل يدور مثل الثور الذي في الساقية نهاراً كاملاً، ويتعب دون أن يبتعد عن مكانه مطلقاً؛ لأنه مقيَّدٌ بالحبال والأخشاب. هكذا العقل المثقل بالاهتمامات الباطلة، تدور أفكاره مثل ثورِ الساقية مربوطاً بالأهواء والشهوات لا يفارقها، ويتعب منها دون جدوى. لذلك، علينا أن نرحل من أرض الشكوك بالتأمل في الأمور السماوية، وإن تعذَّر علينا التأمل بسبب ضيق القلب، فلنرحل بالتسبيح أو بخدمة الأخوة، أو براحة النوم. وكل هذا، فليكن بإفراز، وحسب التدبير الذي نعيش به.

٢١- الشكوكُ مثل نبعِ مياهٍ مالحةٍ، تتحرك وتفيض في أوقات انعدام المطر؛ لأن المياه العذبة تفيض دائماً من الأماكن العالية، وتنحدر من على الجبال إلى الوديان. أما المياه المالحة، فهي كثيراً ما تنبع من أماكن حجرية ومالحة، وبالتالي تأخذ مذاق الينبوع. هكذا الشكوكُ، تحمل معها دائماً رائحة ومذاق "رئيس عالم الظلمة الشرير"، وتأتي أحياناً في شكل ملاك نور، ولكن كبرياء الملائكة الساقطين ظاهرٌ؛ لأن الفكر الشرير يدعونا إلى مصارعة الأخوة وقتالهم باللسان أو باليد أحياناً.

كما أنه يدعونا إلى أن نلبس صورة الفاسد والطاغية، أو صورة المهلِك، وهو اسم الشيطان. ويكون طعم هذه الأفكار ظاهراً لمن كانت عنده حاسة التذوق سليمة. أما المستبيح، فيفقد التمييز، وعنده يصبح الملح مثل العسل، والصواب مثل الخطأ، ويصير مثل عيسو الذي باع بركة البكر بطعامٍ فانٍ، مع أن بركة البكر قادرة على أن تعطيه طعاماً وفيراً.

لنفحص أفكارنا في هدوءٍ وتمييز؛ حتى لا نخطئ دون إرادتنا، ونهلك بمشورة المقاتل المهلِك الشيطان.

٢٢- يصلح للمبتدئين أن يكون لهم كمال المعرفة بالتأمل في الأمور الصالحة والسماوية. فالذي يزرع بذرةً يعلم أنها تنمو إلى شجرةٍ عظيمة، هكذا المعرفة. وعلينا أن نتدرَّب ونتعلم من الشيوخ، ثمار كل بذرة على حدة، إن كانت المحبة أو خدمة الأخوة، حتى يكون لنا إدراكٌ للثمر الذي نرجوه، وبهذا ننجو من شراك العدو. فالذي يزرع حنطةً، لا يتوقع أن يحصد غيرها، أمَّا الذي يزرع شوكاً، فهو يعرف شكل الشوك. لأجل ذلك، علينا أن نتمسك بوصية الرسول: "ما يزرعه الإنسان، إياه يحصد".

لقد ظهر البِرُّ، وأعلن الربُّ الحقَ، وأكَّده بصليبه وموته وقيامته، فمَن يحيا لنفسه، يسقط سريعاً ولو كان عقله يسع كتب البيعة كلها. أمَّا مَن يحيا للرب، فهو الذي يعبرُ مثل سبَّاحٍ ماهرٍ، بِحارَ الشكوكِ، ويدخل بالطاعة للوصية، أرض الموعد الحسنة التي هي أورشليم السماوية، الكنيسة الجامعة.

٢٣- لندرس كيف سقط هراطقةٌ كانوا من الإكليروس، وكانوا يدرسون أقوال الله والأسفار الإلهية. هؤلاء فرزتهم الكنيسة الجامعة؛ لأنهم فقدوا ينبوع الحياة، أي الرب يسوع المسيح نفسه.

ولنبتعد عن الشكوك وسُمِّ الهرطقة، ونشرب من تعاليم الجامعة الوحيدة المقدسة الرسولية؛ لأنها غرست لنا العلامات التي تفصل بين تخوم الرب وتخوم الموت. أمَّا تخوم الرب، فهو قانون الإيمان الذي هو وصية الرسل، وما سلَّمه إلينا الآباء وقرارات المجامع المقدسة. والذين يعيشون بهذا الإيمان، ينالون رحمةً ومعونةً من الله، ويميِّزون

بين الشكوك والهرطقات، والإيمان الرسولي.

٢٤- على هذا الأساس المتين، أي الاعتراف بالإيمان الأُرثوذكسي، تأسست الوحيدة الجامعة الرسولية، كنيسة الله، وكلُّ مَن يبني على غير هذا الأساس، يهلك ولو كانت فيه كل بحور العلم والحكمة.

صفرونيوس يسأل صلواتكم.

الطريق الملوكي

١- متى تجوز الراحة ومتى يحق لنا أن نتعب؟

لم يضع الآباء الذين سلَّمونا حياة الرهبنة مقياساً عاماً للكل، وإنما أوصونا بالاعتدال؛ لأنه الطريق الملوكي الذي يخلِّص كثيرين.

٢- بالنسبة للإخوة الذين يحفظون قانون المزامير، كثرة الصلوات وإطالة الوقوف تشحذ الإرادة وتقوي العزم. لكن مَن كان جسده ضعيفاً ولا يقوى على الوقوف فليجلس. أمَّا إذا تشتَّت فكره واستحالت عليه الصلاة، فليسجد ويعود إلى الوقوف. فقد استلمنا من الآباء الذين سلكوا نفس الطريق أن الإنسان يصلي واقفاً بسبب الكسل؛ لأن الوقوفَ انتباهٌ ويقظة.

٣- إذا حلَّ تعبُ الجسد بنا، وتعذَّر علينا أن نقف، فلنجلس أو ننام، ولو قبل الوقت؛ لأن النومَ راحةٌ للجسد، ومتى نام الإنسان؛ وَجَدَ في نومه قدرةً على الصلوات المبكرة.

٤- الذين يقاتَلون بعدم الرغبة في الصلاة، يحسُنُ بهم أن يمارسوا سجدات كثيرة، وطلبات قصيرة، ومزامير أقل، وأن ينشغلوا بقراءة الكتب الإلهية؛ لأن البحث في كلمة الله ينشِّطُ العقلَ ويجدِّدُ إرادة الإنسان. وإن وجدوا أن الأمرَ طال بهم، وصاروا مثل مركبٍ بلا شراع، فالخروجُ من القلاية خطرٌ، والانشغالُ بالأحاديث مع الأخوة أكثرُ خطورةٍ.

٥- القلب الذي يجد تعزيةً وسلاماً في الحديث مع الإخوة، ولا يجدها في كلمة الله، هو مثل طفلٍ صغير يكاد يغرق وهو لا يدري.

٦- علينا باليقظة؛ لأنها تُعيدنا إلى الاتزان وإلى الصبر، وتُرجِعنا إلى طريق الراحة الحقيقية.

٧- فترات التعب الشديد التي تجعل أفكارنا مثل حجارةٍ ثقيلةٍ هي علامةٌ على أننا نحتاج إلى الصمت والراحة الجسدية، فمتى صرنا في مثل هذه الحالة، فلننم لأن رحمةَ الربِّ أعظمُ من جهادنا.

٨- على كل إنسان أن يتبع ما تطيقه نفسه، وهو ما لا يتسبب في ارتباك حياته؛ لأن المرتبك -ولو هو في الملكوت، ومع الذين قاموا من الأموات- لا يجد سعادةً وفرحاً.

٩- لقد دعانا الله برحمته الفائقة أن نكون آنيةً مقدسةً لخدمته؛ لذلك لا يجب أن نتطلع إلى القمم العالية ونشتاق إليها كما لو كان فيها خلاصنا، وإنما إلى محبته وصبره علينا؛ لأن صبر الله وحده هو "الذي يقودنا إلى التوبة" كما قال الرسول.

١٠- الاعتدال في الأكل وبساطة الملبس والسير (المشي) والسجود يحفظ الجسد هادئاً. لكن هدوء الجسد ليس بتولية، وإنما هدوء القلب وفرحه بالروح القدس هو البتولية الحقيقية؛ لأن والدة الإله لم تحبل بالابن الكلمة من زرع بشر، وهي صارت مثالاً لكل الذين اقتنوا البتولية بالحَبَلِ بالابن الكلمة، أي سكناهُ فيهم ليس حسب الجسد، بل حسب الروح.

١١- هدوءُ القلبِ هو بداية الحَبَلِ، أمَّا التسليم، فهو أوجاع الولادة. ومتى وُلِدنا، أي تغيَّرت حياتنا وأثمرت لله، صارت الثمرة في حاجة إلى لبن المحبة العديم الغش الذي يعطيه الروح القدس للذين يطلبونه.

سلامٌ من الرب.

المعنى الحسِّي والمعنى الروحي
للأقوال الإلهية

١- صفرونيوس إلى الإخوة الذين في الشركة.

صلوا لأجلنا؛ لأن الصلاةَ تشُدُّ أزرَ المقاتلين وتقوِّي عزمهم، أمَّا الذين يستسلمون لنزوات الجسد وأهواء النفس، فهؤلاء يحتاجون مِنَّا إلى دموعٍ مع الصلوات.

٢- كتبتم إلينا عن المعنى الحسي والمعنى الروحي لأقوال الله الحية، وما أكتبه إليكم، هو ما استلمته أنا من الذين عاشوا قبلنا، وسلَّمونا الوديعةَ، أي الإيمان الأرثوذكسي.

٣- ليست كلُّ أقوال الله ذاتَ أعماقٍ واحدة، كما أن الذين يرونها، ليست لهم ذات قوة النظر. وعيونُ الأطفال تختلف في تركيبها عن عيون الشيوخ، ولكن الإدراكَ مختلفٌ. وهكذا الذين يقرأون كلمة الله، فليست العبرة بمن يقرأ، ولكن العبرة في الإدراك الذي يتكوَّن من خلال الصلاة والحياة الحسنة والعبادة.

٤- الأقوالُ الإلهية لا يمكن أن تؤدِّي بنا إلى إنكار العقيدة المسلَّمة إلينا من القديسين. وكمثالٍ لذلك، عندما جادل بعضُ الأخوة حول معنى قول الرب: "هذا هو جسدي .. وهذا هو دمي"، فقد قال أحد الشيوخ إن الكلام له معنى ظاهر؛ لأن الربَّ تجسد فعلاً ومات على الصليب، ولذلك، إذا قال: "هذا هو جسدي وهذا هو دمي"، فهو يعني فعلاً جسده ودمه بالمعنى المحسوس الواضح. لكن هناك عمقاً روحياً في الكلمات ندركه من قول الرب نفسه؛ لأن الجسد، جسدٌ حيٌّ ومحييٌّ، فمنه نأخذ الحياة الأبدية كما قال ربنا: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان ليس لكم حياة فيكم"، وبهذا صار من الواضح أن الأكل هو الذي يؤخذ روحياً، وليس حسب ظاهر الكلمات المحسوسة.

٥- لقد سأل الأخوة عندما كنا نقرأ الرسالة إلى العبرانيين في المجمع عن معنى قول الرسول عن الذين عاشوا بالإيمان أنهم "أطفئوا قوة النار". وقال أحد الشيوخ إن النار لم تقوَ على أنفسهم لأنها حيةٌ بالله، وبالتالي صار اللهيبُ لا شيء، رغم أنه أكل أجسادهم. هذا المعنى صحيح؛ لأنه يعتمد على قول الرب عن عدم الخوف من الموت حسب الجسد، أي قتل الجسد وإشعال النار فيه، وإنما لا يجب أن يؤخذ

هذا المعنى الروحي لإنكار قدرة الإيمان على إطفاء النار بالمعنى الحسي الظاهر؛ لأن الفتية الثلاثة في أتون النار، لم تمسَّهم نيران الأتون بسبب حضور ربنا يسوع المسيح ابن الله معهم، هذا هو المقصود من قول الرسول.

٦- بنفس الروح يقول الرسول: "قارنين الروحيات بالروحيات"، وهذا يعني أن أعماق كلمة الله تُفسِّرُها أقوال الله نفسه. وبالمقارنة بين الأمور الروحية الواضحة، يصير المعنى الخفيُّ غير المعروف ظاهراً لنا. ففي قول الرب للمرأة السامرية عن الماء، معنىً خفياً لا يظهر إلَّا بالمقارنة بما جاء عن الماء في نفس الإنجيل والأقوال الأخرى، وعندئذ يصبح من الواضح أن الربَّ يتحدث عن الروح القدس الذي سوف يفيض منه على البشرية؛ لأنه هو الرأس الذي مُسِحَ أولاً، ومنه تنزل المسحة على باقي أعضاء الجسد، كما يقول المزمور.

٧- وأيضاً في قول الرسول بولس عن الكنيسة إنها "جسد المسيح الواحد"، فالمعنى الحسِّي الظاهر هو أننا فعلاً من أعضاء لحمه وعظامه، مثلما صارت حواء من آدم؛ لأنها أُخذت منه فعلاً، لكن هذه الصيرورة ليست هي المقصودة، وإنما مقصودٌ منها أننا ننال الميراث السماوي على النحو الذي قاله الرب: "حيث أكون أنا يكون خادمي معي"، وأيضاً: "أنا ذاهبٌ لكي أُعد لكم مكاناً ومتى ذهبت وأعددته لكم أجئ إليكم لكي آخذكم". **ومن الواضح أن جسد المسيح يعني شركة الميراث السماوي والمجد والبنوة من الآب. لكننا لا يجب أن ننكر وحدتنا معه في الجسد الواحد؛ لأننا صرنا شركاء المجد الإلهي، ليس بتقوانا، وإنما لأنه ألبسنا طبيعةً جديدةً هي طبيعة آدم الثاني الذي قهر الفساد والموت وَسدَّ فم الهاوية. وبدون التجسُّد ما كانت الكنيسة تُدعى جسد الابن. وبدون اتحاده بنا، لا نصير نحن أعضاء جسده. وعلى ذلك يصبح من الخطر الشديد هنا أن نفصل المعنى الحسي الظاهر عن المعنى الروحي**؛ لأننا إن فعلنا هذا نكون قد سقطنا في بدعة الخياليين الذي أنكروا مجيء ابن الله في الجسد. هؤلاء لا يمكنهم أن يظلُّوا في الكنيسة إلَّا إذا اعترفوا بها جسدَ المسيح الواحد غير المنقسم.

٨- وهكذا، لنسرعَ بوضع أقوال الله على أساس الإيمان الذي استلمناه. وأنا

أعني الإيمان الرسولي الذي هو الإيمان بالثالوث وبتجسد ابن الله وموته وقيامته، وبالفوائد الأخرى التي وضعها آباء المجمع العظيم، فهي المفاتيح التي تفتح لنا أسفار الله، وتؤكِّد صحة التعاليم التي نسمعها.

٩- وإذا كان، بمقارنة الواضح بالغامض والسِّرِّي، يصير لنا معرفةً يقينيةً، وكذلك، بالبحث عن غاية المفسِّر يصير لنا إفرازٌ؛ لأن الذي يفسِّر أقوال الله، يحكُم تفسيرُهُ على صدق إيمانه وعمقه. فالبعض الذين ينكرون المعجزات بسبب تأصُّل الفلسفة الوثنية في فكرهم، هؤلاء يميلون إلى الرمزية في التفسير هرباً من المشاكل التي يسببها المعنى الحسي. ولكن تفسير أقوال الله ليس بالهرب منها، وإنما بصدق الإيمان. فإن كان إشباع الآلاف بخمسة أرغفة يبدو أمراً فائقاً لا يصدقه العقل؛ لأنه يفوق الإدراك، فالهدف الروحي للمعجزة هو تأكيد الإيمان بأن المسيح هو حياة العالم، وإن الخبز الذي يُشبِع الإنسانية هو الإفخارستيا. وكثيراً ما قام ربنا بمعجزاتٍ كثيرة لكي يؤكِّد الأساسات التي يقوم عليها البناء، وهي أنه الإله الحي والمتَّحِد بالناسوت، وأنه خبز الحياة وماء الحياة. ومعجزات الرب كلها لا تخلو من المعاني الروحية الفائقة الظاهرة بوضوح في إطار البشارة التي حملها لنا الرسل.

وأنا أسألكم أيها الأخوة: أليس من المستطاع للرب أن يشفي الأبرص بكلمة؟ نعم، وقد أقام لعازر بكلمة، ولكنه شفى الأبرص عندما لمسه، وكذلك فعل مع المرأة النازفة الدم، إذ تركها تلمسه ومنه "خرجت قوة" شفتها؛ لأنه في كلتا المعجزتين، أظهر أنه لا يستحي من برص الإنسانية وعجزها ومرضها، وأنه لا يخجل ولا يستحي بإخوته. ومرةً لَمَسَ النعشَ لكي يؤكد أن الحياة تسري منه. أمَّا مع لعازر، فقد صرخ فيه وأعاده إلى الحياة لكي يعلن أن الكائنات كائنةٌ بكلمة قدرته، وأنه يأمر بكلمةٍ، فيعطي حياةً لمن يشاء، فهو الحامل كلَّ الأشياء بكلمة قدرته.

١٠- ولذلك، علينا ونحن نتأمل أقوال الله، أن نبحث نحن الهدف الذي لأجله كُتِبَتْ هذه الأقوال. مرَّاتٍ أكَّد الإنجيليون إيمان الرسل، وأحياناً أعلنوا عن ضعف إيمانهم، بل مرةً انتهر الربُّ بطرسَ وقال له: "أنت معثرةٌ"، فكيف نراهم مرَّاتٍ أصحابَ إيمانٍ ومرَّاتٍ ضعفاء؟ الواضح لنا، وحسب تسليم الآباء، أن الرسل كانوا

أقوياء في الإيمان متى كانوا ينفِّذون وصية رسوليتهم: "اشفوا المرضى أقيموا الموتى". ولكنهم، عندما يكونون في حضرة المسيح وهو واقفٌ معهم، فالأنظارُ تتجه إليه وحده. وأينما كان الرب واقفاً، كان الرسل يعجزون عن القيام بالمعجزات؛ لأنه متى حضر السيد، اختفى العبد. أمَّا عندما كان الربُّ بعيداً أو هم بعيدون عنه، أعطاهم السلطان على القيام بالمعجزات.

١١- وعلى هذا الأساس السليم يجب أن نبني؛ لأن الرسل كثيراً ما أظهروا ضعفهم، وهو ضعفٌ حقيقيٌّ؛ لأن السلطان العامل فيهم هو سلطان الرب. ولذلك، كثيراً ما فشلوا، حتى يظهر لنا بوضوح، أن القوة الإلهية ليست حسب مشيئتهم، وإنما حسب مشيئة السيد الذي أعطاهم وفوَّضهم في القيام بخدمة الرسولية.

١٢- أمَّا إذا تعارض تفسير أقوال الله مع التعاليم الثابتة، فإن هذا التعارض ينشأ بسبب عدم الإدراك، وهو ما أعنيه بالقول إن عيون الأطفال ليست مثل عيون الشيوخ، فعلى الرغم من أن الطبيعة الجديدة التي فينا هي طبيعة واحدة؛ لأنها هبة الله في المسيح، إلا أن الإدراك ليس واحداً في الكل. وهذا ما يدعونا إلى أن نعود إلى الذين تدرَّبوا على الإيمان واكتشفوا أعماق أقوال الله.

١٣- لكن في كل هذا، يجب أن تكون المحبة هي غاية قراءة أقوال الله؛ لأن الذي يقرأ من أجل الجدال ووضع العثرات في طريق الإخوة، فهو لا يجمع مع الرب، إنما يفرِّق مع الشيطان.

تقوَّوا في الربِّ لكي تنالوا فيضَ محبته للآب.

الربُّ يحفظنا وإياكم في محبته.

صفرونيوس يسأل صلواتكم.

روحُ الفضولِ الباطلِ

١- "لا تقل في قلبك مَن ينزل إلى الهاوية لكي يُصعِدُ المسيح مِن بين الأموات". بهذه الكلمات خاطَبَ الرسولُ الكنيسةَ الجامعة محذِّراً إياها من روح الفضول الباطل؛ لأن الذي اهتم بالخلاص، ليس البشر جميعاً، وإنما الله. ولم تذكر الكتب المقدسة أن الله أقام إنساناً مخلِّصاً، بل هو وحده المخلِّص.

٢- لذلك، احذروا أيها الإخوة سموم الأريوسية القاتلة، ولا تقل في قلبك كيف هو ابنُ الآب، وكيف هو مولودٌ قبل كل الدهور من جوهره؟ فهذه أسئلةُ الفضولِ. والبحثُ عن الأسرار الفائقة غيرُ متاحٍ للإنسان؛ لأنه مخلوقٌ من العدم، فهو لا يدري كيف خُلِقَت الأرض، ولا يدري سِرَّ اتحاد النفس بالجسد، ومتى تبدأ حياته، ولا حتى متى تنتهي. فإن كانت الأمور القريبة من الحِسِّ والإدراك، صارت صعبةً علينا، فكيف بالأسرار الإلهية العالية؟

٣- اِخبرني كيف خُلقت الأشجار، أو كيف نُظِّمت عناصر الكون؟ اِخبرني إن كنت تستطيع: كم عدد الذين عاشوا قبلنا، وكم عدد الذين سيأتون؟ فإن كنا لا نعرف هذه المسائل الصغيرة جداً، فكيف يمكننا -ونحن مجرد حبَّاتِ رملٍ على شاطئ الخليقة- أن ندرك البحرَ العظيم، أي الله الذي لا حدَّ له.

٤- لنبتعد عن الفضول ومحاولة الارتفاع إلى مستوى أعظم من مستوانا البسيط؛ لأننا كلما ارتفعنا وسقطنا، صار سقوطُنا أكثر ألماً.

٥- فإن هاجت علينا أمواجُ أسئلةٍ باطلة، لترمينا في بحيرة الحيرة والقلق وتفسد علينا الهدوء والصمت، فلنتمسك بالإقرار بأننا خُلِقنا من العدم، وليس لدينا قدرة على إدراك أغوار الله السحيقة. لنبتعد في مثل هذه الأوقات عن الجدل، ونحرص على راحة الفكر والجسد؛ لأن التعب يزيد من عدم ضبط الحواس.

صفرونيوس يسألكم الصلاة لأجله، ولأجل المبتدئين،

والذين في الشركة (الدير).

علاجُ الكآبة

من صفرونيوس إلى الإخوة الذين في دير المبتدئين.

١- سلامٌ في الربِّ إله كل تعزية، الذي إذا تركناه، هاجمتنا الأحزان وباغتتنا التجارب.

ليمنح لنا الرب يسوع بصليبه وبموته هدوءَ الجسد والروح، كما قال رسوله المجاهد: "الذي مات قد تبرَّأ من الخطية"؛ **لأن الموت الطبيعي يقتل الشهوات الطبيعية. أما الموت مع المسيح، فهو التخلي عن الحياة الفاسدة**، هذا يحيي الروح والجسد، وينقل الإنسان إلى الحياة الجديدة.

٢- الكآبةُ التي تباغتنا على حين غرةٍ، وتصرعنا مثل جزارٍ يذبحُ شاةً، هي إمَّا من العدو، وإمَّا من البقايا الطبيعية الآدمية القديمة.

فإذا كانت من العدو، فإن النفس تحسُّ بأنها محاصرةٌ من الخارج، ولكنها ترى ينبوعَ سلام الروح القدس يتدفق فيها، ولذلك إذا جزعتْ تفيق فوراً، والعدو لا يقوى عليها، ولا يقدر أن ينهب أمتعتها، إلَّا إذا غادر القوي مكانه وتركه خاوياً. **وهكذا، إذا غادر العقلُ ميناءَ سلامه وعاش في خواءٍ، فإن أصغر الأرواح المعاندة تصرعه وتقوى عليه**. أمَّا إذا ظل العقلُ في شركة السماويات، فإنه قد يُباغَت من الدار الخارجية، ولكنه من الداخل يظل في هدوء السماويات وعدم انزعاج، وحِفظ القوة الإلهية التي تضبط كل شيء داخله.

٣- الإخوة الذين ساروا في طريق الشيوخ يلزمهم حرص الشيوخ، وهؤلاء كانوا يدركون أن العمل اليدوي وقراءة الكلمة والجلوس عند المدبِّرين، هي زوايا البيت الذي يرتفع عليه هيكل الله، أي الحياة الجديدة. أمَّا غير ذلك، فلم نسمع به في الرهبنة.

٤- ولذلك عندما تُقاتُلنا الكآبة ويُهاجمنا روح التثاقُل وعدم الاهتمام، فإننا يجب أن نُسرع ونتأمل ذواتنا ونفحصها جيداً، لئلا تكون هناك شهوةٌ قديمةٌ لم تتحقق، أو رغبةٌ مستترةٌ تذكرناها بحزنٍ، أو مال عقلُنا إلى السيرة الماضية، وهان علينا أن نعيش في التجرد.

٥- إذا دامت الكآبة، فالأكل والنوم نافعٌ لنا، ولكن بدون إفراط. وراحة العقل

في النوم تفيد الحياة الداخلية للاتزان. أمَّا التسبيح والترتيل، فهو مثل مَن يفكُّ أسيراً من قيده ويطلقه إلى عنان السماء.

٦- وقت الراحة يكون اختباراً للاحتراس واليقظة. لأن في راحة الجسد فائدة عظمى للذين يكتئبون. والإخوة الذين يُهاجَمون بالكآبة، عليهم أن يمتنعوا عن الأعمال الشاقة، وأن يهتموا بالبيعة وحُسن ترتيب الكتب، ونظافة الهيكل، أو الاكتفاء بالمرور على القلالي لخدمة الشيوخ الذين يحتاجون إلى خدمة. أمَّا الصوم، فهو لا ينفع، ليس لأن أكل الطعام يقود إلى البهجة، وإنما لأن الانقطاع عن الطعام قد يزيد الكآبة الداخلية. فالقلب الكئيب قد يجرَّب بالتذمُّر، ولذلك، قلة الطعام تجربةٌ له، ولا تعود عليه بالنفع.

٧- السجودُ مفيدٌ جداً لأنه يحرر الجسد من الثقل، ولذلك تناوَل الطعام في الصباح ونصف النهار، واستعد للسجود في المساء بالامتناع عن الطعام لكي يتحرر الجسد من ثقل الطعام.

٨- الذين لا يجحدون ذواتهم بإفرازٍ تهاجمهم الأحزانُ والكآبة بقوة؛ لأن الإرادة لم تتحرر، ولا زال عندهم حساب الربح والخسارة. هؤلاء يحتاجون إلى دواء الصليب المحيي لكي تشفَ طبيعتهم من التعلق بالأمور الفانية.

٩- أمَّا السيرُ في البرية، فهو دواءٌ للعقل قبل أن يكون عملاً للجسد، والاهتمام بجمال الخليقة والشكر على عطايا الله الصالحة، يحرر القلب من الكآبة.

١٠- علينا أن نداوم السهر على أنفسنا، لا لكي نهرب من الكآبة أو من الأحزان، فالهروب لا يجدي، وإنما نسهر على أنفسنا لئلا تتسلل إلينا محبة العالم، ونجد أننا ابتعدنا عن الله قليلاً قليلاً مثل قاربٍ بلا مرساةٍ، تجرفه الأمواج الصغيرة بهدوءٍ، وبعد أيام تجده في عرض البحر، وفي وسط العواصف.

١١- الذين يعودون إلى الله يجدون دائماً سلاماً وفرحاً في توبتهم، أما الذين تملأ العظمةُ قلوبهم ويجزعون من سقوطهم، فهؤلاء تقاتلهم الكآبةُ وتقودهم لليأس. نحن لا نفرح إذا سقطنا، ولا نفرح إذا عزمنا على التوبة، وإنما نفرح لأن باب رحمة الآب السماوي مفتوحٌ على الدوام، ولن يغلق إلَّا يوم الدينونة. وطالما أن يوم الدينونة

لم يحضر، فليكن لنا رجاءٌ في رحمة الرب الذي يجذب إليه كل الخطاة.

١٢- الصلوات، لتكن بقدر؛ لأن الإطالة في الصلوات لا تفيد الذي ملأت الكآبةُ قلبه، وإنما لتخدم القراءة أكثر؛ لأن البحث في كلمة الله يجعل الإنسان يفقد الشعور بالكآبة. وإذا امتلكنا السلام والتعزية، فلنفرد قلع قارب الصلاة والتسبيح لكي نُبحر بعيداً عن المياه الراكدة.

١٣- زيارة الإخوة في القلاية، لتكن في حذَرٍ ويقظةٍ.

وإذا كانت لدينا روح الشركة الحقيقية، فالكلام مع المبتدئين التائهين ينفعهم لئلا يكون لديهم رجاءٌ كاذبٌ بأن الرهبنةَ تخلِّص الإنسانَ من التجارب، أو ترفع عنه أحزان الحياة. فالأحزان الناتجة عن الخطية أقوى من مشاكل الحياة؛ لأن أحزان الخطية لها جذورٌ في قلب الإنسان، أما أحزان الحياة اليومية، فهي تعبُر وتتغير ويجد الإنسان في قلبه قوةً على مقاومتها. لكن الخطية تقود إلى برودة القلب وعدم الاكتراث والاستخفاف، ثم تسكب الأحزان في القلب؛ لأن المشورة الفاسدة لم تنجح، ولأن الضمير أخذ ما ظنَّ أن فيه سعادته ووجده غير كامل، أو أن الإنسان تذوَّق الشرَّ ووجده غير كافٍ، فظل ينحدر باحثاً عن السعادة حتى تلاشى الإحساس بالحياة القديمة التي تعود وتقابلنا، إذا لم نسلك بفطنةِ وحكمةِ الروح.

الأحزان التي تأتي من الخطية، تؤكد أن الإنسان لم يُخلَق للشر والفساد، وإنما خُلِق لله وعلى صورته.

١٤- علينا أن نفحص دائماً عن نيتنا الداخلية: نرى أين هي، وما هو مصدر فرحها وعزائها، فإن كان فيها بقايا العالم أو رغبةٌ في الأمور غير السماوية، فلنعلم أن الأحزان والكآبة، لن تكون بعيدةً عنا.

١٥- الذين يسقطون بالجملة في براثن الكآبة ولا تقوى الإرادة عندهم على شيء، يُوضَعون مع الإخوة المرضى، ويأخذون الطعام معهم حتى ينالوا السلام.

إله كل تعزية يحفظنا بقوته، ويدبِّر حياتنا برحمته.
صلوا لأجلنا؛ لكي ننال الفرح من الله، فلا تقوى علينا الأرواح المعاندة.

لسانُ السوء

صفرونيوس إلى الإخوة في الشركة (كنوبيون)، سلامٌ في الربِّ الذي أقامنا معه. كتابةُ الرسائل لكم، تعزيةٌ وسلامٌ لقلبي، ولكني أخاف أن تصبح هذه الرسالة دينونةً رهيبةً وحكماً علينا جميعاً.

١- مَن يتكلم بلسانِ سوءٍ ضد الإخوة، هو متحالفٌ مع الشيطان، ويسعى لكي يهلك الضعفاء والصغار. وقد قال الرسول عن الشيطان إنه هو الذي يشتكي علينا، إذ يثير غضب الإخوة ضد بعضهم البعض، وبذلك يضعهم تحت الدينونة.

٢- قبيحٌ بالذين جحدوا العالم أن يتحدثوا عن أعمال الآخرين، لا سيما إذا كانت هذه الأعمال رديئةً. **لماذا يتكلم بالشِّرِ مَن صَلَبَ ذاته؟ أليس لأنه نزل من على الصليب وصار مثل اللص الذي قال لابن الله اِنزل عن صليبك لكي تبرهن لنا أنك ابن الله؟ فلمَّا سمع المخلصُ هذه، لم يرد عليه. وهكذا الذين نالوا هيئة الرب في المعمودية وصار شكلُهُ مطبوعاً فيهم، متى احتقروا بنوَّتهم لله، نزلوا عن الصليب وتشاجروا مع أهل العالم، وأخذوا يملئون قلوبهم وآذانهم وآذان الناس بالوشايات والكلام الباطل.**

لا تقل شيئاً ولا تردد شيئاً سمعته، حتى وإن كان حسناً. هكذا علَّمنا الشيوخ، فالصمتُ ليس بسكوت اللسان، وإنما أيضاً بسكوتِ القلبِ عن مذمة الناس.

٣- أمَّا الشكوى، فهي "سُمٌّ في الدسمِ"؛ **لأن الذي يشتكي يتصوَّر أن الحقَّ معه، وإن كان الحقُّ معنا فبالأولى أن نصمت؛ لأن الحقَّ لا يحتاج إلى كلام.** والحقُّ يعلنه السلوك المقدس الذي لا يحتاج إلى دفاع أو تفسير. أمَّا كلام المذمة، فهو عثرةٌ للصغار ودنسٌ للكبار وعائقٌ شيطانيٌّ في طريق تقدُمنا الروحي.

٤- لقد قال الرسول: "المحبة تستر كثرة من الخطايا"، وكان يعني بالدرجة الأولى محبة الله الذي أعطانا فرصةً للتوبة، ولم يفضح خطايانا أمام الناس، وحَفِظَ لنا هذه الكرامة حتى لا نتوجع من خدمة الناس. فلماذا لا نحفظ نحن كرامةً للخطاة حتى إذا عادوا إلى التوبة وجدوا أن فيها ميناءَ سلامٍ بلا عواصف المذمة؟

٥- قبيحٌ بالذين يقولون إنهم مسيحيون أن يذمُّوا بعضهم بعضاً. لقد أخذنا

اسمنا من المسحة التي قال عنها الرسول: "وأمَّا أنتم فلكم مِسحة من القدوس". هذه المِسحة هي عطرُ الحياة والخلاص؛ لأننا لسنا رائحةَ موتٍ تنشر المذمةَ وخطايا الإخوة، بل رائحةُ حياةٍ تنشر السلام والمحبة. فإننا إن شتمْنا الناس، وأهنّا خليقة الله، ألسنا نلطِّخ المِسحةَ الحلوةَ للخلاص التي أخذناها؟ ألا نوجد متجاسرين على مجد الله العظيم؟ لأننا بعد أن نشترك في تسبيح الشاروبيم والسارافيم في الليتورجية المقدسة، تمتزج كلمات اللعنة بألسنتنا ونصبح مثل الأرواح الشريرة المجدِّفة التي تجرِّب الله بنصبِ الشراك والفخاخ كل يوم للضعفاء والمساكين.

٦- لنحارب المذمةَ واللعنةَ والكذبَ والكلام الباطل، ليس فقط من أجل الدينونة الآتية، ولكن لأن كل هذه الخطايا، إنما تهدم الكنيسة جسد المسيح الواحد، وتلطِّخ أعضاؤه وتعيق توبة الضعفاء.

٧- صلوا لأجلنا لكي نتكلم دائماً بالحق، ولا يفارق التسبيحُ أفواهنا، وإن تحدثنا مع إخوةٍ، فليكن حديثُ المحبة دائماً في قلوبنا.

سلامٌ في الرب.

الأمانة في القليل

١- من صفرونيوس إلى الأخوة الذين في الشركة، سلامٌ في الرب.

قال الرب خالقنا: "الأمينُ في القليل أمينٌ في الكثير". والأمانة لا تقاس بالكَمِّ وإنما بالنوع، وليست القلة أو الكثرة في القنية، وإنما القلة في الجوهر مثل الكثرة في الجوهر، أي جوهر الأمانة. فالمعدن إذا أُخذ جزءٌ صغيرٌ منه، لا يفقد قيمته كمعدن، فجزءٌ صغيرٌ من الذهب مثل جبل كبير، فالجوهر لا يتغير بالكم، ولكن الجوهر يتغير بالصفات.

٢- لنفتدي الوقت ؛لأنه ليس بعدد السنوات وطول الأيام تثمر الحقول، وإنما هي تثمر على قدر البذار التي تُلقى فيها، وحسب جودة الأرض أيضاً، ومن يضع بذرة واحدة في حقل، ليس كمن يزرع الحقل كله.

٣- **الأمانة في القليل هي أن يكون الله هو حاجتنا الوحيدة، وهو ما يقودنا إلى الكثير، أي الحياة الأبدية وميراث المسيح.** مَن كان أميناً في اختياره للرب، يجد الطريق سهلاً أمامه ومعالمه واضحة. أما من يختار آخر مع الرب، فحتى المستقيمات، تصبح بالنسبة له معوجات، لذلك صرخ أشعياء ويوحنا المعمدان: "اصنعوا سبله مستقيمة" ولا تعبدوا الله والبعل.

٤- الأمانةُ اختيار الانسان، والذين يختارون يكشفون عن أمانتهم. اعطِ لطفلٍ قطعةً من السكر وقطعةً من معدنٍ ثمين، تراه يضع الأولى في فمه على الفور، أما الثانية فلا يهتم بها. وهكذا علينا أن نكشف عن معدن حياتنا الداخلي بالأمانة في الاختيار.

٥- الذين يطلبون حياة الكسل والتراخي والنوم الكثير والجلوس وعدم العمل، هؤلاء ليسوا أمناء وموتهم وشيكٌ. فقد اختاروا السقوط، **لأن الذي لا يعمل وإنما يجلس في تراخٍ، إنما يدعو الأرواح النجسة لكي تقاتله وهو غير مستعد لها.**

٦- الأمانة تعلِّمنا متى يجب علينا أن نستريح، فالراحة تكشف عن أمانتنا للرب، لأننا بالأمانة نكمِّل جحد الذات، وبالأمانة لا نُبقي على رغبةٍ داخليةٍ إلا ونأسرها لطاعة المسيح، ومتى وُضِع ذلك الإكليل على رؤوسنا، أحبت الملائكة أن

تصافحنا لأننا امتلأنا من النور الذي فيهم.

٧- الذي لا يأخذ قشةً من الأرض لأنها لا تخصه، هو بنفسِهِ، وبجوهر الأمانة عنده، لا تمتد يده إلى أكوام الذهب. أما الذين يستهين بالصغير من المقتنيات، تنمو فيه الاستهانة حتى يطلب الأحجار الثمينة. لذلك دُعيَ ربنا يسوع المسيح "الشاهد الأمين"، ليس لأنه منع الغش، ولكن لأن جوهره من الداخل كان غنياً بالأمانة، وهذا جعله أهلاً لأن يكون رأس الانسانية الجديد، ويقود القطيع كله إلى الحظيرة.

٨- أمورٌ كثيرةٌ تأتي بأسماء شتى بسبب تنوع المعرفة والاختيار، لكنها في جوهرها واحدة. فالأمانة والصلاح والصدق هي بعينها جوهر واحد، وهو أن لا يكون للإنسان هوىً خاصٌّ به، فيصير أميناً وصالحاً وصِدِّيقاً؛ لأن التخلي عن الذات وجحد الهوى هو باب الأمانة، وهو الذي يجعل القول والفعل جوهر واحد.

صفرونيوس يسأل صلواتكم.

البتولية الحقيقية

١- من صفرونيوس إلى الأخوة المبتدئين. سلامٌ في الرب.

جيدٌ أن نبدأ عمل الرب ولا تزال فينا قوة الجسد، لأن قوة الشباب هي بذرة شجرة الشيخوخة. ومَن يحيا لله في شبابه يفرد قلع قارب الشيخوخة بفرحٍ، ويُبحر نحو ميناء السلام دون عناء.

٢- الذين بدأوا بالبتولية في سن الشباب، يحصدون ثمر ما زرعوه ليس في الشيخوخة فقط، بل وفي شبابهم المبكر أيضاً. والبتولية ليست عفة الجسد، وإنما هي عفة الروح. والذين يدنِّسون ألسنتهم بالنميمة وكلام الذم والوقيعة، هؤلاء ليسوا بتوليين؛ لأن الروح التي تتدنس لا يمكن أن تقوى على مجابهة قتال الزنى.

٣- البتولية تبدأ باللسان وبالفكر قبل النطق. وهي عفةُ فكر قبل أن تكون عفةَ جسد. ومن اقتنى قوة الفكر العفيف يُبحر نحو العفة دون اضطراب، أما الذين يتكلمون بالسيئات ويفكرون في الشرور ويصومون، فالصوم لا ينقذهم من المحاربات؛ لأن الانقطاع عن الطعام تمارسه البهائم والحيوانات الدنيئة، أما الانقطاع عن الفكر الرديء، فهو الصوم الحقيقي الذي يجب أن يمارسه البشر.

٤- لقد ميَّز الله الإنسانَ عن الحيوان عندما أعطاه العقل، وهو قوة إلهية فائقة جداً تجعله قادراً على أن يختلط بالسمائيين، وأن يتأمل أسرار اللاهوت. فإذا انحطت قوتنا العقلية، فماذا بقى فينا من صورة الله، وكيف نرجو أن "نتمجد معه" ونصبح صورة السمائي يسوع المسيح ربنا؟

٥- الفكر هو قوتنا، وهو الذي يرفعنا إلى فوق وهو الذي يسقطنا إلى رتبة الحيوانات. أرني إنساناً بلا عقل، وأنا أُريك بالعقل مَن هو الإنسان. فإن كان بالعقل يقترب الإنسانُ من الله، فهو بالعقل أيضاً يسقط في فخاخ الدنس. لقد قيل: "فوق كل تحفِّظٍ احفظ قلبك"، وأضاف القول الإلهي: "لأن منه تخرج الحياة"، فالإنسان يعيش بالفكر، إما في الرذائل القاتلة، وإما في الفضائل التي تقيم النفس من الظلمة.

٦- عفةُ الجسد تبدأ بالعقل، لأن أعضاء الجسد كلها تحت سيطرة الفكر. وانظر كيف يتخيل الإنسان ذاته مراتٍ وهو يخطئ (يعنِّف الإخوة، أو يسلك بعدم

لياقة). فالجسد كله كامنٌ في عقل الإنسان، ولا يمكن أن يتحرك عضوٌ فيه إلا بإرادةٍ واضحة. لذلك علينا أن نرى كيف تحرك أفكارنُا نيَّتَنا الداخلية، وكيف توجهها إلى عمل السوء. وعلينا أيضاً أن نراقب كيف تتحرك أعضاء الجسد حسب أهواء العقل، وكيف تعمل ما لا يليق حسب عزم الفكر وقصد الإرادة.

٧- يقول بعض الإخوة إنهم يخطئون بدون هواهم. وهذا كلامٌ لا يقبله الذين اقتنوا العبادة الحسنة (التقوى). فالإنسان ربُّ أفعاله ولا يُقدِم على خطيةٍ إلا إذا كانت نائمةً في قلبه منذ زمن ولم يتُب عنها ولا تطهَّر منها، ولذلك ما أن تأتي الفرصة حتى تقدِّم الذاكرة المدنَّسة ما خبأته النية، وتُظهِر هذه الخطايا على حين غرةٍ، لأنها بالحقيقة كامنة مثل بذرة تنمو حسب قول الرسول: "إن الشهوة متى حبلت تلد الخطية".

٨- باطلٌ وقبضُ الريح أن يسعى الانسان إلى ضبط جسده بالامتناع عن الطعام والسهر والصلوات، دون أن يحصِّن نيته الداخلية برفض الخطية. لأن مَن يعمل هذا يشبه مَن يقيِّد حماراً من ذنبه ويترك قدميه بلا قيد. فالجسد مهما ناله من هزال، لا يمنح الإنسانَ الفكرَ العفيف؛ لأنه لا يكف عن الشغب، ولكن يبقى العمل الحقيقي، وهو ضبط نية الإنسان من الداخل.

٩- المبتدئون الذين يُحارَبون بالأهواء، لا يمكنهم الحصول على السلام إلا إذا مارسوا جحدَ الذات بعزمٍ، وصار جحدُ الذات عندهم هو بذرة البتولية التي تنمو مثل شجرةٍ عظيمةٍ تسقيها الصلوات وخدمة الإخوة والسهر.

الإنسان ذو القلبين هو أصلاً ذو لسانين، وقال عنه الرسول أيضاً إنه مثل موج البحر لا ينال شيئاً من الرب. إن كان لنا قلبٌ نحب به الرب، وقلبٌ آخر نشتاق به للخطية، فقد حلَّ فينا الانقسام وصار الخراب قريباً منا، لكن مَن يجحد ذاته في كل قولٍ وفعل، فهذا يقتني إرادةً صارمةً مثل سيفٍ بتَّارٍ، يرى الأفكار الشريرة آتية عليه ويضربها بقوة الاتضاع.

١٠- علينا أن نقتني الإفراز، وهو الذي يقود الانسان نحو السلام الحقيقي. بالإفراز نعلم أن البتولية ليست هي الثمرة التي نقدِّمها قرباناً لله، وإنما المحبة هي

القربان المقبول أمام الآب السماوي. البتولية بلا محبة مثل ذبائح العهد القديم لها بر الناموس الموسوي وقوة ذبائح العهد القديم. أما البتولية كثمرة للمحبة، فهي القربان الوحيد المقبول، لأن ربنا يسوع المسيح عندما أصعد ذاته ذبيحةً على خشبة الصليب، فقد قدَّم ذاته بمحبة، وهي التي قال عنها: "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها"، وحرية الرب هي التي سترت عبوديتنا نحن الأشرار. فقد قدَّم ذاته طواعيةً، وبرضى وبمحبة فائقة، فصار شفيعاً في المذنبين الذين غرقوا في الكراهية فرفضوا الله.

١١- كلما زادت محبتنا، كلما قويت فينا رغبةُ العطاء، وكلما أصبحنا قريبين جداً من أن نكون ذبيحةً وقرباناً عقلياً لله الآب. **وعلينا أن نلاحظ أيها الإخوة أن الرسول لم يقل: "قدَّموا أجسادكم ذبيحةً"؛ لأن تقديم الأجساد ذبيحةً، لا يليق بالله، وإنما طلب منا أن نقدم أجسادنا "ذبيحةً عقليةً". وكلما انغرس فينا سكين كلمة الرب ذو الحدين، كلما استطعنا أن نقدم ذبائحَ عقليةً في كل يوم.**

١٢- لاحظوا الصِّغارَ عندكم وراقبوا الذين لا يسلكون بتدقيق، فالذين يطوفون على القلالي لجمع أخبار الشيوخ، والجلوس في طرقات الدير لمراقبة الإخوة، أو تسلُّق الأسوار لمشاهدة الطريق العام، لم يدركوا بعد طريق التوبة. فالفضول الذي فيهم مصدره الانحلال الداخلي والسجس. إما أن يتوبوا ويسلكوا بتدقيق، وإما أن تطردونهم حتى يصيروا مع أهل العالم ويشربوا من آبار الفضول على قدر اشتياقهم.

١٣- على الإخوة الصِّغار أن يتعلموا الجلوس في القلاية بأدبٍ واحتشام، وأن يضبطوا أفواههم وفكرهم إما بالهذيذ في المزامير، أو بخدمة الإخوة، أو بأعمال جسدانية شاقة. الذين يتعبون من قتالات الزنى، عليهم الامتناع عن النوم، والانقطاع عن الطعام بالقدر الذي يحفظ لهم القدرة على الحركة والسير والسجود، وبعد أيام أو أكثر تنكسر عاصفة الجسد وتتبدد كل القتالات. أما إذا دامت، فالقتالُ آتٍ من الداخل، أو من محاربة الأرواح الرديئة.

إن كان القتال آتياً من الداخل، فالعلامة الأكيدة على أن نبع الدنس فينا، هو الاضطراب الداخلي وفقدان الانتباه.

أما إذا كان في القلب سلامٌ وهدوء، فالقتال من الخارج آتٍ من الأرواح الشريرة ولا يحتاج إلى علامة تميِّزه، فهو ظاهر.

١٤- إذا كان نبع الدنس فينا، فليس سوى الله الذي يجدد الخطاة ويعتقهم من أسر إبليس. لنبدأ أولاً بالفكر، ولنجمع النيَّات المستترة فيه ونضعها أمام المدبِّرين. لماذا لا يسأل كلُّ إنسانٍ منا عن نيته الخاصة، ماذا يريد أن ينال من الحياة؟ فالضمير إذا اكتشف القصد الحقيقي، أمكن للربان أن يدير الدفة نحو ميناء الوصول. أما إذا كان القصدُ مجهولاً، فالإرادة تصبح مثل قاربٍ بلا دفة وتضربه الأمواج حيث تشاء.

١٥- سألني بعض الإخوة إن كانت البتولية هي بداية الطريق إلى الله، فقلت لهم لا، وإنما بداية الطريق هي التوبة الكاملة عن كل شيء. وعلى كل إنسان أن يكون حسب مشيئة المخلص يسوع المسيح. ومَن يصل إلى هذا فقد دخل الفردوس الحقيقي، ووجد الثمار الحلوة.

١٦- قوة الدنس فيما يمكن أن يحركه فينا من أفكارٍ ورغبات.

بالنسبة للأفكار، يحرك فينا الدنس فكر العظمة، ويصور للإنسان أنه إن لم ينل ما يفكر فيه، فإنه سوف يصاب بخسارةٍ عظيمة، وعلى الفور تتحرك العواطف ويبدأ الجسد في مقاتلة الإرادة.

أما بالنسبة للرغبات، فإن الأفكار تصرفنا عن الصلوات، وتصوِّر لنا الكتب المقدسة كأنها غير نافعة، وتجعلنا نستهين بالإخوة، وتحرك فينا الغضب والصوت المرتفع في الشجار.

١٧- لأجل كل هذا قال الرب: "المستعلي عند الناس هو رجسٌ عند الله"، فالناس بسبب العظمة الأولى التي سقط فيها آدم، يظنون أن في الرذائل فوائدَ عظيمةً، وأن اللذة مفيدة. هذه هي الأمور التي يفتخر بها الناس، وهي رجسٌ عند الله؛ لأن اللذات لا تخلق في الإنسان إلا طلب المزيد، ولا تجعله قادراً على أن يحب الله والقريب بكل قوة.

١٨- الصلوات في أوقات اشتداد التجارب علينا يجب أن تكون قصيرة

ومتتابعة، مع الاهتمام بخدمة الإخوة. على أن نبدأ كل شيء بصلاةٍ، وننهي كل شيء بصلاة.

إذا لم ترحل عنا التجارب، فالجلوس في القلاية مفيدٌ؛ لأن الذي يتذكر الموت والدينونة يفقد لذة الأحاديث ويموت فيه الفضول.

طلب أحد الإخوة مشورتي في قتال الزنى، ولما كشف لي فكره، وجدت أنه احترس من كلام الوقيعة واحترس من إدانة الإخوة واحترس من شرورٍ كثيرة أخرى، ولكنه احترس من هذه الصغائر، وأَسَرَته العظمة الباطلة. ولما اتضع فكره أمام الله والإخوة عاد إليه السلام.

١٩- الشياطين لا تقوى إلا على الذين يبحثون عن الأمور الخاصة بالغير، ويجدون لذةً في النميمة؛ لأن هؤلاء مثل مركبٍ غارقٍ في الوحل، ويظن صاحبه أنه يبحر في مياهٍ عظيمة.

لقد استلمنا من الشيوخ الذين سبقونا أن الذين يفحصون باهتمامٍ وشوق عن خطايا الناس وحياتهم الخاصة، لم يجحدوا ذواتهم، وهؤلاء لا رجاء فيهم حتى يتوبوا عن التشبُّه بالأرواح النجسة التي لا هَمَّ لها إلا مراقبة الناس لكي تُسقطهم.

لنكف عن أن نكون أعواناً للأرواح النجسة لكي ننجو من قتالات الزنى.

٢٠- الفضول بذرةُ مرارةٍ متى نَمَت في الإنسان، صار شجرةَ ثرثرةٍ وزنى، وأثمر الخيالات والفكر الرديء، وقسَّم القلب إلى قسمٍ يتابع الناس ويلتذ بالمتابعة، وقسمٍ يخدم الله خدمةَ عينٍ.

ما هو الفرق بين الفضول ومحبة المال، كلاهما من عين الانحلال بالفساد.

٢١- لنطرح انفسنا عند قدمي الرب ونسأله أن يمنحنا الثبات لأنْ نحبه بعزمٍ، وبكل قلوبنا لكي نخلص وننال الميراث السماوي.

صفرونيوس يسأل صلواتكم ،،،

الصلاةُ الحَسَنة

من صفرونيوس إلى الإخوة المبتدئين. سلامٌ في الرب.

١- الذين يُصلُّون من أجل الصلاة لا يبلغون إلى شيء. أما الذين يطلبون المحبة بالصلاة وسائر أنواع الخدمات الأخرى، فيَصِلون إلى الله الذي هو المحبة النقية.

٢- صلاة المزامير لها قوة كبيرة لأنها متنوعة، فهي أحياناً صراخُ التوبةِ، وتسبيحٌ وشكر. إنها موائدُ طعامٍ تقوّي المبتدئين، والذين تقوَّوا، عليهم بالصلاة الخاصة؛ حتى لا تصبح صلاةُ غيرهم هي منهج حياتهم.

٣- بداية الصلاة تختلف من إنسانٍ لآخر. ولذلك، البحث عن بداية واحدة لكل الناس هو أشبه بمن يقدم كأسَ ماءٍ باردٍ لأكثر من شخصٍ عطشانٍ، رغم أن الواحد قد يحتاج إلى عدة كؤوس، والبعض يحتاج إلى رشفةٍ فقط.

٤- عليكم أيها الأحباء أن تبدأوا الصلاة لا من حيث احتياجاتكم لئلا تموت الصلاة، ولا بطلب احتياجات الإخوة لئلا نعدم ثمرة الحياة، ولكن لنبدأ الصلاة بالإيمان، اي من نزول الله وتجسده وتواضعه الفائق.

٥- صلاة الإيمان تدوم؛ لأن فيها قوة الإيمان. أما صلاة الاحتياج، فتموت بسرعة مثل زهور الحقل التي يحل فصل موتها مهما أزهرت ونمت. أما الإيمان، فله موعد الحياة الابدية.

٦- وصلاة الإيمان هي تلك الصادرة عن النفس التي فهمت الدينونة الآتية وموعد الحياة الأبدية. مثل هذه النفس لا تكف عن الطلبة لأنها تدرك أن ما تطلبه الآن ليس من أجل هذا اليوم أو الغد، وإنما هو ميراث الملكوت، فتطلب الحياة التي من الله وتدوم طلبتها.

٧- الصلاة لم توضع لأجل راحة الإنسان الداخلية؛ لأنها أحياناً تكون يوم الدينونة، ولا جُعلَت لكي يهدأ الانسان؛ لأن روح الله يدين النية الخفية، كما أنها ليست من أجل الحصول على تعزية، وإنما إن جاءت كل هذه العطايا، قدِّم الشكر لله، ولا تقف عند جمال رغيف الخبز وحلاوة طعمه وتنسى صاحب الوليمة.

الصلاةُ تبدأ بحضور الله في حياتنا، والويل لنا إن صارت من أجل احتياجات وقتية.

٨- إذا لم تقتنِ خشية الله بصلاة المزامير، فَصَلِّ من قلبك، وأقرع صدرك مثل العشار. إذا لم تتقدم في صلاتك الخاصة، فاعلم أن عقلك يحتاج إلى تجديد، وأن فكرك الفارغ هو مصدر البرودة، فعليك أن تقرأ كُتب الله، وأن تفحص عن صدق إيمانك.

٩- إذا لم تتقدم في كل هذا، فلا تفزع لأنك تحتاج إلى فحص نية حياتك؛ لأن حصاةً صغيرةً تسد القناة، وتحجز المياه التي لا تتدفق بقوة، ولكن أحياناً تتعاظم قوة الماء الهادئ وتجرف الحصاة أمامها. فلا تفزع، فالرب سوف يأتي ولو في الهزيع الأخير من ليل الروح الطويل، ويرفع عنك -بالتجارب أو بالمرض أو بنصيحة أو تدبير الشيوخ- ما يعيق نفسك عن الصلاة.

١٠- **الذي يصلِّي عندما يريد أن يصلِّي، فلن يصلِّ أبداً، وهو مخدوعٌ بأوهامٍ وخيالاتٍ باطلة.** فالصلاة بالإيمان لا تنبع من العزم، وإنما الذي يحرك العزم هو الإيمان، وهو يعطي الإرادة أن تصلي حيث لا تشاء، طبقاً لقول الرب: "أما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة. صلوا لكي لا تدخلوا في التجارب". ومع أن الرب أراد من التلاميذ السهر، إلا أن عيونهم كانت مثقَّلة بنومٍ. فالنوم هو عزم الإرادة الضعيفة، ولكن الوصية بالسهر تتم بالإيمان لا بالعزم وحده، وعندما يصبح الإيمان هو عزم الإنسان ونيَّته، عندئذٍ يصلي في كل وقت وبلا اضطراب.

١١- ليست قوة الصلاة في نشاط العواطف وقدرتها على تحريك الإرادة لكي تبقى في القلاية مدةً أطول، ولكن قوة الصلاة هي في الانتباه الذي تغرسه في النفس، وبذلك ينال الإنسان بركة الصلاة حتى ولو كانت بلا عواطف.

١٢- الله لا ينظر إلى مدة الصلاة، وإنما إلى جوهرها، فليس في الإنجيل صلوات طويلة سوى صلوات الرب يسوع الذي كان يقضي الليل كله في الصلاة. ولذلك، علينا أنْ نرى أنَّ الصلاة تتدرج مع قدرة النفس على البقاء في حضرة الله.

١٣- الذين يجدون صعوبةً في جمع الفكر أثناء ترتيل صلوات المزامير، أو استخدام المزامير في القلاية، لا يجب عليهم الانشغال بضبط الفكر، وإنما الانشغال بالإيمان، أي بمجيء الله. أنت تؤمن؟ حسناً تفعل، فصلِّ؛ لأن الإيمان يضبط النية الداخلية،

وبذلك يصير الفكر هادئاً، لكن إذا لم تهدأ أفكارك، فلا تجعل الشعور بالخسارة يلوِّث قلبك ويجعلك غير قادر على أن تنال بركة الصلاة، فأنت لا تغلب الله بكلماتك، ولا محبتك هي التي جعلت ابنه الوحيد ينزل من السماء، وإنما محبته هو. فإن كانت محبة الله هي التي أتت به إلى عالمنا، فلماذا تظن أنك أنت الذي تأتي إليه، وهو الذي جاء إلينا؟ لذلك، فالإيمان وحده هو الذي يجعلنا نصلي صلاةً حسنةً.

١٤- الصلاةُ الحسَنة ليست بكثرة الكلام، فهذا هو عمل الوثنيين، وعبادتهم الباطلة أبطلها الرب يسوع المسيح بظهوره المحيي. أما شريعة اليهود الخارجية، وهي حسنةً، إلا أنها لم تقدر أن تطهِّر العقل من أفكاره ولا القلب بنياته الخفية. فالذين لا يتبعون اليهود ولا يسلكون حسب غش الوثنية، عليهم أن يصلُّوا بالشكر والتسبيح لأنه قوة عظيمة للنفس.

١٥- في كل شيء علينا أن نلتزم بهدوء الفكر؛ لأن الرب لم يأت لكي يسكن الاضطراب فينا. لأن متى حلَّ الاضطراب، سقطت النفس فريسةَ كل الأفكار، وصارت مثل مركبٍ بلا ربَّان أو دفة.

أيها المحبوبون من الله، لقد جاء هو إلينا في الجسد لكي يخلصنا، ومات عنا وأقامنا من سقطة الموت، فلماذا نضطرب وندخل إلى حيث الفساد وانحلال القوة الداخلية؛ لأن الانزعاج يجعلها فريسةً لكل مضايقات الأرواح الشريرة.

الرب يحفظ الذين يطلبونه بإيمانٍ، ويمسك بأيدينا حتى نعبر بحر الحياة، ونستريح في ميناء السلام الذي هو ملكوت يسوع المسيح ربنا.

صفرونيوس يطلب بركة صلواتكم.

الذبيحةُ العقلية

من صفرونيوس إلى الأخوة في دير المبتدئين.

١- الذين يسلِّمون على بعضهم البعض باسم الرب يسوع، لا يجب أن يحملوا في قلوبهم إلا "وداعة المسيح وصبره". أما الذين يعتبرون أن التحية هي مجرد عادة، فهؤلاء لا موضع لهم في الكنيسة الجامعة؛ لأننا لسنا مثل الأمم، نقول: "سلامٌ"، بل: "سلامٌ في الرب"، كما علَّمنا الآباء الرسل، أن السلامَ شركة.

٢- الذين يهتمون بنظافة الجسد، إنما يهتمون بما هو زائل، ولم يعلِّمنا ربُّنا يسوع المسيح أن الاغتسال بالماء يقدِّس الإنسان، وإنما طهارة النية الداخلية التي يعطيها الروح القدس للذين يسألونه بأمانة وينتظرون عمله.

٣- الجدال حول طهارة الجسد، لا ينفع أحداً، ولا يزيد الاغتسال بالماء عمل الروح القدس فينا، وإنما قد ينتفع الإنسان من النظافة، لكنها أمام الله ليست شيئاً، فهو لم يُرسل لنا المياه لكي نغتسل بها، وإنما أرسل لنا ابنه الوحيد لكي يُطهِّر طبيعتنا من الفساد الداخلي، ويخلقنا على صورته ومثاله في قداسة البر والحق.

٤- الذين اعتمدوا باسم الآب والابن والروح القدس وصاروا هياكلَ حيَّةً للروح القدس، هؤلاء يلتزمون بشريعة الحياة الجديدة في المسيح، ويطلبون الحياة الآتية، والقيامة من الأموات، ويفهمون إن الاغتسال الحقيقي هو نقاء السريرة والابتعاد عن دنس الكراهية وقذارة الكبرياء. وبسبب النقاوة التي فيهم، يفزعون من هذه الشرور لأنها تفسد عمل الله وتجعلهم "آنية غضب". هؤلاء لا يعنيهم قذارة الجسد، بل قذارة القلب وفساده، ولأنهم يرفعون عيونهم إلى فوق، يدركون أن سُكنى اللاهوت فيهم هي القداسة الحقيقية؛ لأن الذي يسكنه الله، يصبح هيكلاً مقدساً للرب كما قال الرسول: "أنتم هياكل الله وروح الله يسكن فيكم". أمَّا الذين لا يسكن فيهم الله، فهؤلاء يطلبون اغتسال الماء بنشاطٍ وغِيرةٍ؛ لأن شمس الحياة، المسيح يسوع، لم تدركهم، ولذلك لا زالوا في ظلام الناموس ولم يعاينوا بعد الحياة الجديدة.

٥- لقد قال الرب: "من القلب تخرج الأفكار الشريرة"، وما يهمنا هو أن لا يكون القلب مكاناً للقذارة والأوبئة، وقبراً يقبع فيه الشيطان، أي الموت. أمَّا الجسد

فهو ليس دنيئاً ولا هو نجساً؛ لأن الذين نادوا بهذه الآراء قد أفرزتهم الكنيسة من شركتها. وحاشا لنا –نحن الذين نؤمن بنعمة ربنا يسوع المسيح "الذي افتقر وهو الغني"، أي جاء وسكن في الطبيعة الإنسانية لكي يعطيها ما تحتاجه من خيرات حياته الإلهية– أن نؤمن بنفس تعاليم الهراطقة الذين يحتقرون خليقة الله.

٦– يا ليت الذين يهتمون بنظافة الجسد يدركون الفرق بين الجسد النظيف الذي اغتسل بالماء، والجسد المقدس الذي اغتسل بعرق الأتعاب والسجود، وصار نقياً لأنه قُدِّم "ذبيحةً عقليةً"، ليست مثل ذبائح الناموس العديمة الحياة، وإنما ذبيحةً حيَّةً بالأعمال الصالحة التي يهبها الروح القدس للنفس والجسد.

٧– الذين يتعبون في العمل اليدوي، هؤلاء يصبح جسدهم نظيفاً من الداخل، حتى من الحركات الطبيعية؛ لأن قوته قد قُدِّمَتْ للأخوة، وليس للشهوة الرديئة والفساد. أمَّا الذين يعيشون حياة الكسل والتراخي، فأجسادهم نجسةٌ؛ لأن الكسل يقوي قتالَ الشهوةِ، وحركات الجسد الطبيعية تنمو وتصبح قوة تحرك النفس للتخلي عن الوصية الأولى، وهي: "من أراد أن يكون لي تلميذاً فليحمل صليبه ويتبعني". والذين أهملوا هذه الوصية، لا تستطيع المياه أن تقودهم إلى الحياة الجديدة، وإنما التوبة ونقاء الفكر بالعمل الشاق النابع من محبة الأخوة والاشتراك في احتياجاتهم.

٨– طوبى للذين يغتسلون بكلمة الله، لأنها ينبوع حياةٍ أبديةٍ تنقي الفكر وتطهِّر القلبَ وتقطع الهوى، فهي "سيفٌ ذو حدَّين"، يصل إلى الأعماق الخفية التي لا يراها العقل، ويحكم على نية الإنسان إن كانت مضادة لله. أمَّا الذين يهتمون بالماء الأرضي ويغسلون أجسادهم فيه، فهم مثل الملابس التي يلبسونها تنالها القذارةُ من الاستعمال، وتظل تحتاج إلى نظافةٍ مستمرة. أما الروح في الداخل، فمتى اغتسلت دام اغتسالها وزاد بهاؤها الداخلي، ولا تتسخ من أعمال المحبة أو خدمة الأخوة، بل تظل طاهرةً وتتطهر في كل ما تعمله وتلمع ببهاء المحبة الفائق؛ حتى أن الملائكة تطلب من الله أن ترعى هذه النفس وتحرسها.

٩– الذين يعيشون حسب الحرف، يهتمون بالأمور الظاهرة، وهؤلاء لا يثبتون في وصايا الرب المحيية، بل تصير الوصية النافعة مصدر ارتباك وقلق؛ لأنهم ينظرون

الروحيات بعيون لم تستنِر، بل عاشت في ظلام الحرف، فإن أشرق عليها نورُ الحياة الجديدة، ارتبكت مثل الحشرات التي تحب الظلمة ولا تقوى على أن تعيش في نور الحياة. هؤلاء إن سقطوا اغتسلوا بالماء، كأن الماء سوف يخلق فيهم إرادةً جديدةً ويطهِّرهم من الخفيات التي يزرعها الشرير. أمَّا نحن، فنعلم إن الربَّ صالحٌ، يطلب طهارة القلب بالتوبة، لأن الذي سيرث ملكوت الله، ليس هذا الجسد الفاسد، ولا الملابس التي لا تقوى على البقاء، وإنما ما يزرعه الربُّ فينا من حياةٍ جديدةٍ صالحةٍ، وبقوة القيامة من الأموات، ندخل إلى ملكوته السماوي. وقد قال الرسول للذين أنكروا قيامة الجسد والذين يسلكون حسب الحرف: "لا تضلوا إن لحماً ودماً لا يرثان ملكوت الله ولا يرث الفاسد عدم فساد"، فإن قال ذلك عن الجسد ودعانا إلى أن نسعى إلى تقديمه ذبيحةً حيةً حتى يقوم من الفساد ويتحول إلى عدم فساد بواسطة القيامة وبروح يسوع المسيح الذي سيقيم هذا الجسد الفاسد، فلماذا نجادلُ في طهارته.

١٠- لنكفَّ عن هذه الأمور الأرضية حتى لا نشيخ وتهرم أجسادنا، ونحن لم ندرك قوة الملكوت بعد؛ لأن سنوات العمر مثل الأُبَرِ، يجب أن توقظ قلوبنا كل يوم مؤكِّدةً لنا إننا ما دُمنا في الجسد "فنحن غرباء عن الرب"، وغرباء لأننا لا نزال نلبس الفاسد منتظرين قوة ربنا يسوع المسيح التي وُهِبَتْ لنا في المعمودية المقدسة لكي تثمر ثمرة القيامة للحياة الأبدية.

لنستيقظ ونعمل عمل الرب بكل قوة قبل أن تأتينا الشيخوخة أو يداهمنا الموت ونحن غير مستعدين له.

١١- **الربُّ الكثيرُ المراحم، عندما شاء أن يهبنا ميراثه، أي الحياة الأبدية، لم يقبل أن يعطينا هذه النعمة بواسطة المخلوقات التي تفتقر إلى غنى الصلاح وقوة المحبة، وإنما أعطانا هذه النعمة بنزول ابنه الوحيد وتجسده وصبره على الموت.** وعندما احتمل كل هذا، "صنع تطهيراً لخطايانا" بواسطة آلامه المحيية. فكيف نظن نحن الذين تطهَّرنا بواسطة آلامه وقيامته أننا ننجو من دنس الخطية باغتسال الماء؟

١٢- الذين يسلكون حسب شريعة المحبة، **يعلمون أن المحبة وحدها هي**

أساس السُّكنى مع الله، وهي ملح الشركة مع البشر. فكيف ننجو إن أهملنا المحبة وصارت ضمائرنا تحثنا على ممارسات عديمة الحياة مثل "الطعام والشراب" الذي "لا يقدمنا إلى الله"؟

١٣- صلُّوا عني؛ لأننا بالصلاة، نبلغ إلى طهارة القلب المقبولة من الله. والصلاة التي تغسلنا بدموع التوبة هي الاغتسال الحقيقي الوحيد الذي يطلبه الرب. فإن كانت الصلاة تطهِّر نيتنا الداخلية، وتجعلنا أطهاراً بسبب حضورنا أمام "عرش الديان"، أفلا نستحق لوماً كثيراً من الله ومن الناس إن اعتمدنا على الماء العديم الحياة ظانين أنه يعطي الحياة التي تؤهِّلنا للحضور أمام الرب كل حين، وهو ما يحتم علينا أن نعيش في الأنهار مثل الأسماك ونرفض الحياة العقلية الفائقة التي فيها طهارتنا الدائمة بالروح القدس؟

١٤- الأتعاب لأجل الرب هي الطريق الوحيد للاغتسال الفائق، وخدمة الأخوة والعمل اليدوي الشاق، هو سلام النفس من أتربة النجاسة. أمَّا المتَّكلون على الممارسات الخارجية، فهم مثل عشب الحقل، لا يطرح ثمراً، بل يكون مآله الحريق.

ليحفظ الربُّ الذين يسلكون حسب شريعة ربنا يسوع. أمَّا الذين قد رفضوه، فهؤلاء مآلهم إلى حيث يتبدد الماء ويتحول إلى بخار، وهذا ما قيل عن الأشرار الذين اهتموا بأجسادهم وتركوا أرواحهم في يد العدو المهلك.

صلُّوا عني؛ لأن الصلاةَ طهارةُ القلب والجسد.

العلية والجلجثة والقيامة

صفرونيوس يرسل في يسوع المسيح إلهنا السلام والمحبة للأخوة، وللأب الحكيم والمدبِّر الماهر صفنيا. ليكن لكم الإيمان الثابت في ربِّ المجد والمخلِّص الذي غَلَبَ الموتَ ورَفَعَ حكم الدينونة من الوسط (كولوسي ٢: ١٤)، لكي يحل المسيحُ بالإيمان في قلوبكم (أفسس ٣: ١٧)، وأنتم متأصِّلين ثابتين في المحبة الإلهية.

رسالة الأخوة

١- وصلتني رسالتكم مع الأب صفنيا، وقُرِأتْ في "مجمع الدير"، وكلَّفني الآباء أن أكتب ردَّاً موجزاً على أسئلتكم، وأن يُراجع الأب ديونيسيوس الرد على ما ذكرتموه؛ لكي تكون الفائدةُ أعَم والتعليم واضحاً.

السؤال الأول:

كيف جلس الربُّ مع تلاميذه في العلية وهو بالجسد وأمسك بالخبز والخمر، وقال بعد كلمات الشكر: "خذوا كلوا هذا هو جسدي ... هذا هو دمي"، فكيف أكل التلاميذ جسد الرب يسوع وهو جالسٌ معهم يوزِّعُ عليهم القربان والكأس؟

الجواب:

يجب أن نعود إلى غاية التجسد كما شرحها المعلِّم الإنجيلي يوحنا: "الكلمة صار جسداً وحلَّ (حرفياً: سكن) فينا (حرفياً: نصب خيمته بيننا)" (يو ١: ١٤).

لم يتجسد الرب يسوع لكي يجدِّده الجسد، بل العكس هو الحق. لقد تجسد لكي يُظهر، ليس فقط أقنومه المبارَك، بل أيضاً الآب والروح القدس، وذلك حسب كلامه الإلهي: "الذي يحبني يحفظ وصاياي. وأنا والآب إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢١).

لقد أظهَرَ التجسدُ محبةَ الله الثالوث القدوس الفائقة، وقد أعلَن الابن في ذاته كل ما يجب أن نعرفه عن هذه المحبة: جلسَ مع الخطاةِ والزواني وأكلَ معهم، وركَعَ عند أقدام التلاميذ وغسلَ أرجلهم، فأعلن بذلك تواضُع الله ومحبته للبشر.

٢- لقد جاء الربُّ إلينا بالجسد الذي عاش فيه حتى أخذه معه إلى السماء؛ لأنه اتَّحد به اتحاداً بلا انفصال، ولذلك لم يكن في وقتٍ ما إلهاً بلا جسد، أو مجردَ إنسانٍ مثلنا، بل كان دائماً الإلهُ المتجسد. وأعلن الجسدُ بشكلٍ منظورٍ إرادة الربِّ يسوع وإرادة الآب والروح في المعجزات، وفي التعليم، وفي الميلاد والمعمودية والصُّلب والدفن والقيامة، ثم صعود المجد. لذلك لم يكن الجسدُ حاجزاً أو مانعاً أو عائقاً عن رؤية الإعلانات الإلهية، بل كان الوسيلةَ المنظورة التي تمَّت فيها هذه الإعلانات.

تأمَّلوا معي: الابنُ الكلمة يسلِّم إرادته للآب لكي يرسل الآب روحه القدوس، ويُعدُّ هيكلَ جسده في رَحِمِ والدة الإله، ولذلك أُعلنت إرادة الآب بواسطة الملاك العظيم المبشِّر: "الروح القدس يحلُّ عليكِ لأنه قوة العلي التي تظلل عليكِ" (لو ١: ٣٥). ولكن بعد التجسد ونموه في القامة، كانت إرادة الابن له المجد تظهر علناً، ولذلك جاء حُرَّاً إلى مياه الأردن وطلب بنفسه المعمودية من يوحنا الصابغ لكي يعلن الآب والروح القدس الذي مسحه، وجعله -بالمسحة- "يسوع المسيح".

تأمَّلوا معي هذه الحقائق الإيمانية: عندما نَسَخَ الربُّ يسوع فصحَ بني اسرائيل ليلة القبض عليه عندما كان في العلية، مَن الذي كان يستطيع أن يُمسكَ بالخبز والكأس ليقول كلمات الشكر؟ ليس التلاميذ، ولا حتى الآب غير المنظور والمعلَن في الابن، وليس الروح القدس الذي مسحه، بل كان يجب أن يفعل هذا هو بنفسه للأسباب الآتية:

أولاً: لأنه هو وحده الذي يستطيع أن يؤسِّس العهد الجديد.

ثانياً: لأنه هو وحده الذي له السلطان والإرادة على جسده ودمه.

ثالثاً: لأنه هو وحده الذي سوف يفعل ذلك في كل وليمةٍ للسِّرِّ الفائقِ الذي سوف يبدأُ من العلية ليكون هو الربُّ والسيد الذي يعطي جسده في كل كنيسة، وفي كل وليمة سمائية.

رابعاً: مَن الذي يمكنه أن يقول هذه الكلمات: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، غير الرب يسوع المسيح وحده؟

إذا كان لنا يقين الإيمان بأن الربَّ صَنَعَ ذلك بنفسه، وكان هو وحده القادر أن يفعل ذلك؛ لأن العهد الجديد تأسَّس على الرب نفسه، وقام كله على الإعلانات الإلهية الواهبة الحياة، أُكرر الكلام مرةً ثانيةً: مَن هو الشخص الذي يستطيع أن يفعل ما فعله الرب في العلية؟ الرب وحده هو القادر وحده صاحب السلطان على جسده ودمه.

٣- السؤال الثاني:

ما هي العلاقة بين الربِّ والخبز والكأس، وكيف يصبح الخبزُ جسدَه والكأسُ دمَه وهو جالسٌ مع التلاميذ؟

الجواب:

قال الأب ديونيسيوس: ذَكِّر الأخوة بما يلي:

- "محبةُ الله الفائقة المعرفة لا يجب أن تخضع لمقاييس العقل والمنطق؛ لأنها ليست صادرة عن العقل الإنساني".

- "محبةُ الله لا تُفهَم بالوسائل الجسدانية، ولا حتى بالحوار، بل تُختَبَر بقوة الروح القدس (رو ٥: ٥)".

- "محبةُ الله لا تُقاس بما نعرفه نحن عن المحبة؛ لأن محبتنا هي شذرةٌ من المحبة الفائقة الإلهية، ولذلك كان يجب أن تعلَن محبة الله حسب محبة الله".

لقد أعلن الرب يسوع هذه المحبة في التعليم الإلهي في الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا، وأكَّد من خلال التعليم الذي جاء بعد معجزة إشباع الجموع أنه هو "الخبز النازل من فوق من عند الله الآب" (يو ٦: ٣٣). وأنه هو الخبز الذي ختمه الله الآب، وأنه هو الذي سوف يعطي هذا الخبز، وأن هذا الخبز هو جسده ودمه، مؤكِّداً أننا إن لم نأكل، ليس لنا حياة أبدية فينا (يو ٦: ٥١).

وبعد ذلك كله، لا يجب أن نكتفي بردِّ عشاء الرب إلى قدرته الإلهية فقط، بل أن نعود إلى تعليم الرب نفسه، وهو التعليم الذي يؤكِّده الرب في الأمثال مِثل مَثَل الزارع الذي يؤكِّد لنا زراعة الحنطة، ثم نمو هذا الزرع إلى ثلاثين وستين ومائة؛ لأنت

الرب قال بفمه الإلهي إن ملكوت السموات يشبه حبة الخردل، وهي صغيرةٌ جداً، إلَّا أنها عندما تنمو تصبح شجرةً عظيمةً.

وهكذا وضع الربُّ قاعدتين:

الأولى: غرس البذرة لكي تنمو،

والثانية: النمو الدائم حتى زمان الحصاد، أي يوم الدينونة.

وحسب تعليم الرب نفسه الذي قاله يسوع المسيح رب المجد إنه هو أيضاً يشبه حبة الحنطة التي يجب أن تموت لكي تأتي بثمارٍ كثيرةٍ. من هذا ندرك أن لكل عملٍ من أعمال المحبة بداية، وأن البداية ليست هي الغاية؛ لأن المحبة لا تقف عند البداية. ففي البدء خلق الله السموات والأرض (تك ١: ١)، ولكن هذا البدء وصل إلى منتصف الطريق بخلق الإنسان، ثم إلى الغاية بمجيء الرب يسوع لكي يجدد ويرفع الإنسانية من الفساد والموت إلى الخلود والحياة الأبدية.

وعندما نتأمل حياة الرب يسوع نفسه نجد أن البدء هو تجسده، وأن الغاية هي دخوله السماء بالطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله. هكذا كان البدء في العلية، والغاية هي أن يعطي الربُّ حياته لكلِ مؤمنٍ به لكي يحيا إلى الأبد.

٤- أمَّا السؤال نفسه، أو بالحري، الجزء الأخير منه، فهو جديرٌ بالاهتمام؛ لأنه يكشف عن قصور في المنهج النسكي نفسه، ويضع علينا مسئولية التعليم. هذا القصور مصدره ضعف الارتواء من ينبوع الروح القدس، أي الأسفار الإلهية (الكتاب المقدس)؛ لأن هذه الأسفار تشهد لنا بأن الخبز والخمر هما عطية الله لنا، رغم أننا نرى أنهما في الواقع من ثمار الأرض وتعب الفلاحين، لكن الذي ينسى أن الابن الكلمة الرب يسوع هو خالق كل الأشياء "لأن الكلَّ به كخالقٍ، والكلَّ له كمخلِّصٍ قد خُلِق" (كولوسي ١: ١٥ - ١٦)، وأنه هو "حامل، أي حافظ كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ١: ٣)، فنحن هنا لا نضع قدرة الرب كمانعٍ أو حائلٍ يمنع الفهم، بل نذكِّر الأخوة أن حياتهم كلها وكيانهم خُلِق بواسطة الرب يسوع خالق كل الأشياء، وأنه هو المالك الحقيقي الذي يملك كل الأشياء، ويمنح كل الأشياء والكائنات "الوجود والحياة والحركة"، ويغذِّي كل الكائنات حسب

حدود طبعها وغاية وجودها في الكون.

يعطي الربُّ الكيانَ لكلِّ كائنٍ حسب مكانه في الطبيعة، وحسب غاية خلقه، ولذلك يعطي البقاء للزروع حتى يوم الحصاد، ويعطي للحيوانات الولادة والتكاثر. وأمَّا الإنسان المخلوق على صورته ومثاله (تك ١: ٢٦)، فهو ينال الغذاء غير الأرضي الآتي من السماء:

أولاً: الكلمة الحيَّة المدوَّنة في الأسفار.

ثانياً: الاستنارة بقوة الروح القدس الذي يدخلُ كنورٍ في كيان الإنسان الروحي ويعطي له كلمةً، أو يكشف عن نيةٍ خفيَّةٍ، نبوةً، إعلاناً، ويعرِّفه معرفة الله الفائقة المعرفة.

ثالثاً: بعد تجسُّد الربِّ يسوع، وبسبب تجسُّدِه صارت الكلمة الحيَّة في الأسفار شهادةً وتعليماً له وعنه، وصار عمل الروح القدس الكثير والمتنوع، أن يجمع أعضاء جسده تحت الرأس الواحد (أف ١: ٢٢).

رابعاً: جاء التجسُّدُ بعلاقةٍ جديدةٍ فائقةٍ لم تكن متاحةً لقديسي العهد القديم؛ إذ دخل الجسدُ –بشكلٍ خاصٍ؛ لأنه هو الذي ضُرِبَ بالموت– في شركة الثالوث، ودخلت النفسُ الإنسانية ذات المجال الإلهي؛ لكي تنال الحياة والخلود بالشركة، فقد أخذ الكلمةُ ابنُ الآبِ الوحيد طبيعةً إنسانيةً واتَّحد بها اتحاداً كاملاً، فصار –بذلك– الجسدُ شريكاً حسب حدوده ومجاله، في حياة الكلمة ابن الله، فصار بذلك –رغم كونه جسداً– جسداً محيياً، كلُّ مَن لمسه نال الشفاء، فلم يعد الجسد الذي أصابه الموت والفساد والضعف، ذات الجسد الآدمي الخاص بآدم الأول، بل تحوَّل بالاتحاد، فصار جسدَ الكلمة الخاص به، وتحوَّل من جسدٍ قابلٍ للموت إلى جسدٍ قهرَ الموت، ومن جسدٍ قابلٍ للانحلال والفساد إلى جسدٍ ممجَّدٍ.

خامساً: جاء تحول ناسوت الرب بثلاثة إعلانات خاصةٍ به، وخاصةٍ بنا:

الإعلان الأول: هو المجد الإلهي الذي يملكه الابن الوحيد، والذي أُعطيَ

لجسده تدريجياً[1] حسب تدبير الخلاص؛ لأن الاتحاد الأقنومي لم يمنع الجسد من النمو حسب طبعه، وحسب تدرُّجه في الفهم والإدراك، إذ يظل هذا الاتحاد ثابتاً لا تحوُّلَ فيه، ويتحول الناسوت متَّجهاً نحوه داخلياً؛ لأنه لم يُفرَض عليه من الخارج، بل هو تحوُّلٌ داخليٌّ ظَهَرَ على جبل التجلي (طابور) قبل موته المحيي مؤكِّداً أن كثافة الجسد الإنساني تحجب مجده الإلهي حتى لا نُصابُ نحن بالفزع والخوف من بهاء مجده.

هذا خاصٌّ بنا نحن أيضاً؛ لأن الربَّ يسوع الساكن فينا بالروح القدس يظلُّ سِرَّاً فوق الإدراك حتى لحظة الانطلاق من الجسد، وعند ذلك نعاينه حسب نعمته.

الإعلان الثاني: هو طبيعة الاتحاد الأقنومي، فقد أُعلن الرب يسوع في نبوات العهد القديم والظهورات الإلهية للبطاركة إبراهيم وإسحق ويعقوب، وأُعلِن بعد ذلك في الجسد. طبيعة هذا الاتحاد ترفع الاتحاد الأقنومي فوق كل حدود الزمان لأن الزمان كان ينتظر استعلان الرب، ولم يكن له أيَّ دورٍ أو وساطةٍ، بل كان الربُّ يرقب منذ الأزل متى وأين وكيف يأتي إلينا، فقد خضع الزمان له، ولم يخضع الربُّ للزمان لا قبل التجسد ولا بعد تجسده، ولذلك السبب عينه، كلُّ أحداث الخلاص هي حسب ترتيب (طقس) التدبير ليس فيها أول وثان وثالث؛ لأن الأول والثاني والثالث هو ترتيبٌ زمانيٌّ، أمَّا حسب ترتيب الخلاص (طقس الخلاص حسب الأصل القبطي)، فإن ولادة الرب يسوع المسيح من والدة الإله هي قاعدةُ سِرِّ المعمودية، وكذلك مِسحته بعد المعمودية هي قاعدة سِرِّ المِسحة، وعلى هذه القاعدة نشترك نحن في موت الرب ودفنه وقيامته حسب التعليم الرسولي (رو ٦: ١ – ٨).

ورغم أننا قد نرى هنا التتابع، أي الولادة – المعمودية – المسحة – الموت – الدفن – القيامة، إلَّا أننا لا يجب أن نخطئ في فهم هذا التتابع؛ لأنه ليس تتابعاً زمانياً، بل طقس التدبير الذي نراه حسب الإيمان. فالولادة في بيت لحم هي أساس

(١) راجع المقالة الثالثة ضد الأريوسيين: ٥٠ – ٥١ للقديس أثناسيوس الرسولي، حيث نرى أيضاً أن "تقدُّم القامة" ليس تقدُّما في الاتحاد، بل تقدُّمٌ الناسوت نفسه. وفي ذات المقالة فقرة ٥٤ يقول المعلِّم السكندري: "وكان اللاهوت يظهر تدريجياً، وهذه غاية أو معنى الكلمات: وكان يزداد في النعمة؛ لأنه –كصبيٍّ– حُمِلَ إلى الهيكل ... وكان جسده ينمو تدريجياً وكان الكلمة يعلن عن نفسه فيه".

التبني، ولكن عطية التبني لا تُعطى ألَّا في سر المعمودية، والمعمودية هي شركتنا في معمودية الرب يسوع نفسه ومِسحته، وفي موته وقبره وقيامته، والذي يجمع كل ذلك هو الاتحاد الأقنومي نفسه الذي منه نستقي نحن العطاش لمياه الحياة، قوةَ الحياة الجديدة التي وهبها لنا سيدنا يسوع المسيح. هذا هو عزاء نفوسنا؛ لأن كل ما حدث للرب، وكل ما تم في حياته كان لنا ولأجلنا، ولأن في يسوع المسيح "كل كنوز المعرفة والحكمة" (كولوسي ٢: ٣)، ولأنه صار لنا فيه كنزُ الحياة، فهو يهَب هذه الحياة بقوة الوعد: "أنا هو القيامة والحياة" (يو ١١: ٢٥)، معطياً لنا هذه الحياة حسب "قصده"، لا حسب ترتيبٍ زمانيٍّ.

الإعلان الثالث: يتحول الناسوت تدريجياً حسب طقس التدبير، ويبقى كذلك ثابتاً لا يعود يتحول إلى ما كان عليه. فقد نزع الربُّ الفسادَ بشكلٍ ظاهرٍ قويٍّ بالقيامة من الأموات، فظهر مجده، وظهرت قوته الكامنة، وهي لم تُضَف من الخارج، بل كانت دائماً فيه، وهو ما يشرح لنا سر المعجزات الفائقة التي تمت بلمسةٍ من جسده، أو ثيابه، أو بصوته الإنساني الذي نادى به لعازر من الهاوية، وكان صوتُه الإنساني يحمل قوة حياته الإلهية التي لا يمكن أن نتفصل عنه، والتي لا يمكن أن تُنزع منه. ولذلك، إذا كان التجلي قد سبق القيامة، فإننا إزاء حقيقة واحدة، وهي أن الرب يحول في أُقنومه الإلهي الطبيعة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله حسب طقس التدبير معطياً تحوُّلاً ثابتاً، فلا يعود بعد التحول، إلى ما كان عليه سابقاً؛ لأن ثبات هذا التحول هو ثباتُ خلاصنا نحن.

هذا هو الرجاء الحي الذي لنا في يسوع المسيح ربنا وإلهنا ومخلصنا.

ولأن الرسول بولس الماهر في فهم سر التدبير، وَصَفَ صلبُ الربِّ يسوع المسيح بأنه كان صلباً لربِّ المجدِ حسب قوله: "لأنهم لو عرفوا لَمَا صلبوا رب المجد" (١ كور ٢: ٨)، فقد أُخفى عن عيون الحكماء ما هو سِرُّ المسيح الذي أُعلِن في الجسد حسب إرادة الله الآب، وهو ذات رب المجد على جبل طابور، وهو ذات رب المجد المعلَّق على الصليب والذي رقد مع الأموات وقام معلِناً بشكلٍ نهائيٍّ ذلك المجد الذي كان مستتراً عن عيون بني البشر.

العلية والجلجثة والقيامة

٥- لا يفصل الزمانُ العليةَ عن الجلجثةِ؛ لأن واهب وخالق الزمان هو نفسه الذي جلس مع التلاميذ وأعطاهم جسده ودمه، وهو نفسه الذي أعطى حياته لأجل العالم على الصليب. هو الذي رتَّب الجلوس مع التلاميذ في العلية، ورتَّب الصَّلب، ورتَّب القيامة، ولذلك لم يكن الربُّ أسيراً لأحداثٍ، ولا كان يُساق بقوةٍ خارجيةٍ، فالعليةُ والصَّلبُ والقيامةُ هي طقسُ التدبيرِ الذي يحرِّكُه الرب يسوع بقوته، هو يرتِّب ويحرِّك ويقود؛ لأنه كلمة الله الآب الكائن قبل كل الدهور، وهو يُدبِّر ولا يتدبر، يرتِّب ولا تُرتِّب الأحداثُ حياتَه، بل حسب إرادته يضع كل شيء في مكانه.

وحسب إعلانات المحبة في العلية، أعلن الربُّ يسوع ثلاثةَ إعلاناتٍ هامةٍ للخلاص:

أولاً: نهاية الفصح القديم وبداية الفصح السمائي. ولذلك، حسب طقس التدبير، لم يُسلِّم جسده ودمه بعد القيامة، بل قبل القيامة لكي يؤسِّس الفصحَ الجديد الذي حلَّ محل الفصح القديم.

ثانياً: وقبل أن يُصلَبَ على الصليب، أعلن لنا في العلية إرادته في العطاء مؤكِّداً ذلك بفمه الإلهي: "لي سلطان أن أضعها (أي حياته) وسلطان أن آخذها أيضاً (معلناً إرادته الخاصة في خلاصنا) ليس أحدٌ يأخذ حياتي مني" (راجع يوحنا ١٠: ١٨).

الإعلان الأول يضع وليمة العشاء السري كفصحٍ جديد، والإعلان الثاني يؤكِّد حرية الرب وإرادته، وأن الفصحَ هو فصحُ القيامة.

ثالثاً: وكما قلنا إنه لا يوجد ترتيبٌ زمانيٌّ، فما حدث قبل القيامة، يعطى لنا بسبب القيامة؛ لأنه قبل موته المحيي عنَّا، كان الموتُ هو العائقُ الذي يمنع وصول عطاياه إلينا. ولكن عندما عَبَرَ الربُّ وادي ظلام الموت (مز ٢٣: ٤)، فقد فتحَ مصاريعَ الزمان. كان الموتُ هو الحائلُ الذي يمنعُ عنّا الشركة مع الرب؛ لأننا كنّا سوف نشترك شركةً محدودةً غابَ عنها الانتصارُ على الموتِ، وهزيمةُ الفساد. لذلك علينا أن لا نفصل بين التجسد والصلب والقيامة بسبب التتابع الزمني، بل أن نقبل

الحياةَ الجديدةَ التي أُعلنت في العلية سِرّاً مع "الخواصِ من القديسين"، وجهراً على الجلجثة، ولكل العالم بالقيامة من الأموات.

٦- جاءت القيامةُ بثلاثةِ إعلاناتٍ حسب تدبير الخلاص، وقد ثبَّت كلاً من هذه الإعلانات، فصحُ الكنيسةِ الجديد، أي فصح القيامة:

أولاً: حياةٌ غالبةُ الموت، ولذلك نحن نأكل ذات الجسد الذي وُلِدَ واعتمد وصُلِبَ ودُفِنَ وقام. كانت غلبةُ الموتِ كامنةً في أقنوم الابن المتجسد، كانت كامنةً حسب إخلاء الذات (فيلبي ٢: ٦). وكانت معلَنةً جزئياً بالروح القدس في الأردن، ثم في العلية أكملَ الربُّ الفصحَ القديم، وأعلن حياته كعطيةٍ سبقت الإعلان الجهير العام على الصليب؛ لأنه كما نقول في صلواتنا: "لأنه فيما هو راسمٌ أن يسلِّمَ نفسه للموت عن حياة العالم"، فأكَّدت صلواتنا ذات التعليم الرسولي "لأننا بهذه الإرادة قد قُدِّسنا عندما سلَّم الرب حياته عنا" (راجع ١٠: ١٠)، ولم تكن هذه إرادةٌ خَلَقَها الزمان، أو ظُلم الرومان، أو حسد اليهود، بل كانت سابقةً على كل الأزمنة.

ثانياً: حياةٌ ناهضةٌ توزَّع على أبناء الموت لكي يصيروا أبناء الحياة والقيامة. هذه الحياة الناهضة من القبر داست كل حدود الموت. وما هي حدود الموت؟ هي النهاية التي تأتي رغم إرادة الإنسان لأننا لا نملك -كبشرٍ- أن نمنع الموت. هي الفساد الذي يسري في الجسد ويعيده إلى تراب الأرض. لكن القيامة رفعت ما هو أرضي إلى ما هو سمائي، وتحوَّل جسد الرب يسوع إلى جسد المجد (راجع ١ كور ١٥: ٤٣ - وفيلبي ٤: ١٩). وحدود الموت أيضاً هي الزمان نفسه؛ لأن نهاية الحياة مثل بدايتها لها زمانٌ خاصٌّ بها، لكن القيامة رفعت هذه الحدود، ولم يعد الإنسان المقيَّد والمستعبَد للبداية والنهاية، بل صار المسيح هو الأول والياء، البداية والنهاية.

ثالثاً: حياةٌ سمائيةٌ ليست فقط غير ترابية، بل صارت عربون الملكوت؛ لأننا نأكل جسد الرب ونشرب دمه لكي نحيا إلى الأبد، ولكي يكون لنا معه قيامةٌ أفضل. نقلت القيامةُ حياةَ الملكوت الآتي إلينا. جعلت هبات الله توزَّع على كل أعضاء جسد الرب أي الكنيسة، وجعلت هذه الحياة السمائية غير الترابية هي النصيب والميراث الأبدي الذي يعطى كعربون هنا ويُستعلَن كاملاً في اليوم الأخير.

٧- ما حدث في العلية أُكمِلَ بالقيامة، وما حدث على الصليب أُكمِلَ بالقيامة، وما حدث في الأردن، أي مسحة الرب يسوع، نراه في استدعاء الروح القدس على الخبز والخمر. وقد قال الأب ديونيسيوس إن طلبة استدعاء الروح القدس للتقديس تنقل القرابين من عناصر ترابية إلى ذبيحة روحية سمائية بقوة "الملك السمائي روح الحق الحاضر في كل مكان".

٨- وعندما نقول أُكمِل، فنحن لا نعني النقص، بل أن ما هو كامنٌ ومحجوب، صار علناً وجهراً للعالم كله؛ لأنه بإرادةٍ واحدةٍ لا يقسِّمها الزمان أو البشر، رتَّب الربُّ خلاصنا وسلَّم لنا حياته الإلهية المتجسدة غالبة الموت.

الإفخارستيا جسد المسيح الحي القائم من بين الأموات

٩- لندرس ترتيب (طقس) الخلاص؛ لأننا لا نأخذ جسدَ الربِّ حيث كان في موضعٍ معيَّنٍ أو أثناء إعلانٍ معيَّنٍ، أو حسب مناسبةٍ معيَّنَةٍ، بل الرب يسوع المسيح الغالب الموت الذي داس الجحيم وأباد الدينونة وأعطانا الحياة الحرة الغالبة. الربُّ كله دون تقسيم، هو الذي جاز الحَبَل والولادة؛ لكي نولد من جديد. هو الذي اعتمد؛ لكي يعطي لنا مسحته. هو الذي غلب الشيطان في البرية؛ لكي نغلب نحن عندما نتناوله. هو الذي مات وسدَّ فمَ الهاويةِ؛ لكي نأخذ نحن قوةً "فلا نرى الموت" (يو ٨: ٥١). هو الذي قام من الأموات؛ لكي به نقوم حسب وعده عندما نأخذه لكي نحيا به.

١٠- هذا كله تجمعُهُ القيامةُ؛ لأن قوة الحياة في الرب هي التي تجعل كل ما حدث له وما قام به هو ما تحوَّل إلى النصيب والميراث الذي أعدَّه لكل أحبائه.

١١- ليُعطِ الربُّ صوماً روحياً مقبولاً، لا بالانقطاع عن الطعام الجسدي وحده، بل بالانقطاع عن كل ما يشغل حياتنا ويعطل صلواتنا.

١٢- جميع الآباء والأخوة يرسلون لكم محبةً صادقةً في المسيح الحي، ويؤكِّدون محبتهم لكلِّ واحدٍ منكم.

سلامٌ خاصٌّ للأب صفنيا المدبِّر الحكيم، والأب اسحق الخادم (حرفياً دياكون) الأمين.

سلام ومحبة رب المجد يسوع المسيح تكون معكم.

اذكرونا في صلواتكم. إله السلام يحفظنا من العثرات والشكوك.

صفرونيوس عبد يسوع المسيح غير المستحِق أن يكون خادماً له ولكم.

تمت الترجمة بالقاهرة في مايو ١٩٨٠،

وروجعت ١٩٨٨، وتمت المراجعة النهائية ٢٠٠٦.

حول موت الرب المحيي
على الصليب المكرم

رسالة الأب صفنيا

أبانا المكرم والمعلم الذي أعطانا خبز الحياة وسلَّم لنا أسرار الحياة الأرثوذكسية الشيخ **πιδελλοι** الوقور صفرونيوس. سلامٌ في الرب يسوع. قرأنا رسالتكم وتعزَّينا بها وكانت سبب فرح لكل الأخوة في الدير. نسخ الأب مكاريوس الناسخ عدة نسخ (كتب) للأخوة. وسألني الأخوة في اجتماع السبت عدة أسئلة أضعها أمام محبتكم، ولكي يكون لنا تعليم واحد، أرجو أن تجيب عليها قبل حلول الأسبوع العظيم، أو أن تأتي إلينا في نهاية الأربعين المقدسة، إذا كانت الظروف تسمح.

أسئلة الإخوة

أولاً: يقول الرسول: "كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١كور ١٥: ٢٢). فكيف يجب أن نفهم هذه الحقيقة؛ لأن الرب مات ذات موت آدم، وهو ما يؤكده الرسول قبل ذلك: "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسانٍ أيضاً قيامة الأموات" (١كور ١٥: ٢١)؟

ثانياً: يقول نفس الرسول: "بإنسانٍ واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ..... بخطية واحد مات الكثيرون .... بخطية واحد ملك الموت بالواحد .... بخطية واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة .... بمعصية الإنسان الواحد جُعِل الكثيرون خطاة" (رو٥: ١٢ – ١٩)، فكيف يجب أن نفهم هذه الحقيقة الرسولية؛ لأن الرب مات ذات الموت الذي ماته آدم لكي يرفع حكم الموت والدينونة؟ أمَّا باقي الأسئلة فهي تدور حول نفس الموضوع الذي ورد في رسالة محبتكم لنا.

سلام ومحبة في إلهنا الصالح ولأبوتكم الروحية،

صفنيا يرسل السلام في الرب

رد الأب صفرونيوس

الأب المبارَك والمدبِّر ⲏⲥⲟⲫⲣⲟⲛⲓⲟⲥ صفنيا، والأخوة الأحباء.

صفرونيوس خادم الرب يسأل بركة صلواتكم.

الرد على السؤال الأول

"كما في آدم يموت الجميع"، هي حقيقة لا يمكن أن ننكرها، ولكن باقي كلمات الرسول بولس معلمنا الصادق تجيب على سؤالكم: "هكذا في المسيح سيُحيا الجميع". والمقارنة هنا ليس بين موت آدم وموت الرب يسوع المسيح، بل بين الموت والحياة، وهو ما يؤكده الرسول بعبارةٍ دخلت تسابيح الكنيسة الأرثوذكسية: "المسيح باكورة"؛ لأنه هو أول ثمار القيامة، وهو مات ولا يسود عليه الموت، بل حتى في موته على الصليب لم يكن للموت سيادةٌ عليه، بل هو ساد على الموت؛ لأن الرسول يقول عن سيادته على الموت: "لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس" (عب ٢: ١٤).

وهكذا نعلم جيداً إن الرب يسوع المسيح كان هو أول، أي باكورة الذين يخرِجون الشياطين، إذ لم يكن لأحدٍ سلطانٌ على الشيطان في العهد القديم برمته، وحتى داود النبي كان –بالموسيقى– يحاول تهدئة الروح الشرير الذي أذل الملك شاول (١صم ١٦: ١٤ – ٢٣). أمَّا في العهد الجديد، فقد جاء الرب مبشِّراً بالملكوت، وأخرج الشياطين، وأعطانا السلطان أن نطرد الأرواح النجسة، ولذلك أباد سلطان الشيطان قبْلَ صلبه، وأعطى هذا السلطان للتلاميذ القديسين ورسله المكرمين، بل وسلَّم هذا السلطان لنا، والذي نراه يعمل الآن فينا وبنا في خدمة المواهب والعطايا الروحية في الكنيسة الجامعة. لذلك من الصعب على إيماننا المقدس أن نقول إن الشيطان الذي جاء بالخطية وبالموت، وأَسَرَ الجنس البشري، كانت له سيادة أو سلطان على الرب، فهذا تعليمٌ لا يمكن قبوله بالمرة؛ لأنه يجعل العدو والشر أقوى من محب البشر صانع الخيرات، ويعطي للشر سلطاناً على الخير، بينما العكس هو

الحق الذي نقبله بإيمان، ونتوقع إعلانه الكامل يوم الدينونة عندما نرى كل شيء تحت قدميه؛ لأن الرسول قال إن الآبَ أخضع كل شيء تحت قدميه (١كور ١٥: ٢٤ – ٢٨)، ولذلك أباد الربُ كل سلطان وكل رئاسة، وأبطل مشورة المعاند الرديء، وأسرَهُ بقوة الصليب، وأذلَّ كبريائه بتواضعه وقبوله الموت عن البشر.

ولعلنا نرى أن إخراج الشياطين قبل صلب الرب، ثم تسليم هذا السلطان للرسل القديسين، هو دليلٌ باهرٌ على عدم قدرة الشيطان على أن يكون له سلطان الموت.

وعندما يقول الرسول: "كما في آدم ... كذلك في المسيح"، فهو يقارن بين الموت والحياة. وشمولية الموت يقابلها شمولية الحياة وقيامها في المسيح. حتى الخطاة ينالون القيامة مع القديسين، ولكن ليست قيامة المجد، بل قيامة الدينونة.

ومن المستحيل علينا أن نقارن بين الموت والحياة؛ لأن المقارنة لا تجوز، فقد فقدنا الحياة بالخطية، ولكن ردَّ الحياة يجب أن يكون أعظم من فقدانها. وهذا السبب بالذات هو الذي يجعلنا نؤمن بأُلوهية الرب يسوع المسيح خالق السموات والأرض مؤسِّسُ الحياة، و"رئيس الحياة" (أع ٣: ١٥)، وواهب كل الكائنات الحياة حسب الإعلان الإلهي: "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو ١: ٤). فلا يجوز لنا أن نقارن الظلمة بالنور؛ لأن الظلمةَ هي عدم (وجود النور)، أمَّا النور فهو يشرق في الظلمة والظلمة لم تدركه (لم تقوَ عليه) (يو ١: ٥).

وحسب عبارة الإخوة: "الرب مات ذات موت آدم"، والذي دعَّموه بأقوال الرسول: "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان قيامة الأموات" (١كور ١٥: ٢١)، نشير إلى أن الرسول لم يذكر إن الربَ قد مات موت آدم، فهذه العبارة بالذات لم ترد في رسائل الرسول بولس، بل هو –بشكل خاص– يؤكد أن الموتَ دخل على الطبيعة الإنسانية وساد على الكل، وأن القيامة جاءت بطبيعة إنسانية حقيقية مثل طبيعتنا، وهو ما يؤكِّده الرسول: "بإنسانٍ أيضاً قيامة الأموات"؛ لأن ناسوت الرب قام حيَّاً بقوة لاهوته.

وهنا بالذات أريد أن أحذِّر الأخوة من التعليم الذي شاع في كورة مصر، والذي يعتبر القيامة مثل الموت، أي تعاقُب الحياةِ بعد الموت. هذا التعليم القديم الذي

عرفته الوثنية وديانات الأُمم السابقة، لا تملك عليه أي دليل؛ لأن الموت لا يعطي لأي مخلوق –مهما كانت قدراته– أن يعود إلى الحياة مرةً أخرى. وحتى الذين قاموا من الأموات في العهد القديم، ماتوا بعد ذلك. أمَّا الدليل الباهر على القيامة، فهو قيامة الرب والمخلِّص بقوة حياة لا تزول (راجع عب ٧: ١٦)، فقد غَلَبَ الموت، ليس بقوة الناسوت، بل بقوة لاهوته التي جعلت الناسوت فوق سلطان الموت. وعندما مات، مات موتاً حقيقياً ذاقه بالجسد، ولكنه كان مثل قويٍّ يحارب خصماً ضعيفاً دخل عليه فقيَّده القويُ وحمل أمتعته (راجع مت ١٢: ٢٩ – مر ٣: ٢٧). هكذا تكلم الرب بشكل رمزي لكي يعلن بعد ذلك الحقيقة الكاملة على الصليب، ومن القبر.

فمَن الذي كسر شوكة الموت إلاَّ الذي غَفَرَ كل الخطايا، وأعلن نهاية وسيادة الموت؛ لأن شوكة الموت هي الخطية (١كور ١٥: ٥٦). وعندما أبطل الرب يسوع المسيح وساطة الشريعة، فقد أبطل "قوة الخطية" التي أخذت سلطانها على الإنسان من الشريعة (الناموس) (راجع ١كور ١٥: ٥٦).

الرد على السؤال الثاني

فرحت بالسؤال الثاني؛ لأنه يؤكد أن الإخوة يقرأون الأسفار المقدسة، ولذلك أُصلِّي لأن ينال الكل استنارةً من فوق، من النور الحقيقي: الآب والابن والروح القدس؛ لكي نميِّز الكلمات والمعاني، ولا نخلط بين تعليم الكنيسة الجامعة وتعليم الأُمم.

ودليل الشرح الأرثوذكسي لكلمات الرسول بولس نجده في نفس كلمات الرسول. حقاً دخلت الخطية بإنسانٍ واحد هو آدم، وفي آدم مات الجميع، ولا يمكن لأحدٍ أن يكابر. ومَلَكَ الموتُ بسبب فقدان عطية الروح القدس التي وُهِبَت لآدم؛ لأن الربَ بعد أن طَرَدَ آدم من الفردوس، قال: "لا يدين روحي في الإنسان" (تك ٦: ١). فلم يبقَ الروح القدس فينا، بل كان يُعطىَ من آن لآخر للأنبياء، وبقدر ما احتاجه تدبير النبوة. ولذلك بعد أن أكمل الرب خلاصنا، وقبل صعوده "نفخ" وأعطى الروح القدس للتلاميذ الأطهار باكورة الخليقة الجديدة، أي شهود القيامة.

وعندما يؤكد الرسول هذه الحقيقة، فهو يقدِّمها بكلمات التقوى الأرثوذكسية: "ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة"[1] (رو ٥: ١٥). ومن هذا نفهم أن الرسول لا يقارن بين الخطية والهبة، بين الموت والقيامة، بين السقوط والتجديد؛ لأن موت الواحد الذي جلب موت الكثيرين لا يقارَن بالمرة –حسب كلمات الرسول عن نعمة الله والعطية– بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح والتي ازدادت للكل (راجع رو ٥: ١٥). ويؤكد الرسول بعد ذلك أنه لا يمكن مقارنة الحكم الذي جاء بدينونة الموت، بعطية الغفران التي مسحت كل الخطايا، مؤكِّداً بعد ذلك أنه بالإنجيل صار لنا "فيضُ النعمة" (رو ٥: ١٧)، بل من كلمات الرسول بولس أخذنا هذه العبارات في صلوات الخدمة (القداس)؛ لأننا لا نصلي بتواضعٍ مزيفٍ ونحن في الهيكل، بل بصدقٍ نؤكد "حيث كثر الإثم فلتكثر هناك نعمتك" (القداس الباسيلي)، وهناك نؤكد أن الوسيط الحي هو ربنا يسوع المسيح الذي يعطي لنا جسده ودمه لكي نحيا بهما.

وأعود وأكرر أمامكم إن عبارات التعليم الرسولي يجب أنْ تبقىَ منارةً لنا حيث يعلن الرسول "إن الموت لا يسود على الرب؛ لأن الحياة التي يحياها بعد قيامته هي لله" (راجع رو ٦: ١٠). وهكذا هو يحيا فينا غالباً الخطية، قائداً إيانا نحو التوبة، مقدِّساً إيانا بالروح القدس، وبدم العهد الجديد الذي هو أفضل وأعظم من كل دم ذبائح العهد القديم.

وكما ذكرت في رسالتي لكم، أعود وأُكرر ما أخذناه عن شيوخ الكنيسة. لقد صار الصليب المكرم ينبوعَ خلاصٍ وحياةٍ لنا جميعاً، فهو ليس موتاً بدلاً لموتٍ، أي موت الرب كما مات أدم؛ لأن الربَ هو آدم الثاني "الرب من السماء" (١كور ١٥: ٤٧)، بل هو موتٌ جمع فيه الربُ ثلاثة أشياء:

– الطبيعة الآدمية الحقيقية القابلة للموت، والتي أخذها من والدة الإله؛ لأنه حقاً هو إنسان كامل.

---

(١) بسبب دقة وحساسية هذه الفقرات التزمنا بنص الترجمة العربية الشائعة رغم دقة الترجمة القبطية – الرب يسوع يرسل لنا من ينشر العهد الجديد باللغة القبطية.

– الموت الذي ساد على كل البشر.

– حُكم الدينونة: "موتاً تموت".

وسمح الربُ للموت أن يقترب منه بإرادته الإلهية المتجسِّدة، ولذلك قال عن موته: "لي سلطان أنْ أضعها، وسلطان أنْ آخذها أيضاً"، ولما جاز الموتُ في كيانه تم حكم الدينونة ومات حقاً. فقد قبل الموت في الناسوت وذاقه بالجسد، ولكن لا يجب أنْ ننسى أنَّ الذي ذاق الموت بالجسد هو ذاته الذي نطق بالحكم: "موتاً تموت" (تك ٢: ١٧)، فقد كان يمارس سلطانه الإلهي كديَّانٍ عادلٍ، ولذلك قال الرسول: "دان الخطية في الجسد" (رو ٨: ٣).

ولم يكن حكمُ الموتِ هو حكمَ واحدٍ فقط من أقانيم الثالوث، بل هو حكمُ الثالوث الواحد. هذا مدهشٌ حقاً وعجيبٌ أن يقبل الديَّان ذات الحكم، ولكن الديَّان لم يُحاكَم كعبدٍ شرير، أو كإنسانٍ خاطئ، إذ لم يكن هناك مَن يحاكمه، بل يُحاكِم الخطية أمام الإنسان معلناً أنه يكره الخطية، ويشفق على الإنسان الخاطئ، وهو ما يقدر الله وحده على أن يفعله. هذا صعبٌ علينا نحن البشر؛ لأننا لا نستطيع في أمورٍ كثيرة أن نفصل بين الخطية والخطاة، والذين يفعلون ذلك هم من نالوا ذات طبيعة وفكر الرب يسوع المسيح نفسه. وعلى الصليب – بالموت – قتل الربُ الموتَ مؤكِّداً أنَّ ثمرة الخطية، أي الموت لا يمكن أنْ تدوم إلى الأبد، بل سحقها تحت قدميه على الصليب.

كانت غلبةُ الموتِ على الصليب. وكانت غلبةُ الجحيم بالقيامة. فقد كان الجسد معلَّقاً على عود الصليب غالباً الموت. أمَّا النفس الإنسانية، فقد نزلت إلى الجحيم بواسطة الصليب وهناك داست الهاوية (حرفياً: حفرة الموت).

ولأن الجسدَ غَلَبَ على الصليب، فإننا نأخذه في السِّرِّ المجيد قربانَ حياةٍ. ولأن النفسَ غَلَبتْ الهاوية، لذلك تتَّحد نفوسنا بنفس الراعي الصالح، رأس الكنيسة. ولأن اللاهوت هو القوة وفيضُ الحياة الذي حفظ الناسوت من الفساد وأعاده حياً إلى الأبد، ووحَّد النفس بالجسد، فإننا نأخذه في السِّرِّ المجيد وفي سائر سرائر (أسرار) الكنيسة الجامعة.

إنَّ ما ذكرناه، إنما هو معلنٌ في الخدمة الإلهية (القداس)؛ لأننا نقول: "بموتك يا رب نبشِّر"، ولا نقف عند هذه الكلمات، بل نكمِّل: "وبقيامتك المقدسة"؛ لأننا لا نعيِّد في عيد المائدة السماوية، بموت الرب فقط، بل أيضاً بقيامته ونشترك في موته وفي حياته في كل يومٍ وفي كل قولٍ وفعل؛ لأننا نترك كل الأشياء لكي نتبع الرب، ونموت حتى عن الأمور الصالحة من أجل أن ننال العطايا السماوية.

أيها الأب المدبِّر، ثبِّت الأخوة في التعليم الرسولي؛ لأن دعوة الموحِّدين في كورة مصر تحاول أن تنزع منَّا نعمة الإنجيل، وأنْ تعيدنا إلى الشريعة القديمة. وهي دعوةٌ بلا سرائر (أسرار الكنيسة)، ولذلك فهي فارغةٌ تماماً من الروح القدس، روح يسوع الرب المحيي الذي هو منبثقٌ من الآب يحمل إلينا عطايا الآب، وناقلاً إلينا التقديس الكامل الذي أكمله الرب يسوع في جسده المحيي موحِّداً إيانا به، صانعاً منَّا وفينا خليقةً جديدةً حيةً بالروح القدس، هنا في هذا الدهر، وفي الدهر الآتي؛ لأننا لن نحيا حياةً جسدانيةً بعد القيامة، نأكل ونتزوَّج كما كنَّا قبل يوم الدينونة، بل نحيا حياة الشركة في الثالوث القدوس: **في الآب** الذي نعود إليه كأصلٍ لنا. **وفي الابن** الوسيط الذي فيه وبه نُقِلنا من عبودية الخطية والموت إلى حياة مجد الابن الوحيد بهبة التبني. **وفي الروح القدس** رب الحياة الذي ينقلنا من تراب الأرض إلى رِفعة وعزة الابن الوحيد، معطياً إيانا ذات التقديس الذي أخذناه، ويثبُت فينا في سر الولادة الجديدة والمسحة الإلهية.

ويجب أنْ نفهم باستقامة (حرفياً: بأرثوذكسية) أن الرسول عندما يقول إنَّ "الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرةً واحدة" (رو ٦: ١٠)، فهو لا يعني بالمرة أن الخطية أماتت الرب، بل مات هو لكي يميت الخطية، أي قوتها الظاهرة بوضوحٍ، وهي الموت. وهو قد مات للخطية، وتعبير "مات للخطية"، غير "مات بالخطية"؛ لأن السبب واضح من كلمات الرسول بعد ذلك "الحياة التي يحياها، فيحياها لله"، وهو هنا لا يعني أنَّ الربَ لم يكن حياً لله، وإنما بعد أنْ مات ليُميت الموت، صارت حياته هي حياة الوسيط بين الله والناس.

ويؤكِّد الرسول بعد ذلك "مرةً واحدةً"؛ لأن الرب مات مرةً واحدة، وصُلِبَ مرةً

واحدة، ولذلك فهو لا يُصلَب كلما نُخطئ، وهذا في حد ذاته يكفي لأن نقول إنَّ الموتَ قد ماته مرةً واحدةً لكي يميت الموت.

وهنا جديرٌ بنا أن نذكر أن الربَ قد غفر خطايا كثيرة قبل صلبه؛ لأن له سلطان مغفرة الخطايا (مت ٩: ٦ – مر ٢: ١٠ – لو ٥: ٢٤)، فهو لم يَمُت بالخطية، ولا كانت الخطية من القوة بحيث أنها تضع الموت في قلبه وإرادته وفكره الإنساني. أمَّا قول الرسول إنه حَمَل خطايانا في جسده على عود الصليب (راجع ٢ بط ٢: ٢٣ – ٢٤)، فقد سبق وذكر الرسول نفسه "الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مكر" (٢بط ٢: ٢٢)، وبعد ذلك يؤكد أنه عندما تألم لم يكن يُهدد، بل كان يسلِّم بعدلٍ (راجع ٢بط ٢: ٢٣). وهكذا بعد أن أكَّد قداسة الرب قال: "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة؛ لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (٢بط ٢: ٢٤). وما هي خطايانا إلاَّ الجراح التي كنَّا نحن السبب فيها، أي جراح المسامير وطعنة الحربة وعذاب الصليب؛ لأنه تألم بما فعلناه معه. وهكذا يدعونا الرسول أن نأخذ الربَ كمثالٍ لنا في الاحتمال وقبول الصليب وإهانات الخطاة التي نحملها أحيانا في أجسادنا.

لقد دخل الربُّ إلى السماء عينها، وليس إلى قدس أقداس هيكل سليمان، وهو ما يُطلِق عليه الرسول "المسكن الأعظم" الذي يفوق كماله كل كمال آخر "أي السماء" (راجع عب ٨: ١٢)، فأسَّس بذلك الفداء الأبدي، ولأنه رئيس كهنة العهد الجديد يصفه الرسول بأنه "قدوسٌ، وبلا شرٍ، ولا دنس ... أعلى من السموات" (عب ٧: ٢٦). وهو هنا يدخل الأقداس الحقيقية لكي يهيئ لنا طريق الحياة الجديدة في السموات.

لقد كتبت هذا الشرح لأجل منفعة الإخوة، ولذلك أرجو أن تضيف ما تراه مناسباً من كتابات الآباء لاسيما معلمنا أثناسيوس الكبير ومعلمنا كيرلس البار والعظيم بين معلمي الكنيسة.

سلام ومحبة لكم في الرب يسوع.

شركتنا
في آلام الرب وقيامته
هي شركة حياة

صفرونيوس عبد يسوع المسيح المصلوب لأجلنا يرسل السلام والتحية للأب صفنيا مدبِّر الإخوة الذي يهتم بالضعفاء أكثر من الأقوياء، ويرد الشاردين بمحبة الرب.

أكتب لمحبتكم جميعاً عن الأسبوع العظيم الذي أسَّس فيه الرب شركتنا الأبدية في ألآمه وصلبه وقيامته، وأعطانا بذلك الميراث السماوي الذي لا يفنى (١بط ١: ٤).

آلام الرب من أجل الخلاص

١- عجيبٌ هو تدبير الرب الذي -بمحبته التي لا يمكن أن نعبِّر عنها- جاء للخلاص من الموت ومن الخطية، فرفع حُكم الدينونة بالصليب وقتَلَ العداوةَ (أف ٢: ١٥ - ١٦)، وصَلَبَ الأهواءَ، ودَفَنَ الطبيعةَ القديمةَ في القبر، وأقامها بمجد خلود اللاهوت، وصَبِرَ على الألم لكي يجعله طريقاً للخلاص، ويحوِّلُه من ثمرةٍ للخطية إلى ثمرةٍ للبر؛ بسبب القيامة التي جعلت الألم مثل مخاض الولادةِ، وبسبب سُكنى الروح القدس فينا في سر المسحة الإلهية التي جعلت خَتم الصليب ختماً أبدياً يلتصق بالجسد في زيت الميرون، ويلتصق بالنفس بقوة ومجد الابن وفاعلية الروح القدس، فأنار بذلك ذهن الإنسان الجديد مؤكِّداً له أنَّ موت الصليب هو بذرة الحياة الجديدة التي تخرج من البذرة القديمة مثل الشجرة؛ لأنه لم يرذل الطبيعة الإنسانية الفاسدة، بل أخذها وحوَّلها فيه إلى طبيعة جديدة مجيدة غالبة الموت.

٢- عندما نرتِّل تسبحة البصخة، فإننا نرتِّل لمجد المصلوب حتى لا ننسى أننا أمام الملك العظيم رب المجد ورب القوات الجالس على الشاروبيم حتى وهو متجسِّدٌ؛ لأن القوات السماوية دُهِشت من تواضع الرب الذي حملته ركبتي البتول والدة الإله، وفرحت بما صار للإنسان؛ لأن حسد الشيطان للجنس البشري لم تشترك فيه القوات الروحية المقدسة التي رأت الخليقة الأولى، فأدركت صلاح الله ورحمته. ورأت الخليقة الجديدة، فدُهِشت من عمق المحبة الإلهية، واستنارت بإعلان الخلاص، ودُهِشت بالتسبيح لمن أخذ صورة العبد لكي يعطي الإنسانيةَ صورته وهو ما نبارك الرب عليه مؤكِّدين أن العزة هي لمن خلق كل الأشياء من العدم، والآن يخدم سر الخلاص من أجل حنوِّه الفائق.

٣- لقد تألم الرب لأجلنا، وكانت آلامه روحيةً قبل أن تكون جسدية. تألم لأنه جُرِحَ من أحبائه. وتألم لأن نفسه الإنسانية المتحدة بلاهوته ذاقت الأحزان في البستان عندما سُلِّم بقبلةٍ الخائن، وتركه الذين عاشوا معه. هؤلاء تمكَّن الخوف منهم فهربوا لكي يبقى الرب وحده حسب قول النبي: "دُستُ المعصرةَ وحدي" (أش ٦٣: ٣). ورسم الربُ طريق الخلاص، لكي يكون هو المخلِّص وحده، ولكي لا ينال الابن معونةً من أحد، وهو الذي يعين كل الذين يحتاجون إلى معونةٍ.

وهكذا درَّب الرب نفسه على السلوك الجديد، سلوك آدم الثاني رب الخليقة الإله المتجسد الذي يجعل جسده ونفسه الإنسانية تدخل آتون التجارب لكي تصير بقوة اللاهوت المتحد بنفسه وجسده قاعدة الخلاص الأبدي للإنسانية؛ لأن الخوف الذي جَرَحَ طبيعة الإنسان وجعله يترك طريق الله ويختار طريق الخطية ظناً منه أنه الطريق السليم، لم يكن يُعالجَ إلاَّ بمواجهةٍ مع الخوف من الموت في البستان، وعلى الصليب وفي القبر؛ لأن نفسه الإنسانية نزلت إلى الجحيم بقوة اللاهوت، وأنارت على الذين كانوا في ظلمة الجحيم. وداست على قوة الشيطان الذي له سلطان الموت (عب ٢: ١٤)، وأبادته بقوة وعزة رب الخليقة الذي نزل إلى حفرة الموت لكي يسترد الإنسانية من براثن العدو الأول أي الموت، والعدو الثاني أي الشيطان.

٤- هكذا أسَّس الربُ الخلاص الأبدي عندما سمح للموت أن يفصل نفسه عن جسده، فجاء الانفصال من داخل الأقنوم الواحد، ولم يُفرض عليه؛ لأنه غلب "أوجاع الموت" (أع ٢: ٢٤) حسب بشارة الرسول بطرس في يوم العنصرة، ولأن الموت يعجز عن أن يمسك به (أع ٢: ٢٤)، بل أمسك هو به وأسره وداسه، وجعل الانفصال عزةً للخليقة الجديدة؛ لأنه صار انفصال القديم عن الجديد، وولادة شجرة الحياة الجديدة من البذرة القديمة.

كان الموتُ حداً فاصلاً ومانعاً لا يمكن عبوره، فعبره الرب عندما أغلق فم الهاوية، ومزَّق كتاب الدينونة، وحوَّله الربُ إلى خادمٍ مطيعٍ يخدم الخليقة الجديدة، فتحوَّل من حدٍ يفصل الحياة عن البقاء الدائم إلى حدٍ يفصل الطبيعة الفاسدة عن الخلود والبقاء الدائم. وحوَّله من مانعٍ يسد على الإنسان طريق شجرة الحياة إلى مانعٍ

يمنع الإنسان من أن يقع أسيراً للخطية، ولم يحدث هذا بالقول، بل بالفعل. وهذا هو سر تدبير الرب في تجسده وآلامه الطوعية (الاختيارية) وصلبه وقيامته.

لقد ذاق الربُ الموتَ بالجسد على الصليب، وهو الذي أقام الموتى، وهو ما يجعل الكنيسة الجامعة تبدأ طقس الأسبوع العظيم بسبت لعازر مؤكِّدةً أن السبت هو سبت راحةٍ من الموت، وهو يسبق السبت الكبير، وذاق الربُ الموتَ بالجسد، وأخذ الموت، أي انحلال وحدة الكيان الإنساني، وذاقه، وانحلَّتْ نفسه من الاتحاد بالجسد، ووُضِعَ الجسدُ في القبر ونزلت النفس إلى الجحيم دون أن ينفصل الجسد والنفس عن اللاهوت، وهكذا جَمَع اللاهوتُ عناصرَ الموت كلها في القبر والهاوية والدينونة، وأباد الثلاثة في كيانه المتجسد، وأباد الشيطان وداسه في عقر داره، أي الجحيم.

٥- وعندما ضم الربُ إلى كيانه القبرَ والجحيم بواسطة جسده ونفسه، جعل القبرَ بداية الأرض الجديدة؛ لأن التراب الذي خُلِقَ منه آدم، والذي سمع عنه حكم الدينونة، هو ذات التراب الذي قيل له "تراب أنت وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩).ولما دُفِن التراب في القبر، حوَّل التراب إلى الأرض الجديدة التي تثمر للحياة الغالبة. أمَّا الهاوية، وهي كورة الظلام والموتى، فقد صارت بلا قوةٍ؛ لأن برق اللاهوت أشرق في ظلمة الجحيم، ولأن ظلام عدم الحياة قد انتهى عند الصليب.

وهكذا عادت نفسه واتحدت بجسده، نفسه الإنسانية التي تمثل نفوسنا جميعاً، وجسده الإنساني الذي يمثل أجسادنا جميعاً، عادت نفسه واتحدت بجسده؛ لأن قوة الاتحاد هي في اللاهوت. هذا الاتحاد لم يكن اتحاداً طبيعياً، حسب طبيعة آدم الأول، بل صار اتحاد الغلبة الذي لا تقوى عليه قوة الموت؛ لأن اتحاد النفس بالجسد حسب الخليقة الأولى قابل للانحلال، أمَّا اتحاد النفس بالجسد حسب الخليقة الجديدة غير قابل للانحلال، ولذلك عندما نترك نحن الجسد، فإن الجسد حتى وإن تحوَّل إلى ترابٍ، لازال هو الجسد الذي مُسِحَ بزيت الميرون الإلهي، ولازال يحمل هذه المسحة وهو ينتظر قيامة الأبرار.

وكما انفصلت نفسُ الرب عن جسده، تنفصل نفوسنا عن أجسادنا، ليس

بالموت الآدمي الذي داسه الرب، بل بموت الرب الذي غلب كل انفصالٍ؛ لأن الرسول بولس يهتف مع الخليقة الجديدة "مَن الذي يفصلنا عن محبة المسيح .... (ووضع الموت والحياة والملائكة)" (راجع رو ٨: ٣٥ – ٣٩)، أي الموت الآدمي والحياة الآدمية والقوات غير المنظورة .... هؤلاء جميعاً عاجزون تماماً عن أن يفصلوا عضواً واحداً في جسد المسيح الكنيسة عن الرأس، الرب يسوع المسيح. والسبب في ذلك هو أننا بموت الرب الذي هدم الانفصال لم يعُد الموتُ انفصالاً، بل انتقالاً وترتيباً للنفس لكي ترى الحياةَ الجديدة، وتتعلم أسرار الحياة الروحية الفائقة. وهكذا تؤكد الكنيسة –بصوت الرسل والآباء القديسين– "لا يكن موتٌ لعبيدك، بل هو انتقال" (أوشية الراقدين)، ونحن لا نلعب بالكلمات والألفاظ، بل نعلن سر المسيح في قوة وعزة ابن الله.

تأملوا معي أيها الأخوة كيف انفصلت النفس عن الجسد في السقوط؟ وكيف انفصلت النفس عن الجسد على الصليب؟

كان السقوط هو عار الخطية وظلام الموت، ولكن على الصليب انفصلت النفس عن الجسد بقوة اللاهوت، وهو ما يجعلنا نؤكِّد قوة الرب وقوة صليبه المحيي. كيف صار هذا؟ بعد أن جاز الربُ آلامَ الموتِ وصرخ: "إلهي إلهي لماذا تركتني"، وقال: "أنا عطشان"، بعد هذا قال عبارة الانتصار: "يا أبتاه في يديك استودع روحي" (لو ٢٣: ٤٦)، فأكَّد بذلك نهاية الانحلال الإنساني؛ لأن نفسه التي تمثل نفوسنا جميعاً استقرت في يدي الآب، وبذلك عَبَرَتْ مانع الموت الذي كان يمنع كل الصديقين من الدخول إلى السماء. ولما استودع الرب روحه، أي نفسه الإنسانية في أيدي الآب نزل بقوة لاهوته المتحد بنفسه الإنسانية والتي تحمل قوة الآب ومصالحته إلى الهاوية، وهناك بدَّد عرش الشيطان ودكَّ كل حصونه القوية وأطلق أرواح الأسرى.

الصليب وشركتنا في اللاهوت

٦– يقول الرسول بطرس إن قدرة الرب الإلهية قد وَهَبَت لنا كل ما هو للحياة (٢بط ١: ٣)، وهو بذلك يؤكِّد قدرة الرب التي أبادت الموت، وفتحت طريق

الفردوس، وأعطتنا شجرة الحياة، وهو ما يجعل الرسول يقول إن الرب يسوع دعانا بالمجد والفضيلة الذين بهما معاً –وليس بالمجد وحده؛ لأن المجد بلا فضيلةٍ هو شهوة الشيطان أن يصير مثل الله، وهي ذات خطية آدم، ولكن الرب بالمجد والقداسة والبر– وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة (٢بط ١: ٤). والمواعيد العظمى "من آمن بي ولو مات فسيُحيا". والمواعيد الثمينة "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا المجد الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يو ١٧: ٢٤)، فكيف ننظر مجده الأزلي إلاَّ إذا كنا معه؟ ولذلك يقول الرسول "أن تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية"، ونحن شركاء الطبيعة الإنسانية بسبب تجسد الرب، أمَّا شركتنا في اللاهوت، فقد جاءت بالصليب والقيامة.

على الصليب أباد الربُ الموتَ، فجعل الطبيعة الإنسانية غير قابلة للموت. وعلى الصليب وفي القبر أباد الربُ الفسادَ، وحوَّل انحلال الجسد إلى بدايةٍ جديدةٍ تتحول فيها عناصر الجسد إلى مجد الخليقة الجديدة. وفي الجحيم أباد الربُ الشيطانَ وقوته وفتح لنا أحضان الآب، ولذلك قال بفمه الإلهي: "أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون" (يو ١٧: ٢٤)، وبذلك أسَّس شركتنا في اللاهوت، وهو ما يعلنه مرةً ثانيةً في كلامه المحيي: "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي" (رؤ ٣: ٢١). هكذا نشترك في الطبيعة الإلهية بواسطة الوسيط الواحد ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه فديةً عن كثيرين (راجع مت ٢٠: ٢٨ — مر ١٠: ٤٥)، فقد فدى الطبيعة المأسورة للموت والفساد وحررنا وفك رباطات الإنسانية بقوة صليبه المكرم وأعادنا إلى الفردوس وأعطانا أن نأكل من شجرة الحياة، جسده الإلهي ودمه الكريم المقدس في كل شيء، والذي يقدِّس الذين يتناولونه.

أدان الخطية في الجسد (رو ٨: ٣)

٧– يقول معلم الأمم ورسول المسيح بولس الحكيم في أقوال الله إن الآب "أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد" (رو ٨: ٣). حكم الربُ على شبه جسد الخطية، أي الناسوت الذي أحبه الإنسان وفضَّله على الله نفسه، وهو ما جعل الرسول يقول "محبة الجسد عداوة لله" (يع ٤: ٤).

ولكن جاء الصليب حُكماً بالموت على الطبيعة الخاطئة، لكي بموت الطبيعة القديمة تموت الخطية. جاء حكم الموت من المحبة الإلهية للثالوث التي لم تقبل أن يحيا الإنسان في الفساد إلى الأبد، ولا أن يبقى تحت سلطان الموت والشيطان.

جاء الابن كلمة الآب رب المجد ونزل إلى حقارتنا لكي يرفعنا إليه. نزل إلى "وادي ظل الموت" (مز ٢٣: ٤). جاء السيد إلى العبيد الأسرى، ولم يُطلق سراحهم ليعودوا من جديد إلى العبودية، بل صُلِبَ لكي يصلب الدينونة، ولذلك ترنم بولس الإلهي في دهشة الفرح "لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع" (رو ٨: ١)، ومات على الصليب لكي تموت معه وفيه الطبيعة المستعبدة للموت. وصُلِبَ لكي تُصلَب معه كل الفرائض القديمة ورباطات الشريعة القديمة (كولوسي ٢: ١٤)، ولذلك ينشد الرسول قائلاً "وإذا كنتم أمواتاً في الخطايا وجسدكم غير المختون أحياكم معه غافراً لكم جميع الخطايا" (كولوسي ٢: ١٣ النص القبطي). وبموت الناسوت ماتت الطبيعة الإنسانية، ولكن موت الصليب ليس هو حكم الموت الذي صدر على الإنسان "يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك ٢: ١٧)، بل هو موتُ فداءٍ وخلاص، ولذلك نُنشد نحن الأسرى: "لك القوة والمجد والبركة والعزة يا عمانوئيل إلهنا ومخلصنا، قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصاً" (تسبحة البصخة).

جاء الرب لكي يموت ويصبح موته حياةً لنا؛ لأنه لم يبادل موتاً بموتٍ، بل قَبِل موت آدم لكي يبيد ذلك الموت، ويجعل الصليب ينبوع سرائر (أسرار) الكنيسة، فوُلِدَت المعمودية والمسحة ووليمة الدهر الآتي من الصليب ومن القيامة. وُلِدَت المعمودية التي نُصلبُ ونموتُ فيها مع الرب" (رو ٦: ٣). وثبَّت الربُ عطية الروح القدس بالصليب المكرَّم، وهو ما يعلنه ترتيب سر المسحة بأختام الصليب (رشومات الميرون) التي تُوضع على أجسادنا وتدخل في أعماقنا وتنير العقل وتطهر القلب وتقوي الإنسان الجديد المخلوق على صورة الله في سر الميلاد الجديد.

ولأن الرب مات على الصليب، وأباد الموت تماماً، لم يعُد جسده المقدس قابلاً للفناء، ونحن نوزِّعُه ميراثاً لا يفنى؛ لأنه غلب الموت. ونأكله ونحيا به، وهو لا ينتهي؛ لأنه قهر القبر. ونتحد به اتحاداً كاملاً دون انفصالٍ؛ لأنه غلب الانفصال. ولولا

غلبة الموت على الصليب لما استطعنا أن نأكله كله حيَّاً ومُحيِّياً؛ لأن بالموت انفصالاً ونهايةً وفساداً، ولذلك عندما نوزِّع جسد الرب، فنحن لا نعطي للمتناولين منه جزءً، بل جسداً كاملاً تاماً للرب الإله المتجسد، ونتحد به: بنفسه الإنسانية التي تُقدس نفوسنا، وبلاهوته المجيد لكي نشترك في مجده.

٨- هكذا تمت دينونة الخطية على الصليب -ليس فقط- بإشهار فسادها وعجزها، ولكن بعطاء ينبوع الحياة الجسد والدم المكرمين، وأيضاً بالشركة في الطبيعة الإلهية التي هي أساس شركتنا في كل سرائر (أسرار) الكنيسة المقدسة.

الصليب والقيامة أساس الشركة

٩- أيها الأب المكرم والمحبوب من الله الآب في ابنه الوحيد، ليكن لنا معاً شركة في المسيح إلهنا بالصليب، بروح البذل وبخدمة الأخوة، وبالتضحية بكل ما هو ثمين، لا بما هو رخيصٌ؛ لأن الذي مات لأجلنا وأحيانا لم يكن رخيصاً، بل عظيماً، بل هو العظمة الحقيقية.

علِّم الأخوة أن الحوار هو حوار الصليب -ليس فقط برشم الصليب على الفم إذا احتدم الجدل- بل بقبول الآخر من أجل الذي غفر لنا جميع خطايانا بموته المحيي.

وعندما نخدم بعضنا البعض، لتكن لنا خدمة الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح، أي لا نسأل المكافأة، ولا نطلب المديح، ولا نسعى لكي ننال استحسان الآخرين من أجل الذي أخذ صورة العبد، وهو الابن الأزلي.

وعندما نأكل ليكن لنا طعام حقيقي، وهو الصليب المكرم، ليس فقط عندما نضعه على الخبز أو نرشم هذه العلامة على الطعام، بل لنأكل في عدم اهتمام بالكم ولا بحساب النوع، بل بما هو فيه منفعة حقيقية؛ لأن الذي مات على الصليب لم يكن يهتم بالجلد والمسامير، ولا خاف من عار الصلب، بل كما يقول الرسول: "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله، فتفكروا في الذي

احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم" (عب ١٢: ٣ – ٤).

لذلك أيها الأحباء، لنخدم –مهما كانت الخدمة– من أجل الذي نزل إلى أعماق الجحيم لكي نفرح معه، ولكي ندرك بذل محبته.

لننام نوم الصليب قائلين مع المصلوب: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" (لو ٢٣: ٤٦). وعندما ننهض من النوم لنرشم أعضاء أجسادنا لكي نؤهل للحياة الجديدة؛ لكي ندرك أننا وُهبنا هذه الحياة لكي نتحرر من الأهواء ونستعد لمقابلة عريس نفوسنا ربنا يسوع المسيح.

أخيراً، صلُّوا لأجلنا؛ لأننا ونحن نستعد معاً لننال بركة الصوم المقدس ومجد الأسبوع العظيم، لنطلب سلاماً لكورة مصر، وهدوءً للكنائس، وقداسةً وحياةً لكل الذين يعرفون ربنا يسوع المسيح. صلُّوا لكي يكون لنا فرح القيامة في كل حين، وفي كل يوم كما كان يفعل أنطونيوس الكبير الذي كان قانونه "حيٌ هو الرب الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم"، ولأن الرب حيٌ، فنحن أحياءٌ به وفيه.

الإفخارستيا،
جسد المسيح الحي القائم من بين الأموات

صفرونيوس عبد يسوع المسيح يتوسل إلى الله الآب باسم ابنه يسوع المسيح أن يمنح لنا ولكم السلام الذي لا يتزعزع ويثبِّته بقوة الروح القدس، روح الاستنارة وروح القيامة، لكي يرفع أفكارنا ويفتح عيون قلوبنا إلى المجد الإلهي الذي يعطيه الروح القدس لكل مَن يطلب.

العُرف السائد يجب أن يُمتحن حسب التعليم:

١- أقول لكم بمحبة يسوع المسيح رب المجد إن الربَّ لم يُسلِّم لنا عُرفاً وقصصاً، بل سلَّم لنا التعليم الإلهي الذي يجب أن يسود على كل العادات مهما كانت، وأن تخضع العادات للإيمان والتعليم، ولا يخضع الإيمان للعادات. إن قبلنا هذا، وجدنا الحرية الحقيقية التي وعدنا بها الرب يسوع بفمه الإلهي: "إن حرركم الابن فحقاً تصيرون أحراراً" (راجع يوحنا ٨: ٣٣).

٢- لنفحص بكل تدقيق عن غاية الممارسات التي ذكرتموها لي وللأب الشيخ الحكيم ديونيسيوس، لأن أي ممارسة -مهما كانت- لا تقوِّي المحبة ولا تقربنا من "سر المسيح" ولا تقوِّي السلام، بل تزرع القهر والخوف والوساوس، ليست من الإيمان، وكل ما هو ليس من الإيمان هو خطية (رو ١٤: ٢٣) حسب كلمات التقوى الحقيقية لمعلم الإيمان رسول الرب يسوع المسيح بولس الحكيم.

٣- كل ممارسة مهما كانت، ليس لها أصل أو دليل في التاريخ الكنسي يجب أن تُفحَص بدقة لئلا نقع أسرى في قبضة الفكر والخيال الذي يطوِّح بنا بعيداً عن الرب نفسه، ونخلق لأنفسنا خرافاتٍ وأوهامَ تعطل حياتنا، وتخلق لنا موانع خلقناها لأنفسنا تجعلنا لسنا فقط أسرى، بل تبعدنا عن نعمة الله الغنية.

التعليم الخاص بالإفخارستيا:

٤- قام الرب في اليوم الثالث حسب التعليم والاعتراف في قانون الايمان (حرفياً الأمانة). قام بعدم فساد (أع ٢: ٢٧) لا يسود عليه الموت (رو ٦: ٩). ردَّ الحياة غير المائتة إلى جسده بقوة لاهوته، وهو ذات الجسد الذي مُسح بالروح القدس بعد

خروجه من الماء، وهو ذات الجسد الذي قُدِّم على الصليب بالروح القدس (عب ٩: ١٣)، وذات الجسد الذي قام حياً ولمسه الرسل، ولكنه صار جسد المجد (فيلبي ٣: ٢١) الذي دخل العلية والأبواب مغلَّقة.

٥- هذا هو الإيمان الأرثوذكسي الذي قبلناه وبه نعترف وبه نخلص وبه ننال حياة عدم الفساد. فقد غيَّرت القيامةُ المحيية كل ما نعرفه عن أسفار العهد القديم، فبالقيامة نرتل المزامير برجاءٍ حيٍّ في المخلِّص الحي القائم من بين الأموات. كما غيَّرت القيامةُ معاني كلمات كثيرة مثل كلمة "الحياة"، لأنها فَصَلَت بين الحياة الترابية والحياة السمائية، بين موت الفساد والدينونة، ورقاد الراحة في انتظار يوم المجد يوم قيامتنا الذي سوف يغيِّر فيه الرب أجسادنا الترابية إلى الأجساد السماوية. وغيَّرت القيامةُ "الطعام" و"الأكل والشرب"؛ لأننا نأكل ثمار الأرض لكي نحيا الحياة الترابية، ولكن القيامة جاءت بالخلود وبعدم الفساد الذي ليس من صفات الجسد الترابي، ولذلك نحن نأكل طعام الحياة وطعام الخلود، أي الجسد المحيي والدم الكريم "ترياق عدم الموت" و"دواء الخلود".

٦- كيف وبأي وسيلة يعود الموت والفساد إلى جسد الرب ودمه بعد القيامة؟! كيف غلب الربُّ القبرَ وحطَّم الهاوية وقام حياً لكي يصبح بعد ذلك طعاماً ترابياً مثل سائر الأطعمة التي هي من ثمار الأرض؟!

يقول الرسول بولس عن حياتنا الأرضية: "إن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً" (غلا ٦: ٧)؛ لأن ما يُزرع في الأرض لا يعطي إلا ما هو أرضي، ونفس كلام الرسول ينطبق على الخير والشر، لأن حصاد الخير هو خير، وحصاد الشر هو شر، حصاد السرقة الشك والارتياب، وحصاد الكذب فقدان طهارة القلب، وحصاد الزنى كثير، ولكن أشواك الزنى هي الغيرة والبغضة والشك والخوف وفقدان سعادة المحبة، أما حصاد النقاوة فهي كما قال الرب يسوع رب المجد: "معاينة الله" (متى ٥: ٨).

٧- كيف زرع الربُّ جسد القيامة لكي يعود إلى الفساد؟! وكيف وهو في القبر نائم بالجسد، لم يعاين الفساد، لكي -بعد قيامته منتصراً- يغلبه الفساد؟! إن

كل تصوراتنا يجب أن تخضع للقيامة، وخضوع هذه التصورات للقيامة يعني أن نرى قانون الحياة الأبدية. وما هو هذا القانون؟

- هو عدم الفساد.
- عدم الانقسام والتجزُّء.
- عدم الانفصال.

والوجه الآخر لهذا القانون هو:

- الوحدة التي تجمع الفرقاء.
- الحياة التي لا يقوى عليها الموت.
- الخلود الذي لا يقع تحت تأثير ما هو أرضي وترابي.

أقول لكم أيها الأخوة إن من يفشل في إدراك قانون الحياة الأبدية ويعيد الرب يسوع إلى طعام أرضي ترابي هو بلا إيمان، لأن الإيمان يعلِّمنا أن مجدَ الحياةِ قد أشرق حسب عبارة الرسول عن رب المجد "الذي أنار الحياة والخلود بالإنجيل" (٢ تي ١: ١٠)، أي بشارة انتصار الحياة على الموت.

ممارسات خرافية:

٨- ما سمعته من الأب صفنيا قد أحزن قلبي؛ لأن البعض منكم يظن أن جسد الرب يسوع ودمه يبقى على اللسان والأسنان، ويمارسون خرافاتٍ لا أصل لها في الإيمان نفسه. هؤلاء يجزِّئون الربَّ إلى قطع صغيرة، ويحولون مجد السمائي إلى طعام أرضي يفسد ويذوب ويتجزأ، ولكن الحقيقة هي عكس ذلك، فما هو سمائي هو إلهي، أي مصدره الله. ما زرعه الرب يسوع، إنما زرعه في بستان الحياة الأبدية، وهو ليس خاضعاً لقانون الفساد والموت. والحرص على حركات القلب والنية هو الأهم، أما عدم الأكل أو اعتبار أن الفم صار أقدس من كل أعضاء الجسد، فهذا تعليمٌ فاسد يجلب الفساد؛ لأن اتحادنا بالمسيح هو اتحادٌ كاملٌ بكل أعضاء الجسد، وبكل قوى الحياة التي في النفس والروح، وهو اتحادٌ لا يخضع لأي شيء نعرفه عن الأمور الأرضية، ولا يجب أن يفسَّر بشكل (أسلوب) أرضي، ليس فقط

لأن الأرضيات مختلفة تماماً عن السماويات، بل لأنها من حيث الأصل –أي التراب والنمو، أي القوانين الخاصة بالحياة الجسدانية والغاية، أي سبب خلقتها– لا تصلح لأن تفسِّر الأصل الإلهي وقانون الحياة الأبدية، أي قانون ملكوت الرب، والغاية أي الاتحاد بالرب الذي يقودنا إلى الاتحاد بالآب نفسه وبالروح القدس.

٩– وكل ما لدينا من عاداتٍ وأعرافٍ وما يولد حولها من ممارسات السُّذَّج وعامة الناس وهي الخرافات، لا تبني علاقتنا بالثالوث القدوس؛ لأن كل هذه نابعةٌ من الذات وتعود إلى الذات، أما ما وُهِبَ لنا من الله، فهو من الله ويوحِّدنا بالله.

المسيح لا ينقسم:

١٠– لا توجد بقايا أو أجزاء من المسيح، أي من جسده ودمه بعد التناول في الفم أو الأسنان؛ لأن الرب يسوع ليس طعاماً أرضياً يمكن أن ينقسم أو يجزَّأ، والأسباب في ذلك حسب تسليم الإيمان وحكمة شيوخ الكنيسة هي:

أولاً: نحن لا نتناول كأفراد مجتمعين حول مذبح الرب أجزاءَ من جسد الرب، أو نقطاً من دمه، بل يتناول كلُّ فردٍ على حدة ومع جماعة الرب في نفس المكان والزمان، الرب يسوع المسيح، جسداً واحداً ودماً واحداً وقرباناً واحداً وُضِعَ من أجل القضاء على الانقسام والتجزُّء.

ثانياً: الانقسام والتجزُّء هما ثمار الفساد، والرب غلب الفساد وداسه في القبر وقام من بين الأموات بلا فساد.

ثالثاً: جاءت الخطية بالموت وبالموت الفساد، وبالموت وُلِدَ الانقسام والانفصال، انفصال الروح عن الجسد، انفصال الأخ عن أخيه بسبب البغضة، انفصال الشعب عن غيره من الشعوب، ولأن الرب يسوع المسيح جاء لكي يقضي على كل أشكال الانفصال، هَدَمَ أول علامات الفساد، وهو تحلل الجسد في القبر، وهَدَمَ أهم أركان الموت، وهي الجحيم، وأعلن الحياة الغالبة بالقيامة، وشتَّت القوات الشريرة؛ لذلك علينا أن نتمسك به ونسير معه في موكب انتصاره.

توزيع الأسرار:

١١- نحن نوزِّع جسد الرب يسوع ودمه حسب طقس الكنيسة، لكي ينال كلٌّ منا ميراثه، والتوزيع لا يعني التقسيم، بل يُعلن ميراث كل مؤمن. وعند التوزيع، يجمعنا المسيح معاً لكي نصير حقاً جسده في هذا العالم.

وصية ختامية:

١٢- مَن يمارس شيئاً ما، عليه أن يكون على يقين من أنه إنما يفعل كل شيء حسب الإيمان ومن أجل محبته للرب، ولذلك، مَن لا يغسل فمه لكي يتعلم الصمت، ومَن لا يبصق على الأرض بعد التناول من أجل ضبط فكره، لا خوفاً من أن يسقط من فمه شيءٌ من جسد الرب ودمه، فهو على صواب، ولكن إهانة رب المجد بسبب إفرازات أو القانون (الطبيعي) الخاص بالجسد هو فكرٌ واعتقادٌ بعيدٌ كل البعد عن الإيمان. ونفس ما ذكرناه سابقاً ينطبق على الاستحمام بالماء وما يخص نظافة الجسد وإفرازاته.

لنحيا للرب، ونترك كل الأمور التي تعطل شركتنا معه، لأنه هو وحده حياتنا. والحياة الحاضرة هي هبة لا يجب أن تضيع في مهاتراتٍ وخرافاتٍ وجدلٍ عقيم.

صفرونيوس يطلب بركة صلواتكم، نعمة وسلام الرب معكم.

الإفخارستيا جسد المسيح الواحد

من صفرونيوس إلى الإخوة المبتدئين:

١- سلامُ ربنا يسوع المسيح، محب البشر الذي ارتضى أن يكون لنا ميراثاً، وأن يصالحنا في جسم بشريته، فخلقَ في نفسه إنساناً جديداً واحداً صنع به السلام مع الآب (أف ٢: ١٥)، وهو أقامنا نحن في جسده وجعلنا أهل بيته (أف ٢: ٢٢) صائراً هو "الرأس الذي منه ينمو كل الجسد" (كو ٢: ١٩) ثابتاً بقوة وبنيان الروح القدس.

سؤالٌ هام:

٢- سؤالكم عن جسد ربنا يسوع المسيح في السر المجيد هو سؤالٌ دقيقٌ وهام؛ لأنه يكشف عن رغبةٍ مقدَّسةٍ في إدراك الأسرار، ولكن علينا أن نتعلَّم الروحانيات من الروحانيات؛ لأن تعلُّم الروحانيات من الجسدانيات هو ضررٌ وعطبٌ خطير.

سِرٌّ سمائيٌّ للذين تعلَّموا الأسرار:

٣- من جهة تناولنا من جسد الرب، فنحن نأخذه كله، المسيح الواحد الرب الواحد الذي لا ينقسم. هذا سِرٌّ سمائيٌّ يدركه الذي تعلَّموا الأسرار وخفاياها من الشيوخ، وهؤلاء علَّمونا أن عمانوئيل إلهنا واحدٌ هو من بعد الاتحاد، وغير منقسمٍ إلى طبيعتين. هكذا نعرف أنه منذ حلول أقنوم الكلمة الابن الوحيد في أحشاء العذراء القديسة مريم، اتحد بغير افتراقٍ بالناسوت، فولدت الله الكلمة المتجسد، وهذا هو السبب الذي لأجله دُعِيَتْ والدة الإله الثيؤطوكوس.

الاتحاد الفائق للاهوت والناسوت في المسيح:

٤- أَمَا وأنَّ ربنا يسوع المسيح قد صعد بجسده وجلس عن يمين الآب في مجده، فهذا هو اعتقاد كل الأرثوذكسيين. وهو في مجده، المسيح الواحد، وأيضاً في السر المجيد هو المسيح الواحد غير المنقسم إلى لاهوت وناسوت. وبسبب هذا الاتحاد الفائق الإدراك هو كائنٌ على مذبح الكنيسة الجامعة بجسده ودمه في كل ليتورجية،

ونحن نفهم هذا السر على قدر إدراكنا باعتقادٍ حَسَنٍ وصحيحٍ بسر الاتحاد بين اللاهوت والناسوت. هذا الاتحاد المجيد الفائق صار فيه الناسوت واحداً بلا افتراق عن لاهوت وأُقنوم الكلمة، وهذا الاتحاد هو الذي جعل كل ما يصدر عن الناسوت أو اللاهوت هو فعلٌ واحدٌ إلهيٌّ إنسانيٌّ للمسيح الواحد. فهو وحده الواحد الذي لما لمست نازفةُ الدمِ ثوبَه شُفِيَتْ، وهو الواحد الذي وَضَعَ الطينَ على عيني المولود أعمى فأبصَرَ. فإذا كان المسيحُ الواحدُ لا ينقسم ولا تفترق طبيعته من بعد الاتحاد، بل له فعلٌ واحدٌ، فكيف يحدث افتراقٌ في السر المجيد؟ هو بذاته حاضرٌ بناسوته ولاهوته على مذبح الكنيسة الجامعة، وينقل إلينا حياته الفائقة؛ لأنه سبق وملأ المسكونةَ من مجد أُلوهيته. أمَّا الآن، فهو يملأ الكنيسة جسده بنعمةٍ خاصةٍ وهبةٍ فائقةٍ، هي هبةُ الخلاص والشركة في الطبيعة الإلهية. المسيحُ واحدٌ له فعلٌ واحدٌ لا يَهب شيئاً بالناسوت دون اللاهوت أو باللاهوت دون الناسوت، وهذا ما يحدث في كل الأسرار التي تفوق إدراك المعرفة التي تتكون فينا بالحواس، لا سيما العينين.

تبادُلُ الصِّفات:

٥- وأمَّا عن ناسوت المسيح الكائن سراً على المذبح في السرِّ المجيد، فاعلم أن هذا هو الحق، ليس لأن الناسوت قد تحوَّل إلى لاهوت كقول أوطاخي، وإنما بفضل الاتحاد، صار ما للاهوت خاصاً بالناسوت مثل عدم الفساد والقيامة وغلبة الموت، وصار ما للناسوت خاصاً باللاهوت، وهكذا تم تبادُل الصفات بسبب الاتحاد، مع بقاء اللاهوت والناسوت دون اختلاط أو امتزاج أو تغيير كقول الآباء. وبسبب الاتحاد قيل إن دمَ ربنا هو دمُ الله (أعمال ٢٠: ٢٨)، وبالاتحاد أيضاً صار اللاهوتُ واهباً الشفاء والقيامة لكل مَن يلمس جسده أو يشترك في السرِّ المبارَك. ومتى اجتمعنا نحن في الكنائس من أجل الصعيدة الناطقة الروحانية غير الدموية، حياة الابن الوحيد ومجده، ومن بعد استدعاء الروح القدس، نشترك في لاهوت وناسوت الابن الوحيد. ونحن الذين قَبِلنا الروحَ القدس وبه خُتمنا في المسحة المقدسة في المعمودية، قد أنار الروحُ القدس بصائرنا وغَرَسَ فينا حياة المسيح الغالبة الموت. هو بذاته المسيح الواحد ينقل إلينا هذه الحياة السرِّية في السرِّ المجيد، وهذا لا

يكون غرساً لحياة الرب فينا من جديد، بل لأننا في المعمودية ننال هذه البذرة، نعود ونلتصق سِرِّياً بالرب، ويكون هذا على مثال سَرَيَان الحياة من الرأس إلى الأعضاء في الجسد الواحد. ونحن نستدعي الروح القدس؛ لأن المسيح ربنا كائنٌ في وسطنا، ليس بشكلٍ جسداني منظور كما كان في أيام جسده قبل القيامة، بل كائنٌ بالروح القدس بشكلٍ غير مرئي يعلنه لنا الروح القدس، فيغرس محبته (المسيح) في قلوبنا.

الإدراك بالروح القدس:

٦- وهكذا، هو حقاً وبكل يقين، بجسده ودمه الحقيقي. وبقولنا: الحقيقي، نحن نعني الممجَّد والقائم من الأموات، ولا نعني العظام واللحم فقط، وإنما ما صار في هذه العظام واللحم من مجدٍ وحياةٍ حقيقيةٍ، نزَعَت الموت والفساد عن الطبيعة البشرية. فالروح القدس غير الهيولي لا يهب لنا جسداً خيالياً كزعم الهراطقة (الدوسيتيين)، وإنما يعطي لنا جسداً حقيقياً ممجَّداً بالاتحاد، هو ذاته الذي أخذه من العذراء مريم ورَفَعَه إلى مجده. ولما صَعِدَ إلى مجده لزم أن نقبله بالروح القدس السمائي غير المجسَّم بأي نوعٍ أو شَبَهٍ، حتى ترتفع عقولنا وندرك أن ما يمنحه الروح يُفهم بشكلٍ روحيٍّ غير جسداني.

المذبحُ الواحد:

٧- ومذبحُ الكنيسة الواحدة الجامعة هو مذبحٌ واحدٌ مهما تعدَّد؛ لأنه كما أن المعمودية واحدة، هكذا المذبحُ واحدٌ. والذين يتممون المعمودية في كل أرجاء المسكونة، إنما يتممون معموديةً واحدةً بإيمانٍ واحدٍ وربٍّ واحدٍ. قوةٌ واحدةٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ونعمةٌ ثابتةٌ لا تتغير مهما تغيَّر الزمان والمكان؛ لأنها معمودية الرب الواحد في جسده الواحد الكنيسة الجامعة. وهكذا صعيدةٌ واحدةٌ لربٍّ واحدٍ لا تتغير في زمانٍ أو مكانٍ.

عطيةُ التبني:

٨- وكما أن الذين يغطسون في مياه المعمودية ينالون كلٌّ واحدٍ قوةَ موتِ المسيح وقيامته حسب عمله السِّرّي في الإنسان، وهكذا، إذ يصير لنا موتُ المسيح وقيامته؛ نتَّحدُ بالربِّ آدم الثاني، ونُولد ميلاداً جديداً يجعلنا آنيةً مقدسةً وخرافاً في قطيع الحمل ابن الله.

وبتغيير الطبيعة الإنسانية التي فينا من آدم القديم إلى آدم الجديد، يتمُّ غرسُ حياةَ البنوةِ فينا، ولا نعود عبيداً للفساد الذي يغرس الانقسامَ فينا والموت الذي يجعل كلَّ أخٍ عاجزاً عن رؤية أخيه. وبالمعمودية ننتقل إلى الحياة الجديدة التي ترفعنا فوق فساد الطبيعة القديمة وتحوّلنا إلى هيكل الله الحي. وكما أن المعموديةَ واحدةٌ، كذلك المذبحُ الواحد. فالمعمودية واحدة؛ لأنها كائنةٌ في الكنيسة الواحدة. إنها هبة الميلاد الثاني وعطية الروح القدس التي لا تتغير. ونحن نُعمَّد؛ لأن هذه العطية كائنةٌ في الكنيسة، وهي ليست كائنةً في موضع جرن المعمودية، بل كائنةٌ من قِبَل اتحاد اللاهوت بالناسوت في ربنا يسوع المسيح. وفي سِرِّ زواجه السِّرّي بالكنيسة، مَنَحَ لها أن تأخذ في أي وقت وفي أي مكان من حياته الإلهية الإنسانية؛ لكي تُعمِّد الآتين إليها، وتمنحهم عطية التبني وهبة حياة عدم الموت، لذلك عينه، فإن الرب الذي يعطي سِرَّ التبني في المعمودية هو بذاته يقترن بنا بسِرِّ صليبه، أي القضاء على الإنسان العتيق بتكوين الإنسان الجديد في كل الذي يعتمدون باسمه للآب وبالروح القدس. وهكذا أيضاً على مذبح الكنيسة، يهب ذاته حيًّاً قائماً من الأموات، وهي هبة اللاهوت لنا في جسد ربنا يسوع المسيح.

الاتحادُ في التوزيع:

٩- ولأنه اقترن بكل مؤمنٍ في سرِّ المعمودية، فإنه يأتي إلينا مقترنا بكل الجماعة مؤلِّفاً إياها في جسده. وعندما نتناوله، فليس هو الذي ينقسم بالتوزيع، وإنما نحن الذين نتَّحد به في توزيع جسده ودمه. لقد تمجَّد على الصليب وبالروح القدس "لكي يجمع أولاد الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢)، وهو لذلك، لا ينقسم في التوزيع، وإنما بالتوزيع، يصير المتفرقون جسدَهُ المقدس. هو لا يصير ما نحن، وإنما

نحن نصير ما هو. ولو صار هو ما نحن لصار في فساد الموت. وإنما نحن نصير ما هو؛ لأن قيامتَهُ تغلبُ فسادنا، وقوتَه تحوِّلُ ضعفنا إلى عدم الموت، وهو الذي سبق وأخبرنا بذلك مؤكِّداً لنا أن أكل جسده المقدس وشُرب كأس عهد دمه، إنما تهبنا الحياة الأبدية.

الروح القدس هو المذبح الواحد:

١٠- وإن كان للكنيسة الجامعة الرسولية مذابح عِدة في كل المسكونة، إلَّا أن المذبح واحدٌ، أي الروح القدس الذي يقدَّم عليه جسد ودم ربنا يسوع المسيح، فالمسيح لا يوضع على عدة مذابح متفرقة، وإنما يجمع المتفرقين إلى واحد. هذا سِرٌّ عظيم لا يمكن أن يفهمه العقل؛ لأن الإنسان ينتقل من مكانٍ إلى مكان، أمَّا الرب فهو يرسِل -بالروح القدس- حياته الإلهية الإنسانية من حضن الآب، وهو يفعل ذلك بمحبته الشديدة، المحبة تُجمِّع، أمَّا الخطية والعداوة، فهي تقسِّم، المحبة تجعل حتى الفرقاء واحداً، أمَّا أعمال الجسد، فهي تفرِّق الأحباء. وإذا كان الرسول قد قال إن "من يزرع للجسد يحصد ثمار ما زرعه أي العداوة"، فهو يؤكد علينا أن السر المجيد ليس عملاً جسدانياً، ولا هو حصاد الثمر الجسداني الذي يُزرع حسب الجسد، وإنما هو قوة حياة "الرب من السماء" الذي جعل جسده بالاتحاد "مأكلٌ حقٌّ"، وأهَّلنا لأن نشترك في جسده السمائي من بعد قيامته وصعوده إلى السموات قائلاً: "فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً"، فأكَّد بذلك أنه سوف يمنح جسده بعد صعوده إلى الكنيسة الجامعة لكي يجمع الكل، ويصير الرأس. هو الذي تنمو منه الأعضاء. هو فوق لكي يجمع الأرضيين في السمائيات ويجعلهم معه واحداً، لا لكي يصبح أرضياً ينقسم ويوزَّع، ومن يأكل الإفخارستيا، فهو يعرف أن الرب صار "نصيبه وميراثه"، فهو يأخذه كله.

الرب والكنيسة:

١١- من أجل ذلك، استلمنا من الشيوخ الذي سبقونا في الإيمان أنه كما أن المعمودية واحدة والرب واحد والكنيسة واحدة، كذلك المذبح واحد والذبيحة

واحدة والرب رأسٌ واحد لجسدٍ واحد هو الكنيسة الواحدة. هذا سِرٌّ لا يخضع لتصورات العقول الغارقة في الأرضيات، وإنما تتقبله العقول المؤمنة بالسماويات، مدركةً كيفية قياس الهبة على غيرها من الهبات والعطايا، وكيف ينضبط الفكر والإدراك ويتقبل الأمور السماوية. والهبة الفائقة التي تجمع كل الأسرار، هي زواج الرب بالكنيسة؛ لأنه من هذا الاقتران تنتُج الأسرار: سر الحميم المعمودية، والتناول. على هذا المثال (الرب والكنيسة)، يأخذ المؤمنون لأنفسهم زوجات، ولما كان هذا السر عظيم كقول بولس الرسول، فإن الذي يفهم الزيجة السماوية يتعلَّم من النظر إليها أن الرب صار جسداً واحداً مع الكنيسة بلا افتراق. هذا هو السر الذي رتَّب الآب اجتماعه قبل كل الدهور، وبسبب هذه الوحدة يعطي الرب جسده للعروس الكنيسة، فهي زوجة واحدة لرجلٍ واحد.

لغة الأسرار:

١٢- بسبب هذه الوحدة، صارت الكنيسة واحدة في كل المسكونة، وتفرقها في كل جهات الأرض لا ينزع عنها "سر وحدتها"، وهذا هو الذي يجعل لها مذبحاً واحداً قائماً في كل جهات الأرض، فالمسيح الواحد على مذبحٍ واحدٍ يُعطى لعروس واحدة الكنيسة الجامعة.

لذلك تعلَّم يا صديقي العزيز لغة الأسرار، ولا تخلط لغة الأسرار السماوية بلغة الأرضيات؛ لأن هذا يُعثرك ويُعثر الأخوة، ويسبب الارتباك لكثيرين.

صفرونيوس يرسل السلام في المسيح ربنا إله السلام رأس الكنيسة الواحدة الذي له المجد مع الآب والروح القدس في وحدانية الجوهر.

ملاحظات على الرسالة

– لعل أهم ملاحظة من الناحية الطقسية هي اعتبار الروح القدس هو المذبح الواحد في الكنيسة. هذه العبارة لا تختلف عن العبارة التي وردت في قوانين البابا أثناسيوس الرسولي[1]: "كذلك المذبح إذا كان من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة، فإنه ليس ميِّتاً مثل طبعه الأول، بل هو حيٌّ إلى الأبد، وهو روح الحي قائماً عليه. المذبح المنصوب قدام الرب في السموات هو الروح القدس الناطق الذي يتكلم ويعرف من هو مجتهد في خدمته على الأرض" (قانون ٧ ص ١٢ طبعة Crum)[2].

– المقارنة بين المذبح الواحد والمعمودية الواحدة هو أمر هام جداً يفتح لنا مجالاً للتفكير الصحيح في معنى الإفخارستيا، وهي وحدتها كوحدة المعمودية.

تفسير الإفخارستيا على أساس المبدأ اللاهوتي المعروف وهو Communi-catio أو تبادُل الصفات idiomatum وعلى أساس مبدأ الفعل الواحد للمسيح Theandric.

(١) علماء الغرب يشكون في صحة انتساب قوانين أثناسيوس إلى القديس أثناسيوس الرسولي، ولكن تبقى شهادة المخطوطات كما هي لأن أدوات النقد الأوربي لها نظرة تاريخية ضيقة، ويمكن للقارئ أن يراجع دراسة الأب أثناسيوس المقاري بعنوان قوانين البابا أثناسيوس، حيث يقدم آراء علماء الغرب في صحة القوانين.

(٢) في طقس تقديس المذبح تقول الكنيسة: ''مذبحاً عقلياً للذبيحة الغير الدموية الناطقة؛ لأن هذا هو ''إرادة الابن له المجد'' (عب ١٠: ١٠) الذي به نلنا التقديس''.

توزيع جسد الرب وكأس عهده الجديد،
واتحادنا بالرب

صفرونيوس عبد الرب يسوع.

السلام والمحبة لكم جميعاً، وللأب المدبر الحكيم صفنيا.

١- المحبة الإلهية تجمِّع، والخطية والدينونة تفرِّق. ولأن الرب يسوع المسيح جاء لكي يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يوحنا ١١: ٥٢)، فقد أغلق الربُّ بتجسده (فجوة) الانفصال بين الله والإنسانية:

أولاً: باتحاد أقنومه الإلهي بالناسوت.

ثانياً: بإبادة الموت بالصليب.

ثالثاً: بالنزول إلى الجحيم، حيث شتَّت قوات الظلمة وسدَّ فم الهاوية.

رابعاً: بقيامة الحياة غالبة الموت.

خامساً: بالصعود المجيد الذي به صار رأس الجسد الكنيسة "ليظهر أمام الله الآب شفيعاً وملكاً ومخلصاً يسكب روح الحياة، أي الروح القدس من عند الآب.

٢- هذه هي أعمدة التدبير الخمسة التي لها مثالٌ في جروح الرب الخمسة التي قبلها على الصليب، فهو جريحٌ في رأسه بإكليل التواضع، أي شوك إخلاء الذات، خاتمة (غاية أو نهاية) التجسد. وجريحٌ في يديه اللتين مدهما للمصالحة على الصليب، وبيديه الجريحة "كسَّر متاريس الهاوية"، وترك جروح الصليب علامةً على غلبة المحبة لافتراق العداوة وخوف العقاب والموت.

من جنبه سال دمٌ وماء (يوحنا ١٩: ٣٣) شهادةً على الخلاص وتطهير المعمودية والحياة الأبدية في السر المجيد. ولما سُمِّرت قدميه بالمسامير ثبَّت القيامة[١] غلبة الفساد وانتصار الحياة التي دخلت السماء.

٣- التجسد قربانٌ، والصليب ذبحٌ، والقيامة حياةٌ، والصعود ختمٌ سماويٌّ لكل أعمال الخلاص. فقد أعدَّ الربُّ جسده كقربانٍ عندما تجسد حسب شهادة الرسول: "بذبيحةٍ وقربانٍ لم تُسر لكن هيأت لي جسداً" (عب ١٠: ٥). وقدَّم

(١) الفعل اليوناني / القبطي "قام" هو ذاته خاص بالوقوف والقيام.

جسده على الصليب بإرادته وحده، وحسب مسرة الآب والروح القدس الذي أقامه من الأموات معلناً قيامتنا نحن فيه. وعندما صعد إلى السموات حقَّق كلَّ جوانب التدبير، فقد "أسر" الربُّ كلَّ المواهب والعطايا، وحصرها في كيانه أي أقنومه الإلهي المتجسد، فقد "سبى سبياً وأعطى عطايا" (أفسس ٣: ٨)، فأكمل بذلك المسحة التي نزلت من رأسه على جسده كله، أي الكنيسة (راجع مزمور ١٣٣: ٢).

٤- هذا هو أساس توزيع جسد الرب على المؤمنين. لقد جعل التجسدُ الربَّ "البكر بين إخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، وصار بذلك رأس الخليقة الجديدة، وآدم الأخير الذي به وفيه تمت القيامة من الأموات. وعندما نوزِّع جسد الرب، فإننا نستند على الأساس الإلهي، أي الحياة الإلهية التي أقامت الناسوت من القبر وجعلته لا يموت، بل فوق الفساد، وأيضاً أخضع الموت تحت قدميه، أي قدمي ذاك الذي تجسد لكي يبيد كل أشكال وأنواع الانقسام.

٥- عندما نوزِّع جسد الرب ودمه على المؤمنين، فإننا نحن المنقسمون والمتباعدون "نصير جسداً واحداً"، أي جسد يسوع المسيح رب المجد، فقد وُلِدَ من البتول والدة الإله بالروح القدس لكي يجعل أبناء ابراهيم حسب الوعد الإلهي ليس بالولادة الجسدانية، بل بالولادة الروحية من فوق؛ لأن الميراث لم يعد ميراثاً أرضياً حسب الولادة والبركة التي صارت للآباء البطاركة، بل حسب الميلاد السماوي وبركة الابن المتجسد. فقد أغلق تجسد ابن الله باب الولادة الجسدانية بتجسده؛ لأنه وُلِد من أمٍّ وبلا زرع بشر، ونحن لذلك السبب لدينا الثقة والإيمان (أو الثقة التي من الإيمان) بأننا لا نتَّحدُ بجسدٍ مولودٍ حسب الطبيعة فقط، بل بجسدٍ مولودٍ بما هو من طبعنا، ولكنه يعلو على طبعنا، ليس فقط لأنه بلا خطية وقدوسٌ، بل لأنه فتح لنا باب الولادة الروحانية من فوق، من الماء والروح. والماء هو من طبعنا، أما الروح، فهو روح الآب الذي هو واحدٌ في الثالوث القدوس.

٦- نحن لا نوزِّع جسد الرب ودمه إلا على الذين نالوا المعمودية ومُسِحوا بالميرون الإلهي؛ لأن المعمودية تجعلنا لسنا أبناء الجسد، بل أبناء الله (يوحنا ١: ١٣)، وتغرسنا في الحياة الإلهية التي ليس فيها اتحاد أو تبَنٍ حسب ما هو مخلوق،

بل حسب ما هو إلهي قاهر وغالب الموت وموحِّد كل الفرقاء.

لقد وُلِد من العذراء وهي ثمرة كرمة داود، ومن الروح القدس الذي كوَّن جسده ونفسه الإنسانية، وهو أي الروح القدس الإله المحيي الواهب الحياة. وبذلك وحَّد السماء والأرض. جاءت هذه الوحدة من فوق (يوحنا ١١: ٥٢)، لكي ترفع ما هو أرضي إلى ما هو سمائي، وما هو غريب عن السماء والحياة الإلهية إلى ذات الحياة الإلهية التي صارت بواسطة تجسد الابن الوحيد الينبوع الحقيقي للحياة الحقيقية الأبدية.

٧- ثبَّت الربُّ يسوع بتجسده الخدمة الإلهية، أي الليتورجية؛ لأنه أعطى الثبات لكل صلواتنا التي تُقدَّم به كرأس الجسد (أفسس ٥: ٣٣) الكنيسة، وكوسيطٍ تَقَلَ إلى السماء عينها، ذات الطبيعة التي لنا، أي جسده ونفسه العاقلة. هذه الطبيعة الثابتة في الاتحاد الأقنومي، والتي بالاتحاد تُوجَد وتحيا وتتحرك (أع ١٧: ٢٨)، فصار ينبوع الحياة ثابتاً في يسوع المسيح.

٨- ونحن من الربِّ نستلم جسده ودمه حسب عبارة الرسول بولس (١كو ١١: ٢٣)، وهذا لا يعني الطقس فقط، بل الحياة التي ثُبِّتَت في الرب، أي الحياة الإنسانية التي تألَّهت وصارت واحدة فيه دون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. حقاً نحن نستلم هذه الحياة المتأقنمة بالاتحاد، والتي هي حياة الابن المتجسد والممجَّد، والتي تعطي لنا عطيةً فائقةً سماويةً؛ لأننا عند تقديم الذبيحة وبعد اختيار الحمل، نمسح التقدمة (القربان) بالماء كمثال معمودية الرب يسوع التي أعلنت لنا الثالوث وبنوة الابن الوحيد ومسحة الروح القدس. هذه ليست إعلانات منفصلة؛ لأن بنوة الابن هي في الثالوث القدوس، ومسحة الروح القدس هي مسحة الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس حسب تسليم الآباء الذين سبقونا. ولذلك بعد مسح التقدمة (القربان)، نصلي: "مجداً وإكراماً للثالوث القدوس .." الذي أُعلِن لنا بالابن، ودخلنا شركته السماوية الإلهية بالروح القدس.

٩- أتوسل إلى الله الآب بابنه ربنا يسوع المسيح أن ينير بصائرنا الروحية لكي ندرك أن تقدمة الكنيسة ليست من الكنيسة، ولا هي بواسطة الكنيسة، بل هي

أولاً دعوة الرب يسوع الذي دعانا وقال: "خذوا كلوا هذا هو جسدي .. هذا هو دمي"، وهي بواسطة الرب يسوع المسيح نفسه الذي له وحده السلطان على جسده ودمه؛ لأنه هو الذي قدَّم، وهو الذي ذبح ذاته بالنية لأن الذبح هنا ليس تقدمة حياة للموت لكي يسود الموت عليه، بل هي تقدُمة حياة تجمع الموتى وتدعوهم للحياة. هي تقدُمة حياة دخلت "عرين الموت"، بل بها تم سبي الجحيم، وصارت بها الغلبة، وبذلك تم قول الرب يسوع: "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي" (يوحنا ١٠: ١٨). في القديم قال شمشون: "لتمت نفسي" (قضاة ١٦: ٢٠)، وفي عهد الحياة: "إن شئت أن تعبر عني هذه الكأس" (متى ٢٦: ٣٩) معلناً غلبة الموت، وسيادته على الحياة كربِّ الحياة الذي غَلَبَ موتَ الآخرين بالقيامة، وها هو يغلب موت الجميع بالموت نفسه وبالقيامة من الأموات.

١٠- وكما أن التجسد هو أساس الذبيحة ومصدرها؛ لأن الكائن معنا هو عمانوئيل الإله المتجسد، ابن الآب الأزلي حسب الجوهر، وابن الإنسان حسب الاتحاد الأقنومي وحسب التدبير، كذلك القيامة من الأموات التي كانت "مودَعة" في الابن الأزلي المتجسد وأُعلنت عند سبي الجحيم وإبادة الفساد والموت، هي التي تجعل كل مَن يتناول يحيا إلى الأبد ويقوم من الموت الروحي هنا في هذا الزمان منتظراً قيامة الجسد. ومِن القيامة، أي قيامة الرب أخذنا رسم الحياة الجديدة، أي توزيع جسد الرب يسوع ودمه لأن غلبة الفساد والموت لم تكن فقط أن جسد الرب يسوع لم يرَ فساداً، بل أن يعطي التناول الدائم من طعام الخلود وترياق عدم الموت، عدم الفساد وغلبة الموت؛ لأن الفساد هو اضمحلال ما هو كائن وتحلله، والموت هو انقطاع الحياة، لكن شكراً للرب يسوع الذي يقودنا في موكب نصرته، ذلك الموكب الذي (يُستعَلَن) في الليتورجية؛ لأننا في المسيح يسوع ندخل "مجال" الحياة الجديدة المعلَن فيه وبه، والذي يُوهَب لنا بالروح القدس؛ لأن روح التبني (غلا ٤: ٤) يُعلن لنا بنوتنا عديمة الفساد وعديمة الموت، وأن ما هو فينا هو من يسوع المسيح ربنا، لأننا دُعينا لأن نكون مثله (١يوحنا ٣: ٢)، وأن نلبس عدم الفساد والمجد والقوة حسب التعليم الرسولي (١كو ١٥: ٤٩)، والمعلن لنا في الخدمة الإلهية (الليتورجية)

لأننا فيه، أي في يسوع نقترب من الحياة الحقيقية الغالبة التي جذرها فيه هو وتنمو فينا كنمو أغصان الكرمة (يوحنا ١٥: ٤، ٥).

١١- بسبب عدم فساد ناسوت الرب، وهو ليس من الناسوت وحده، بل هو قوة اللاهوت التي أعادت الناسوت إلى الحياة وأقامته حُراً من الفساد وغالباً للموت، لذلك نحن نوزِّع جسد الرب الذي يوزَّع لكي يجمع ولا يفرِّق؛ لأن افتراق الخطية والموت قد أبيد، ولأن القيامة التي تمَّت بها الغلبة على الموت، وأعلنت لنا قوة الرب، هي التي تجمِّع ولا تفرِّق، لأن الخطية جاءت بالدينونة والحكم وفرَّقَت، أما النعمة وهبة الحياة في المسيح، فقد جاء الربُّ يسوع بالحياة والغفران والتجديد. وتجديد الطبيعة الإنسانية يعني تجديد الفكر وولادة الحياة الإنسانية من فوق ولادة دائمة مثل الولادة الأزلية الدائمة لابن الله؛ لأن النعمة هي على مثال الثالوث، أي على مثال شركة الآب والابن والروح القدس، لأن ما هو كائن وذاتي في جوهر الثالوث هو أساس كل ما لدينا من عطايا ونعمة. نحن نُولد من الآب بالابن على مثال الولادة الأزلية، وندخل إلى ذات الشركة بنعمة التبني (راجع يوحنا الأولى ٣: ١-٥)، ولذلك يقول الرسول بطرس: إننا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بطرس ١: ٣).

١٢- اتحادُنا بالرب يسوع هو اتحادٌ أبديٌّ لا تقوى عليه الخطية، طالما أننا نلازم التوبة. والتوبة تفتح لنا الباب، لكن باب الخراف هو الرب يسوع المسيح نفسه (يوحنا ١٠: ٩).

١٣- يقول الرسول بولس: "ونحن ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف .. نتغير إلى تلك الصورة" (٢كو ٣: ١٨). والتحوُّل من مجد إلى مجد بواسطة الروح القدس هو تحولٌ دائمٌ يكمُل في يوم مجد المسيح، أي يوم قيامتنا نحن على مثال قيامته، وهو ما يؤكده الرسول: "نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد" (٢كو ٣: ١٨).

١٤- لذلك السبب، أقام الرب يسوع هذا "السر العظيم الذي هو ينبوع التقوى الحقيقية"[1] مثل مرآة نرى فيها:

أولاً: توزيعَ الميراث الواحد؛ لأن الرب يسوع هو ميراثٌ واحدٌ للكل.

(١) راجع القداس الباسيلي ''ووضع لنا هذا السر العظيم الذي للتقوى''.

ثانياً: وحدة واتحاد المفديين بالرب يسوع وفيه بالآب وبالروح القدس.

ثالثاً: كمال الشركة التي تؤكدها دعوة الرب لنا: "خذوا كلوا هذا هو جسدي"، ثم: "اصنعوا هذا لذكري". يدعونا الرب يسوع نفسه بواسطة الكاهن الذين يصبح فم ويدين الرب عندما تقام الذبيحة؛ لأن كل كاهن يردد عبارة الرب يسوع نفسه ويشير إليه عندما يقدم السر العظيم للمؤمنين.

هكذا نوزِّع جسد الرب ودمه لكي نتحد بالرب، وهكذا نتناول لكي نكون واحداً مع الذي جاء لكي يجعلنا واحداً كما هو والآب واحد (يوحنا ١٧: ٢٢).

١٥- لقد شرحت ما هو فوق طاقتي راجياً أن يفتح الرب ذهني وذهنكم لكي ننال معرفةً أعمق في يسوع المسيح الذي أحبنا محبةً أبديةً.

سلامٌ ومحبةٌ لكم جميعاً في الثالوث القدوس الإله الواحد الذي أعطانا شركةً أبديةً فيه.

صفرونيوس يطلب صلواتكم.

اتحاد اللاهوت بالناسوت
قاعدة الخلاص الأبدي

رسالة إلى الأب المتوحِّد تيموثاؤس

صفرونيوس عبدُ يسوع المسيح، وخادم بشارة الخلاص.

سلام وتحية ومحبة في الرب إلى الأخ الكريم، والفاضل المحبوب الأب المتوحِّد تيموثاؤس، والإخوة الذين يخدمونه في جبل الله المقدس.

١- سلَّمتُ رسالتكم إلى الشيخ العظيم والأب الكريم المتقدم في كهنة الرب، الفاضل ديونيسيوس، وقد جلسنا معاً للإجابة على أسئلة الأخوة. وما كُتِبَ لكم، راجعه الأب ديونيسيوس والأب اسطفانوس، ونَسَخَ الأخ الشماس أنسطاثيوس أربع نسخ للأخوة في الأديرة الأربعة.

٢- هل ظلَّ ناسوت الرب يسوع كما هو بدون تغيير، رغم اتحاده بأقنوم الابن الكلمة؟

حسب الاعتقاد القديم الذي سلَّمه الآباء، الرب الواحد يسوع المسيح الإله المتجسد هو واحدٌ من اثنين، لاهوت مساوي للآب في الجوهر، وناسوت مساوي لنا حسب التدبير، وبلا خطية. ولكنه صار واحداً من اثنين، هو رأسُ الكنيسة، أي جسده الواحد، مُعطياً إياه ثلاثَ هباتٍ إلهية:

- عدم الفساد.
- الخلود والحياة الأبدية.
- الثبات في الشركة.

فقد نقل الربُّ من أُلوهيته إلى ناسوته، أي إلى الحياة الإنسانية التي أخذها من والدة الإله:

- معرفةً كاملةً بالآب وبالروح القدس.
- القداسة الكاملة لأقنومه الإلهي.
- غلبة الموت وقهر الانفصال.
- الخلود والحياة الأبدية.

وهكذا يقبل كلُّ إنسان الانفصال، أي انفصال الروح عن الجسد، وتحلُّل

وفساد الجسد وعودته إلى التراب. لكن الربَّ يسوع غَلبَ الموتَ على الصليب، وغلبَ انفصال الروح عن الجسد؛ لأن لاهوته ظلَّ متَّحداً بجسده في القبر، وبروحه التي نزلت إلى الجحيم معلنا لنا بهذا الاتحاد، نهايةَ الانفصال.

فقد صار جسدُهُ شريكاً لمجده الإلهي.

وصارت محبتُهُ الإنسانية كإنسان، ممجَّدةً بالمحبة الأزلية الإلهية، ولذلك قيل إنه عندما جُرِّبَ كإنسانٍ، صار يعرف كيف يرثي ويرأف بالخطاة والمجرَّبين. صار يجمع الكلَّ في وحدةٍ لا تقبل الانقسام؛ لأن الانقسام هو من علامات الموت، أي موت الخطية.

٣- لماذا علينا أن نؤمن باستقامةٍ، بأن جسد الرب تمجَّدَ بمجدِ اللاهوت، أي لاهوت الابن الكلمة؟

يقدِّم لنا الربُّ جسده ودمه في سرِّ الشكر الإلهي من أجل حياة أبدية فيه، وهي شركته مع الآب (١ يو ١: ١ - ٣)، معلَنَةً لنا ولأجلنا؛ لأننا في الخليقة الجديدة لا نأخذ حياتنا من مصدرٍ مخلوق ينتمي للخليقة الأولى التي جاءت من العدم، بل من الخليقة الجديدة التي مصدرها الابن الوحيد القائل بصوته الإلهي الحق: "أنا هو القيامة والحياة" (يو.١١: ٢٥)؛ لأن مَن هو "القيامة"، هو الحياة، ومَن هو الحياة هو "غالب الموت ΝΙ - ΚΑ". ولذلك، لم يأتِ الربُّ لكي يحفظ الخليقة الأولى كما هي، بل لكي يجدِّدها ويردها إلى حياة عدم الموت. هذه الحياة الغالبة لا تأخذ قوتها من ناسوت الرب، بل من لاهوته الذي عندما مجَّد الناسوت، صار جسده ليس فقط "حيًّا"، بل "محييًّا" يعطي حياةً أبديةً لمن يتناوله، وقيامةً من الموت وغلبةَ الفساد. ولذلك، نحن نؤمن باستقامةٍ أن الابن الكلمة نقل قوته الغالبة الموت -التي أُعلِنَت بصوته الذي أعاد لعازر إلى الحياة، وبالطين الذي فتح عيني المولود أعمى، وبلمس هدب ثوبه الذي شفى نازفة الدم- إلى جسده.

كل هذه هي قوة اللاهوت؛ لأن ناسوت الرب بدون أُلوهيته لا يقدر أن يعمل شيئاً، ولذلك قال الرب عن الحياة الإنسانية: "الجسد لا يفيد شيئاً، ولكن الروح هو الذي يعطي الحياة" (راجع يوحنا ٦: ٦٣.).

فنحن –كما قال معلمنا كيرلس مُعلِّم الأرثوذكسية– لا نأكل جسداً بشرياً مثل أجساد البشر، بل ننال الرب المحيي، أي شركة الرب، أي حياته الغالبة الموت. ونظراً لأهمية الإيمان بالرب الواحد، نرفق مع هذه الرسالة، الفصول الاثنا عشر عن الاتحاد الأقنومي، أي اتحاد اللاهوت بالناسوت في ربنا يسوع المسيح له المجد، التي وضعها الأب الكبير ديونيسيوس من كتابات الآباء، والتي قُرأت في المجمع في عيد نياحة أبينا العظيم القديس كيرلس:

الفصل الأول: الرب يسوع هو الإله لدى البشر والإنسان لدى الله، دون انفصال اللاهوت عن الناسوت؛ لأنه إلهنا ومخلصنا المتجسِّد الذي يمثلنا كإنسان، أي "آدم الأخير" عند الله، ويمثل الله عندنا؛ لأنه يعلن لنا الآب والروح القدس في كيانه أو أقنومه الإلهي المتجسد. وبالاتحاد الأقنومي، يصبح المسيحَ الربَّ بالنسبة لنا، والإنسانَ بالنسبة لله الآب والروح القدس. ولأنه مُتَّحد في الجوهر الواحد للثالوث، يقدمنا فيه كإنسان، ويقدم الله لنا كإله؛ لأن فيه اجتمع الله مع البشر.

الفصل الثاني: بسبب الاتحاد الأقنومي تُصبح كل صلاة هي في يسوع رأس الكنيسة، وتصبح كل عبارة تقال منا هي طلب ما أعلنه لنا يسوع في ذاته لأنه الإله المتجسد الذي أعطى لكل طلبةٍ معناها وغايتها، فصارت حياتُه هي طِلبتنا، وموتُه هو قوة الصلاة، وقيامته هي ضمان الاستجابة.

الفصل الثالث: وبسبب الاتحاد الأقنومي صار اسمُ يسوع دلالةً على شخص يسوع نفسه، وصار الاسمُ هو اسم الخلاص الذي به نخلص؛ لأن جميع الأسماء تفنى بموت أصحابها إلا اسم يسوع، فهو باقٍ إلى الأبد؛ لأنه اسمُ من قهر الموت واسمُ من قال: أنا الحياة.

(فجوة في النص)

والإرادة وبسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت يصبح سجودنا مستمداً من قوة ذبح المخلِّص الذي لأجلنا قدَّم ذاته.

الفصل الخامس: يقول الرسول في العبرانيين: "إن الرب لا يستحي أن يدعونا إخوته"، وذلك بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهذا الاتحاد وحده هو

الذي جعله "بكراً بين إخوةٍ كثيرين".

الفصل السادس: إن بناء الكنائس وتكريس المذابح والأيقونات وجرن المعمودية وكل سائر الأدوات التي تُستخدم في الكنيسة، تستمد مجدها وبهاءها من اتحاد السمائي أي اللاهوت بالأرضي أي الناسوت؛ لأن هذا الاتحاد هو الذي أعطى مجداً خاصاً لما هو منظور؛ لأن جسد ربنا يسوع أضاء بنورٍ أكثر لمعاناً من نور الشمس على جبل التجلي[1].

الفصل السابع: إن الأسرار المقدسة: المعمودية والميرون والإفخارستيا، وباقي الأسرار هي استعلانات إلهية تُعطى في صورٍ مادية منظورة بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت؛ لأن تقديس مياه المعمودية وتقديس زيت الميرون وكل تقديس آخر مهما كان، يستند على اتحاد السمائي، أي اللاهوت بما هو أرضي، أي الناسوت؛ لأن المادة دُعِيَت في الخليقة الجديدة لأن تُعتق من الفساد حسب كلمات الرسول بولس في رومية (رو ٨: ٢١).

الفصل الثامن: إن توزيع جسد الرب ودمه على المتناولين يأخذ قوته وفاعليته من اتحاد اللاهوت بالناسوت، أي الاتحاد الأقنومي **لأن كل جوهرة من الجسد الطاهر المقدس تُقطع ولا تُفصل، رغم أنها ظاهرياً تُفصَل؛ لأن في التوزيع يأخذ كل متناول ميراثه، أي المسيح نفسه الغير المنقسم والذي لا يمكن تقسيمه،** ولذلك السبب نقول لكل متناول: "جسد عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين"؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت قضى على كل أشكال التقسيم والانفصال، لاسيما بعد أن أباد الربُّ الموتَ على الصليب، وأعلن قيامة الحياة بقيامته من الأموات.

الفصل التاسع: عندما يأخذ كل متناول جسد ودم ربنا يسوع المسيح، فهو لا يأخذ الناسوت بدون اللاهوت، أو اللاهوت بدون الناسوت لأن القاسم المشترك الوحيد بيننا وبين الابن هو الناسوت، أما اللاهوت فهو غريبٌ تماماً، ومن طبيعة تعلو على كل الطبائع المخلوقة، **ولكن بسبب الاتحاد الأقنومي صار اللاهوت هو قوة الحياة التي تعمل في الناسوت، فصار جسد ربنا يسوع هو "الجسد المحيي"**

(١) ولذلك يتم رشم ملابس الخدمة بعلامة الصليب.

بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت، ولذلك يتحد كل مؤمن بالمسيح؛ لأن اتحاد الرأس، أي المسيح بأعضاء جسده هو ثمرة اتحاد اللاهوت بالناسوت في الرب الواحد يسوع المسيح، وهو اتحادٌ يعلو على كل أشكال ونماذج أي اتحاد نعرفه من الطبيعة أو في الطبيعة؛ لأنه لا يوجد سوى ربٌّ واحدٌ فقط تجسَّد لأجل خلاصنا.

الفصل العاشر: لم يتلاشى الناسوت في اللاهوت حسب ادعاء أوطاخي، **ولكنه ظلَّ الطبيعة الإنسانية التي أُخذت من العذراء، ولكنها تحيا الآن في مجد اللاهوت**، أي تحيا إلهياً دون طعام أو شراب أو هواء بدون موت وبدون شيخوخة **لأن الناسوت مُمجَّد بذات الحياة الإلهية، فصار أيقونة الحياة الآتية التي نسعى إليها حسب نعمة الله**. وعندما نقول –مع الآباء أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير– إن ناسوت الرب تألّه، فإننا نؤكد أن التأليه يعلن لنا:

١– إن الناسوت من طبيعة غير طبيعة اللاهوت، ولذلك تألَّه.

٢– **إن الناسوت صار يعلِن لنا حياة الدهر الآتي التي لا تنتمي إلى الخليقة الأولى التي أُخضعت للبُطل** (رو ٨: ٢٠)، فصار رأس الخليقة الجديدة "البكر" هو أول باكورة الحياة الجديدة التي هزمت الموت. وهزيمة الموت والفساد لا يمكن أن نعبِّر عنها تعبيراً آخر غير "تأله الناسوت"؛ لأن "التأله" هو الكلمة الوحيدة التي تؤكد لنا أننا ورثة الله في يسوع المسيح (رو ٨: ١٧)، وأننا وارثون لنعمة الحياة الأبدية حسب دعوة ربنا يسوع المسيح.

الفصل الحادي عشر: وُلِد الرب يسوع عندما تكوَّن جسده في أحشاء القديسة مريم بالروح القدس، ثم مُسِحَ بعد ذلك في الأردن بالروح القدس، فصار الناسوت الذي ولد ومُسِح، هو بداية الخليقة الجديدة. ولكن الناسوت وحده لا يقدر أن يعمل أعمال الابن، لأن أعمال الابن هي أعمال الابن المتجسد. **وبواسطة الجسد وبسبب الاتحاد صار كل ما حدث للناسوت هو بداية خلاصنا نحن لأن الاتحاد بين الناسوت واللاهوت، أي الاتحاد الأقنومي هو الذي غرس الناسوت في الحياة الإلهية، فصارت بدايتنا هي بداية بالروح** حسب كلمات الإنجيل: "الذين ولدوا ليس من دم أو لحم ولا بمشيئة رجل ... بل من الله"؛ لأن الجذر الذي غُرِسَ

في الحياة الإلهية هو ناسوت الرب، وهو "الباب" الذي فتح لنا طريق الحياة.

الفصل الثاني عشر: لقد قَبِل الرب يسوع الروح القدس مسحةً من الله الآب، مسحة الملء "مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك"؛ لأننا أخذنا من ملئه (يو ١: ١٦)، **وبقبول الروح القدس، تحول الناسوت إلى طبيعة غير قابلة للموت بعد أن جاز الصلب والموت والدفن، وأصبح طبيعةً حيَّةً إلى الأبد بسبب القيامة.**

لقد تم كل هذا بواسطة الاتحاد الأقنومي؛ لأن الابن سلَّم جسده للآب كقربان بعد أن سلَّمه الآب هذا الجسد بالروح القدس لكي يصبح هو التقدُمة والفدية التي تفك الفساد وتقهر الموت وتحرر الإنسانية **فيه**، أي في أقنومه لكي ينقل الروح القدس هذا من الرب إلينا حسب قوله الإلهي: "يأخذ مما لي ويعطيكم [حسب النص القبطي]" (يو ١٦: ١٤ – ١٥). حدث هذا في المسيح لكي نناله نحن، ولكي يقدِّمنا نحن الربُّ يسوع كقربان وباكورة لله الآب؛ لأننا على مثاله نقوم[1]، وعلى مثاله نرث الحياة العديمة الموت.

يبدو أن الرسالة غير كاملة لأن ليس لها خاتمة.

(١) راجع قسمة سبت الفرح.

اتحادنُا بالمسيح؛ لأن المسيحَ يسوع واحدٌ من اثنينِ

رسالة إلى الأب زكريا

صفرونيوس خادمُ الربِّ يسوعَ المسيح، سلامٌ ونعمةٌ ومحبةٌ لأبوتكم أيها الأب الحكيم زكريا المتقدِّم في التدبير، وكاهن أسرار العهد الجديد.

الاعتراف الأرثوذكسي بالإيمان:

١- نحن نعترف بربٍّ واحدٍ وابنٍ واحدٍ، وحيد الجنس ومخلِّص الكل يسوع المسيح، واحداً من اثنين: لاهوتٌ مساوٍ للآب، وناسوتٌ مساوٍ لنا حسب التدبير.

بهذا الاعتراف الحَسِن نؤهَّل لشركة الحياة الأبدية التي أفاضها ربُّ المجد يسوع المسيح من عند الآب، ووَهَبَها لنا بالروح القدس المعزِّي الذي يسكن فينا؛ لأننا بالروح القدس، نؤهَّل لمعرفة ربنا يسوع المسيح، وبهذه المعرفة؛ نطرد كلَّ فكرٍ غريبٍ يُبعدنا عن الحياة الجديدة.

سؤالُ الأخوةِ عن تجسُّد الابن:

٢- بخصوص سؤال الأخوة عن تجسُّدِ الابن له المجد، وعن اعتقادنا الأرثوذكسي، أقول إننا نؤمن بأن الأقنوم الثاني، أي الابن، وهو ليس ثانياً في العدد؛ لأنه لا توجد أعدادٌ في الله، ولا هو ثانٍ لأنه بعد الآب في الرتبة، ولا هو الثاني لأنه أقل من الآب، وإنما نقول الأقنوم الثاني حسب تصنيف العقل البشري، ومن أجل الاحتفاظ بتمايز الأقانيم، لا من أجل حسابٍ بالأرقام لجوهر الثالوث؛ لأن حتى كلمة "ثالوث" هي كلمة صحيحة توجِّه الحكمةَ والوعي الإنساني، ولكنها ليست حساباً عددياً؛ لأن الله ليس آباً يضاف إليه الابن، ويضاف إليهما الروح القدس، فيصير ثلاثةً، بل هو الآبُ والابنُ والروحُ القدس، الثالوث الواحد بالجوهر. ووحدانية الجوهر تمنعنا نحن من الحذف والإضافة واستخدام الأعداد؛ لأن الأعداد لا تليق بوصف الخالق، بل هي إبداع العقل لترتيب الحياة الإنسانية لسهولة التعامُل بين البشر.

٣- أقول إننا نؤمن بأن الابن الأقنوم الثاني جاء إلينا. ونعني بأنه جاء، أي أنه تجسَّد، وأن تجسُّدَه هو عملٌ أبديٌّ لا ينتهي، بل هو دائمٌ في كل زمان ومكان؛ لأنه متجسِّدٌ دائماً بعد ولادته من القديسة والدة الإله العذراء مريم.

وعندما يقول رسول رب المجد: "فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢: ٩)، فهو يقصدُ بكلِّ يقينٍ أنه حلولٌ دائمٌ أبديٌّ في الجسد الذي أخذه من والدة الإله. وعندما نقول إنه "لَبِسَ الناسوت"، فإننا نؤكِّدُ أنه لم يكن متجسِّداً، وأنه أخذ ما هو ليس من طبيعته، أي الناسوت الغريب دائماً عن طبيعة الله، والذي دُعِيَ إلى اتحادٍ مجيدٍ في يسوع المسيح، لا مثيلَ له، يفوقُ كلَّ ما يمكن أن يُقال عن الله وعن المحبة.

٤- قبلْ تجسُّد ربِّ المجدِ كانت المحبةُ أعمالاً إلهيةً تُعطى بسخاءٍ وبصلاحٍ إلهيٍّ لكلِّ الخليقةِ حسب قول سيدنا وربنا يسوع المسيح إن الآبَ "يُشرِق شمسه على الأبرار والأشرار" (متى ٥: ٤٥). ولكن في تجسُّد الكلمة ابن الله الحي، صارت المحبة بتجسُّدِهِ ليست مُعلَنةً فقط في ناسوت الرب يسوع، بل صارت إلهيةً متأنِّسةً، وأخذت الصفات الإنسانية واتَّحدت بها، وأبادت ما هو ضعيفٌ ودخيل لا يصلح للحياة الأبدية؛ ولذلك تمجَّدَ الناسوتُ فصار ناسوت "آدم الأخير" (١كو ١٥: ٤٥)، الذي وُلِدَ من العذراء بالروح القدس، لكي ينقل الأصل الإنساني من آدم الأول إلى أصلٍ جديدٍ سمائي، هو ربنا يسوع المسيح[١].

٥- المحبةُ المتجسِّدةُ هي المحبةُ الإلهيةُ التي تعين الضعفاء؛ لأنها ذاقت الضعفَ البشري، وحقاً قال رسول الرب: "لأنه قد جُرِّب مثلنا في كل شيء، يعرف كيف يعين المجَرَّبين" (عب ٢: ١٨حسب اقتباس المؤلف).

٦- هذه المحبة الإلهية الأزلية التي تجسَّدت في أُقنوم الابن الكلمة، هي ذات محبة الله الآب، وهي ذات محبة الله الروح القدس؛ لأن المحبةَ لا تعرفُ الانقسامَ، ولا يدخل عليها الانفصال، ولا تقدر كلُّ ضعفات الخليقة أن تنال منها، بل العكس هو الحق الصريح؛ لأن المحبةَ هي محبةُ الخالق الذي دَبَّرَ تكوينَ ورَسَمَ حدود الطبائع، أي بدايتها وحياتها ومسار وجودها، ولذلك، لا تقوى الخليقةُ أن تفرضَ على الخالقِ شيئاً. هذه تصوُّراتُ قلوبٍ لم تدرك بعد أنها خُلقت بواسطة الكلمة ابن الله، وأن حدود الطبع رَسَمَها الخالقُ، فهي لا تحدِّدُ عملَ الخالقِ، بل الخالقُ هو الذي يحدِّدُ

(١) راجع القديس أثناسيوس الرسولي، الرسالة إلى أدلفوس ٩ و١٠ والرد على الأريوسيين ٣: ٣٣.

عملها ويرسمُ وجودها ونهايتها.

٧- عندما خلقَ اللهُ الإنسانَ على صورته ومثاله (تك ١: ٢٦)، فقد غَرَسَ فيه بذرةَ المحبة لكي يحب الحياةَ، ويسكن فيه الكلمة من خلال المحبة. وكلُّ عملٍ تزرعه المحبةُ هو من الله؛ لأن الإنجيلي الطاهر قال: "مَن يحب يعرف الله وقد وُلِدَ من الله" (١يوحنا ٤: ٧)، ومَن يحب الله، يحب الخيرَ والجَمَالَ والحقَ؛ لأن هذه هي الملامح χαρακτηρ الأولى لصورة الله في الإنسان.

٨- وعندما اتَّحد لاهوتُ الله الكلمة بالناسوت، فقد أَخَذَ كلَّ ما لنا، ليس فقط الجسد والنفس، ولكن كلَّ المكوناتِ (الإنسانيةِ) للإنسان، وبدأ يجدِّدُها من الداخل -مثل مهندسٍ حكيمٍ له صبرٌ في العمل الشاق، يبني بيتاً قد تهدَّم- بالحياةِ فيه، وبتحويل كلِّ ما هو قابل للهدم والزوال إلى جمالٍ، وتغيير الفاني إلى خالدٍ، فقد أخذ ربنا الإنسانَ الذي وَرَثَ الدَّاءَ الخفي (الخوف من الموت)، وأعاد تشكيل الإنسانيةِ التي أخذها من القديسة مريم؛ لكي بالاتحاد به، تتعلَّم وتنمو صاعدةً نحو البذلِ؛ لأن ملكَ المجدِ يسوع المسيح، من جهة ناسوته، هو الإنسانُ الوحيد الذي لم يحيا لأجل ذاته، ولا فَضَّلَ حياته وأمسكَ بها، ورفضَ أن يقدِّمها، بل حُرًّاً قَدَّمَ ذاته: "من أجل السرور الذي رآه في تقديم ذاته، احتملَ الخزيَ، ولذلك جلس في يمين عرش الله" (راجع عب ١١: ٢).

لقد نَمَتْ المحبةُ من محبة الذات، في ربنا يسوع، إلى محبة البذل، دون أن تنفصلَ أو تنقسمَ؛ لأن المحبةَ تُوحِّدُ، ولأن المحبةَ هي اختيارٌ حُرٌّ يُفضَّلُ على أي اختيارٍ آخر.

٩- وعندما جَلَسَ الربُّ في العلية مع تلاميذه، وكان يرى ما سوف يزرعه في حياة البشر من عطاءٍ، سَكَبَ حياته في السِّرِّ المجيدِ، ولأنه الكلمة (اللوغوس) خالقُ كلَّ الأشياء، فقد رَسَمَ أن يعطي رَسْمَ المحبةِ في السِّرِّ المجيدِ بالخبز والخمر؛ لكي ينقل محبته كخالقِ كلِّ الأشياءِ بواسطة ما خلقه، أي الناسوت، إلى الخبزِ والخمرِ؛ لكي ينقلَ أيضاً الإدراك (الوعي)، إذ يرى التلاميذُ وكلُّ الكنيسةِ أن الكلمةَ الخالقَ المتجسِّدَ، إنما يقدِّم حياته تقديماً حُرًّاً يضُمُ فيه الإنسانَ وعناصرَ الكونِ؛ لكي يتجلَّى ربُّ المجدِ واهبُ الحياةِ في الوليمة السمائية التي ينقل بها عناصرَ الكونِ إلى

كيانه الإلهي المتجسِّدِ الذي أخَذَ من الكونِ الذي خلقه الخبزَ والماءَ والخمرَ وسائرَ الأطعمةِ، عندما كان يعيشُ بيننا، أي في "أيام جسده" (عب ٥: ٧). فرغم كَونه الكلمةُ الخالقُ، إلَّا أنه عاش منذ ولادته على طعامِ البَشَرِ وعلى شَرابِ كلِّ إنسانٍ، بل لَبِسَ ملابسَ سَتَرَ بها جسده؛ لكي لا يظهر عارياً؛ لأنه بكلِّ حَقٍّ، كان قد تأنَّسَ و"شابهنا في كلِّ شيءٍ ما عدا الخطية وحدها"، له المجدُ على تواضُعِهِ ومحبتهِ للبشر.

فقد عاش حياتنا الإنسانية بكلِّ ما فيها من صومٍ وصلاةٍ وعَطَشٍ وجوعٍ ووجعٍ وألمٍ، ثم جاز "وادي ظلال الموت"، فقام ظافراً، أي مات وقام، وفي كل مراحل حياته الإنسانية كان يحوِّل الناسوت إلى ذبيحةٍ تغلبُ الموتَ، ثم إلى حياةِ عدم الموت عندما ينقل لاهوتُهُ إلى ناسوتِهِ الخلودَ الخاصَّ بلاهوتِهِ، ليس لأن هذا كان بعيداً أو غير كائنٍ، بل لأن الناسوتَ لم يكن مستعداً له، إذ لم يكن قد عَبرَ الموتَ، ولا ذاقه بالجسد[1]. فقد كان من الضروري لأجل خلاصنا أن يأتي إليه الموتُ لكي يَقهَرَهُ الابنُ في جسده، ولكي يعيد تجديد الجسد فيه؛ لأن الإنسانَ الجديدَ المخلوقَ، مخلوقٌ في يسوع المسيح (راجع أفسس ٢: ١٥).

والخلقُ الجديدُ، كان تجديداً للقديم، فقد رَدَّ القديمِ إلى بهاءِ مجدِ الصورةِ الأولى، أي صورة الله ومثاله، ودَعَّمَ هذه الصورة بالاتحاد؛ لكي لا تنشأ منفردةً كما نشأ آدم كصورةٍ ومثالٍ لله، بل كما جدَّد آدمُ الأخير الصورةَ التي جدَّدها في كيانه، فصار التجديدُ اتحاداً بأقنوم الله الكلمة، تجديداً داخلياً يُنقلُ إلينا سرائرياً.

١٠- قبلَ تجسُّدِ الكلمة، كانت الصورةُ الإلهيةُ عطيةً وُهِبَتْ لحياةِ الفردوس، وبوصيةِ حياةٍ تسبقُ المعرفةَ؛ لأن المحبةَ هي جوهرُ الشركةِ، وهي (أي الشركة) ينبوعُ المعرفةِ الصحيحةِ؛ لأن المعرفةَ الكاذبةَ تسبقُ المحبةَ، وتحدِّدُها وتجعلها أسيرةً لحدودِ المعرفةِ الذاتيةِ التي تُولَد بدون الشركة.

وكانت حدودُ الطبيعة الإنسانية هي: الصورة الإلهية - الفردوس - وصية الحياة. وكانت شركةُ آدم في الله الكلمة، هي شركةً داخليةً، إذ لم يكن الإنسانُ

(١) راجع صلاة الساعة التاسعة: "يا مَن ذاق الموت بالجسد ..".

قد انقسم بعد، إذ كانت الصورة الإلهية تجِدُ كمالها وغايتها في الكلمة ابن الله. **لكن هذا تغيَّرَ بعد سقوط الإنسانية في آدم، وسيادة الموت على الحياة، إذ أصبحَ الإنسانُ موتاً يعمل في الكيان، أو –إذا شئنا الدقة– موتاً في حياة. لذلك، تجسَّد الكلمةُ؛ لكي يصبحَ حياةً في الموت، ويعطي لنا ما فقدناه في آدم، وهو ما يجعل الكنيسةُ تسبِّحُ وتمجِّدُ الربَّ يسوع: "أخذَ الذي لنا، وأعطانا الذي له"**؛ لأن تسبيحَ الثالوثِ هو شكرٌ، فيه تمجيدٌ للنعمة التي أخذناها في الرب يسوع، نعمةٌ دائمةٌ قال عنها الرسول إنها: "بلا ندامة" (رو ١١: ٢٩)، إذ لا عودةَ إلى ذات الشركة التي كانت للإنسانية عندما خلقنا في البدءِ، بل إلى ما هو أعظم.

١١– ولما وَحَّد الربُّ يسوع الناسوتَ في أُلوهيته، لم يجعله واحداً بالقهرِ أو بالاستيلاءِ أو بالإخضاعِ القسريّ، بل جعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاطٍ ولا امتزاجٍ ولا تغييرٍ، فهو اتحادُ طبيعتينِ، جاء من المحبةِ الإلهية التي جعلت الحلولَ المتبادَلَ Perchoresis هو حركةَ محبةٍ إلهيةٍ للإنسانية؛ **لأن الحلولَ المتبادَلَ**[1] **يجعلُ اللاهوتَ يشترك في كل صفات الناسوت، ويفتحُ بذلك مجالَ تجديدِ الناسوتِ؛ لكي يتجدَّدَ ويصبح الناسوتُ ممجَّداً بصفاتِ اللاهوت التي يحتاجها لكي يبقى إنساناً كاملاً حيَّاً خالداً متألِّهاً بالاتحاد**؛ لأن الاتحادَ طَرَدَ الموتَ وأباده من الناسوت، لأن الموتَ هو سببُ الخطيةِ.

ومع أن الموتَ جاء مع الخطيةِ، كما قال رسولُ ربِّ المجدِ: "بالخطية دخل الموت إلى العالم وبالخطية الموت" (رو ٥: ١٢)، **إلَّا أننا لم ننتبه إلى أن الرسولَ لم يكن يذكرُ موضوعين، بل موضوعاً واحداً، وهو ليس السببَ والنتيجة، بل الجِذرَ**

(١) الحلول المتبادل περιχώρσις. وتعبير الحلول المتبادل أدق من "الاستيعاب المتبادل"؛ لأن الحلول هو حركة محبة؛ لأن περι تعني حول around ومع أن χωρηις تعني أيضاً يحتوي، إلا أن الإضافة περι حسب الترجمة اللاتينية القديمة Ciruminsession وهي في الإنجليزية Interpenetration واستُخدمت الكلمة أولاً في تأكيد الحلول المتبادَل بين اللاهوت والناسوت في الرب يسوع، ثم بعد ذلك في شرح حركة وحياة الثالوث نفسه، لا سيما عند يوحنا الدمشقي، وتوسَّع في شرحها البابا بندكت السادس عشر في مقالته المشهورة Deus Caritas Est (الله محبة). وتعبير "الاستيعاب المتبادل" ينفي الحركة، ويحول حركة المحبة المتبادلة بين اللاهوت والناسوت في المسيح يسوع إلى سكون، والمحبة ليست Static لأنها حركة شركة. التجسد جاء بزرع المحبة في الناسوت بإخلاء الذات كطريق للمحبة وبطاعة المحبة وبعدم انقسام المحبة بين الذات – الكون – الآب. ومع أن الأب صفرونيوس لم يقدم لنا شرحاً كافياً إلا أنه قدَّم لنا المحبة الإلهية المتجسدة التي أضافت الجانب الإنساني في المسيح إلى أُلوهيته، وهو موضوع يحتاج إلى مزيدِ بحثٍ.

والثمرة؛ لأن كلاهما ينميان معاً، فلا موتَ بدون خطيةٍ، ولا خطيةَ بلا موتٍ، تماماً مثلما أنه لا ثمرةَ بلا جِذرٍ، ولا جِذرَ بلا ثمرةٍ. وبعد السقوط، صار جذرُ الخطيةِ هو ذاته جذرَ الموتِ، حسب قول الرسول: "وأما شوكة الموت فهي الخطية" (١كو ١٥: ٥٧). وقد تجرَّدَ ربُّنا يسوع من هذا الداء الخفي؛ لأنه جعل محبتَه لذاته وللآب، محبةً واحدةً بلا انقسام، وبلا تعدُّدِ غاياتٍ؛ لأن تعدُّدَ الغايات (الأهداف) هو الذي يُقسِّم محبةَ الإنسانِ الساقط في التعدُّدِ، إذ يفضِّلُ ذاته على الله وعلى الآخرين، ولا يحسبَ أنه مساوٍ لباقي البشر بسببِ قهرِ الكبرياء للإدراك، وسيطرةِ الكبرياء على القلب. لقد أَحبَّ يسوعُ الناسوتَ، أي الإنسانية، ولذلك حرَّرها في كيانه الإلهي. وعندما قال: "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥)، فهو تعبيرٌ عن الاتحاد الأقنومي؛ لأن القيامةَ أُضِيفَت إلى أعمال اللاهوت بسبب التجسُّد. فهو القيامةُ؛ لأنه قام، ولأن قوة القيامة هي عملٌ من أعمال اللاهوت، استُعلِنَت لنا جسدياً.

الناسوتُ غيرُ قابلٍ للتقسيم، ولا يخضعُ للفساد؛ لأنه ناسوتُ القيامةِ:

١٢- الموتُ داءٌ خفيٌّ كامنٌ في النفس وفي الجسد. يعملُ في النفسِ، وينتقل عملُ الموتِ من النفس إلى الجسد، كما ينتقل من الجسد إلى النفس أيضاً؛ لأن أوجاعَ الجسدِ تختلطُ بالحياة العقلية، وتعطي لها صفات الضعف والتردُّدِ وطياشة الفكر، وانعدام الرؤيا الصافية. أمَّا أوجاعُ النفسِ، فهي الخوف والكبرياء والبغضة والكراهية والغضب والحقد والطمع، وكلُّ هذه الأوجاع لها مظاهرُ جسدانيةٌ مثل ارتعاش الجسد في الخوف والغضب، ونظرات العينين في الاستعلاء والكراهية، والصوت الذي يصرخ في حدةٍ، كأنه بالصراخ يكسب ما يحارِبُ من أجله.

وعندما جاء الكلمةُ إلى الحياة الإنسانية، وَجَدَها فارغةً متهدِّمةً، بلا حياةٍ دائمةٍ، بل أسيرةً للموت، ومع ذلك، فقد أخذ الحياةَ القابلةَ للموت لكي يطرد الموت منها، وتقَبَّلَها بالحَبَلِ (البتولي) من العذراء مريم من آدم الأول إلى أُقنومه الإلهي، فدخلت الحياةُ الإنسانيةُ منذ اللحظةِ الأولى، مجالَ الحياةِ الإلهيةِ. وعندما وُلِدَ كإنسانٍ كاملٍ (له نفسٌ إنسانيةٌ وجسدٌ)، فقد أخذ يصوغ النفسَ والجسد معاً أولاً في وحدةٍ بلا انقسام؛ لأنه قَابَلَ الموتَ في جسده باتحاد النفس بالجسد لكي

يُبيد الانفصالَ بين النفس والجسد الذي جاء به الموت. وعندما قَبِلَ الموتَ سمحَ للموت بأن يفصل ناسوته إلى نفسٍ تنزلُ إلى الجحيم، وجسدٍ يُوضَعُ في القبر، ولأن الموتَ تمَّ بإرادة الرب يسوع وتَفَدَ في كيانه، فقَدَ الموتُ سلطانه، إذ لم يعد له سلطانٌ على أحد؛ لأن سلطانَ الموتِ كان ملتصقاً بالدينونة، وبحكم الموت "موتاً تموت" (تكوين ٢: ١٧)، فقد كَسَرَ الربُّ سلطانَ الموتِ، إذ أباد الدينونة؛ ولذلك نصلِّي ونقول: "لا يكن موتٌ لعبيدك، بل انتقال"؛ لأن الذي مات عنَّا، رَفَعَ الحكمَ عن كلِّ البشر، وعندما أُبيد الموتُ في جسد الرب، لم يعد هذا الجسدُ خاضعاً للفساد والتقسيم، بل حيَّاً حياةً إلهيةً لا تأخذ من عناصر الكون، أي الماء والهواء والطعام والشراب، ما يعطي لها الحياة، بل صار لاهوتُ الكلمة هو مصدرَ حياة الناسوت بعد القيامة. وصار "تنَفسُ الحياةِ" (تك ٢: ٧)، هو الذي يحرِّكُ الناسوت ويحييه. وصارت القوةُ العاقلةُ هي طعامَ وشرابَ الناسوت، وصار المجدُ هو رداءَ الناسوت، وظَلَّ مع هذا (التحول)، إنساناً لا يفنى بسبب الاتحاد؛ لأنه صار أيقونة *Icon* الحياة الجديدة التي سوف (نتحول) نحن إليها عندما نقوم في اليوم الأخير.

١٣- لكن ملامحَ هذا الاتحاد، تُشرِقُ فينا؛ لأننا نتحول وننمو صاعدين نحو الحياة المجيدة، إذ نرى، وبالرؤيا، نختار ونريد تاركين القديم، أي الإنسان القديم الفاسد، ونلبسُ الجديدَ في يسوع المسيح، والذي نأخذه كاملاً في السر المجيد (الإفخارستيا) سِرِّ الاتحاد الفائق غير الخاضع للفساد والموت؛ لأنه دواءُ الخلودِ، وعربونُ القيامة، وطعامُ الحياة الأبدية الذي يعطي لنا عدمَ الفساد داخلياً في نفوسنا إلى أن ينقلَ الربُّ يسوع هذا لأجسادنا في اليوم الأخير عندما نقوم مثله.

ماذا تعني عبارة "نصير مثله"؟

١٤- هي لا تفيد التحول لكي نصبحَ مثل الابن الوحيد؛ لأن الذي يفصلُنا عن الابن الوحيد هو جوهرُ الأُلوهة والأزلية، وهما معاً، لا وجود لهما في أيِّ مخلوقٍ. **وعندما يحلُّ ويسكن فينا الثالوث، فهذا لا ينقل إلينا جوهر الله، وإنما ينقلنا نحن كبشرٍ إلى الحياة الإلهية؛ لأن وجود جوهر اللاهوت فينا، لا يحولنا، فهو لا يسكن فينا لكي يحولنا إليه، بل يسكن فينا لكي نحيا به بشراً متألِّهين بالنعمة. هو ليس متألهاً؛ لأنه**

إلهٌ. وحتى تألُّه ناسوت الرب، وهو ما نصير نحن إليه، لا يجعلنا آلهةً مثل الابن الوحيد، أو مثل الروح القدس، بل ينقل أصلنا من العدمِ الذي جئنا منه إلى الحياة التي لا عدمَ فيها، بل الخلود؛ لأنها حياةٌ إلهيةٌ وَصَلَت إلينا بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت في ربنا يسوع المسيح، ومع ذلك، تظل إنسانيةً؛ لأن العدم لم يعد ملتصقاً بها، بل الحياة الإلهية هي ينبوع كل نعمة، وهي تسكبُ النِّعَمَ المتنوعةَ من أجل بقاء الإنسان في شركة دائمة أبدية حيَّة مجيدة. هذه هي الملامح الأولى للحياة الجديدة التي أخذناها من ربنا يسوع المسيح، وهي تُوهَب لنا في السرائر الكنسية.

توزيع الجسد والدم على المتناولين:

١٥- السِّرُّ المجيدُ، هو الخبزُ الحي النازل **من فوق من عند الآب (يوحنا ٦: ٣٣، ٥٠)، وهو عطيةٌ سمائيةٌ؛ لأنه جسدُ ودمُ ربنا يسوع. من فوق، أي ليس أرضياً؛ لأنه كما أنه حُبِلَ به في أحشاء أُم النور والدة الإله، ووحَّده بلاهوته، فنقلَ أصله من آدم إلى أُقنومه، هكذا أيضاً الخبز والخمر، وهما من ثمرات الأرض، ينقلهما الروح القدس من الأصل الأول، أي الأرض إلى الأصل الجديد، أي الحياة الإلهية المتجسِّدة؛ لأن الروح الذي كوَّن جسد الكلمة هو ذاته الفاعل ⲉϥⲉⲣⲉ̀ⲛⲉⲣⲅⲓⲛ في الإفخارستيا، إذ ينقل الخبز والخمر إلى تدبير الكلمة المتجسد؛** لأنه لهذا السبب عينه، مُسِحَ الرب يسوع، فصار "المسيحُ" حاملاً في كيانه الإلهي المتجسِّد مِسحة الروح القدس، الذي يوهَب لنا؛ لأننا بذات الروح، نقبلُ الجسدَ والدمَ، وبذات الروح نستدعي الروح على الخبز والخمر، وهو الذي يكشف لنا أن ما نقدِّمه نحن الترابيون، قد صار سمائياً؛ لأن التجسُّد والصَّلب والقيامة والصعود فتَحَ ينبوعَ التقديس يوم العنصرة، فوحَّد السماء والأرض. **فالتجسُّدُ هو الاتحاد، والصَّلبُ هو إبادة الموت، والقيامةُ هي الخلود، والصعودُ هو دخول الطبيعة الجديدة ليسوع إلى "حضرة الآب"، والعنصرةُ هو انتقال كل هذه إلينا نحن؛ لكي يصير لنا شركةً حيَّةً أبديةً مجيدةً، أي كمال التدبير.**

١٦- الذي جَلَسَ مع تلاميذِهِ القديسين في العلية، هو نفسُهُ الجالسُ عن يمين الآب، وهو نفسُهُ القائمُ عند كلِّ مذبحٍ يوزِّعُ جسده ودمه على المؤمنين؛ لأنه

اجتمع مع الكل، التلاميذ، ثم الكنيسة لكي يكون ربَّاً وفادياً وواهبَ الحياة للكلِّ، وكما وزَّعَ جسده بيديه الطاهرتين اللتين بلا عيب في العلية، هو يوزِّعُ بنفس اليدين، جسده ودمه على الكلِّ في كل (أرجاء) المسكونة، حيث مذابح الخدمة التي هي في الحقيقة مذبحاً واحداً؛ لأنه لا يوجد تفرقٌ وانقسامٌ في عطاء المحبة. وحيث نرى الساعات والأيام والأماكن متفرقة حسب النظر (الطبيعي)، فهي ليست كذلك حسب التدبير؛ لأن ما يفصل (أبعاد) الزمان من أيام وساعات، هو حسب ترتيب الخليقة الأولى، أمَّا حسب التدبير الخاص بالخلقة الجديدة، فإن الأيام والساعات والأماكن هي مؤتلفة موحَّدة حسب عمل الكلمة ابن الله خالق كل الدهور. إذا أدركنا ذلك، استطعنا بنفس النظر (الإدراك) الروحي، أنْ نرى أنَّ الميلاد من بيت لحم، والختان في اليوم الثامن، وبعد ذلك المعمودية، كانت إعدادَ القربان السماوي، أي جسد ابن الله؛ لكي يُبيد موانع الشركة، ولكي يتم طريق التطهير بالانتصار على الشيطان في البرية، واستنارةِ الخليقة بالتعليم، واستعلانِ قوة التجديد في علامات الدهر الآتي، أي قيامة لعازر، وابن الأرملة، وإكثارِ الخبز والسمك، والسيرِ على المياه، وردِّ البصرِ للعميان، وطردِ الأرواح النجسة، وتحريرِ الإنسانية من فرائض الشريعة. وبعد أن تم كل هذا، قدَّم الربُّ جسده على الصليب، لكي يكسرَ شوكة الموت، ويرفعَ حكم الدينونة، ويردَّ الحياةَ بالقيامة، ويقودَ الإنسانيةَ إلى السماء بالصعود، ومن السماءِ، يرسل علينا الباركليت روح الآب (يوحنا ١٥: ٢٦)؛ **لكي يجمع الروح ما جَمَعَه الابنُ المتجسِّد في حياته وكيانه وتعليمه وميلاده وموته وقيامته؛ لأن عملَ الروحِ مُتَّحدٌ في الغاية وفي الإرادة مع عمل الابن والآب؛ لأن للثالوث الواحد، إرادةً واحدةً، وتدبيراً واحداً بلا فواصل زمانية، فلا زمانَ في الثالوث رغم عمل الثالوث في الزمان، ولا توجد فواصل تفصل الميلاد عن المعمودية؛ لأن الربَّ واحدٌ، ولا يوجد ما يفصل الصليب عن القيامة؛ لأن المخلِّصَ واحدٌ، ولا ينقسم الروح**[1] **القدس إلى عطايا عندما يوزِّع عطايا الحياة الجديدة؛ لأنه الربُّ الواحد الذي يعمل الكل** (١كور ١٢: ٦).

(١) ويجب أن نضيف إلى عبارة الأب صفرونيوس أن مواهب الروح القدس هي أعمال الروح القدس، التي لا تُقسِّم الكنيسة ولا تقسِّم الروح؛ لأن التقسيم والفصل جاء مع الخطية والموت. والحلول المواهبي هي آخر بدعة تحارب الروح القدس نفسه، وقد ألحق القائلون بها أنفسهم بموكب مقدونيوس الذي سُمِّيَ في التاريخ الكنسي بـ"عدو الروح القدس".

عدم فساد ناسوت الرب يسوع المسيح:

١٧- في الزمان الحاضر، حيث الخليقة الأولى لا تزال قائمةً تَمُرُّ بالمخاضِ في انتظار التجديد (رو ٨: ٢٢)، فإن إعادة خلق القديم تمَّت كاملةً، ولكن كمال الخلق هو بالقيامة، كما أن كمال الخلق الأول هو نضوج الطفل لكي يصير رجلاً. هكذا كمال الخلق الجديد، هو نضوج الجديد لكي يقومَ كاملاً بعدم فساد، أي قيامة الكل التي صار لها بداية بقيامة الرب يسوع المسيح "البِكر" و"المتقدِّم" علينا في كل شيء.

ولمَّا صُلِبَ الربُّ يسوع لم يُكسَر عظمٌ منه (يوحنا ١٩: ٣٦). وعندما مات ودُفِنَ لم يرَ فساداً (أع ٢: ٢٧، ٣١)، فقد جاء لكي يقهر الفساد ويُبيد الموت؛ لذلك يدخل عدم الفساد الخاص بالخلق الجديد في فساد الخليقة الأولى مثل الخميرة التي تخمِّر العجين. ولذلك، حسب النظر (الطبيعي)، نرى تقسيم الجسد، ورشم الجسد بالدم حسب التسليم، وتوزيع الجسد والدم على المتناولين كلٍّ على حدة، وكلُّ هذا حسب النظر (الطبيعي)، أي ما تراه العيون، ولكن الرؤيا التي يعطيها الروح القدس للمؤمنين هي ليست في تقسيم وتوزيع، بل هي في رشم الجسد بالدم؛ لأن ختم الصليب هو ختم العطاء الإلهي. ولا انقسامَ في العطية؛ لأن العطية والواهب هما واحدٌ: الابنُ والروح القدس. **وتقسيم الجسد هو فرز ميراث كل مؤمن، وهو ذات الميراث الواحد الذي لا يُحسَب شكلاً أو كماً، بل حسب العطاء الأبدي، هو ميراثٌ واحدٌ لكل المتناولين؛ لأن المسيحَ واحدٌ لا ينقسم، ولأن غاية توزيع جسد الرب ودمه، هو أن تصبح الكنيسةُ واحدةً بلا انقسام، ولكي تنال الشفاء من جراح الخطايا.**

هل بعد كل هذا، يمكن أن نعود إلى ما جاءت به الخطية، وما حَبِلَ به الموت نفسه من تقسيمٍ وفساد، لكي نرى بعيون الموت والخطية، هباتَ الله لنا؟ وهل بما فَسَدَ فينا من قوى الإدراك والنظر (الفهم)، نرى الرب يسوع نفسه، ونحسبه إنساناً مثلنا؛ لأنه تجسَّد وصار في هيئة البشر (فيلبي ٢: ٦)، ولا ندرك أنه جاء إلينا لكي يحولنا نحن إليه، لا لكي يتحول هو إلينا، ويصبح مثلنا؟

لذلك، علينا أن نكون حكماء مع الذين لم يفهموا التدبير، وأن نشرح التعليم الرسولي واضعين له الأساس الذي سُلِّمَ إلينا لكي ينير روح يسوع قلوبَ غير الفاهمين، ولكي لا يكونوا بعد جسدانيين، أي يأخذون (مقاييس) الحياة الأولى التي خَضَعَت للفساد والانحلال، لكي يجعلوها حُلةً ولباساً للحياة الجديدة، وبذلك يفقدون الاثنين معاً الأولى والجديدة؛ لأن الخمرَ الجديد في الزقاق القديم يجعله ينشق، والرقعةَ الجديدة في الثوب القديم تُفسِد الثوب القديم، كما قال الربُّ معلِّمُ الحكمة الحقيقة (راجع مت ٩: ١٧).

زمان القيامة:

١٨- لقد قَبِلنا الموتَ، ليس موت الخطية، بل موت الصليب، أي "الموت عن الخطية" (رو ٦: ١)، وهو ذات موتُ يسوع نفسه الذي مات ولم ينكر أنه ابن الله، بل "اعترف الاعتراف الحسن" (١تيمو ٦: ١٣)، ولم يستسلم لظلمة الكراهية؛ لأنها ذات ظلمة الشيطان، ولا للعداوة لأن العداوةَ غريبةٌ على الله (١يوحنا ٢: ٩)، ولا عاشَ لأجل ذاته فقط، بل جعلَ حياته لأجل غيره، وهو الذي لم يطلب حياته لكي يحفظها لنفسه، بل قدَّمها، فوجدها فيه وفي الآب وفي الروح القدس وفي الآخرين؛ لأن حبة الحِنطَةِ متى وقعت في الأرض وماتت، لم تعد حبةُ حنطةٍ، بل صارت ذات ثمر وفير (راجع يوحنا ١٢: ٢٤).

نحن، لذلك السبب، لا نُرضي ما يجول في قلوبنا، **ولا نعتبر الأفكارَ أساسَ حياتنا، بل الرب يسوع هو حياتنا كلها هنا وفي الدهر الآتي.** وإن جاءت علينا أفكارٌ سابقةٌ من ذاكرةٍ قديمة، فهي بلا قيمة؛ لأن الماضي ليس له فائدة عندنا، حتى لو كان مقدساً بريئاً؛ لأن أبينا العظيم أنطونيوس كان يرى كلَّ يومٍ بدايةً جديدةً، وكان يقول: "حيٌّ هو الربُّ الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم"[1].

نحن أحياءٌ، ليس بما لدينا من أفكار، بل بما لدينا من محبة. ونحن أقوياءٌ، ليس بسبب النُّسك، ولكن لأن ثقتنا في ربِّ المجدِ أعظمُ بكثيرٍ من ثقتنا بما نعرف ونفهم ونريد، لأننا نحن في الابن.

(١) راجع سيرة الأنبا أنطونيوس، الفقرة ٧.

وعندما نقول إننا في الابن بسبب تجسده، فإننا نعني ثلاثة أشياء:

أولاً: هو رأسُ الكنيسةِ، والوسيطُ الوحيد الذي جَمَعَ في أُقنومه الإلهي، ووحَّد به، الطبيعةَ الإنسانيةَ التي أخذها من والدة الإله.

ثانياً: أن لنا وجوداً دائماً (في الابن بالروح القدس)، لا يمكن أن تفصله الخطية؛ لأنه وجودٌ حسب اتحادٍ إلهيٍّ بالناسوت (في يسوع المسيح)، وليس حسبَ إرادةِ وقدرةِ الطبيعةِ الإنسانية للمؤمنين، بل هو حسب قدرة ومحبة الطبيعة الإلهية التي جعلت الناسوت واحداً مع اللاهوت بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

ثالثاً: إن وجودَنا نحن في الابن هو وجودٌ حسب النعمة، وهو وجودٌ حقيقيٌّ لا انفصالَ فيه؛ لأنه لا انفصالَ بين الناسوت واللاهوت في الابن، وهو ما سوف يُعلَن كاملاً فينا في اليوم الأخير؛ لأننا سنكون مثل المسيح، أي مثل اتحاد اللاهوت والناسوت فيه، حسب التسليم الرسولي: "أيها الأحباء نحن الآن أولاد الله (أي لنا نعمة التبني في المسيح)، ولم يظهر بعد ماذا سنكون (لأننا لم ندرك بعد حقيقة اتحاد اللاهوت بالناسوت)، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر (أي في اليوم الأخير)، نكون مثله (أي مثل اتحاد لاهوته بالناسوت) لأننا سنراه كما هو (أي سنرى المجد الخفي فينا الذي سيُعلَن، والذي لا يمكن للزمان الحاضر أن يعلِنه؛ لأنه عاجزٌ عن استيعاب قوة ومجد ومحبة المسيح فينا)" (١ يو ٣: ٢).

اتحاد اللاهوت بالناسوت في رب المجد:

١٩- لم يتَّحد ربُّ المجدِ بطبيعة البشر من أجل احتياجٍ خاصٍّ به، ولكن كما نقول في الأمانة المقدسة: "هذا الذي لأجلنا نحن البشر، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم". وتجسُّدُ الربِّ لأجلنا جاء بالاتحاد بين الله والإنسان، وهو ما أنشده رسول الرب القديس بولس: "مَن يفصلنا عن محبة الله التي لنا في المسيح"، **وبعد أن عدَّد الرسول كل ما في الخليقة المنظورة وغير المنظورة، قدَّم لنا بشارة الخلاص باستحالة الانفصال عن الرب، ليس بسبب أعمالنا، ولكن بسبب قوة الاتحاد التي جاء بها الابن له المجد، فهو اتحادٌ مع**

الآب في الابن بالروح القدس، حيث لا مجالَ للأعمال، بل لنعمة الله. ومع أن الاتحاد الأقنومي هو خاصٌّ بالابن، إلَّا أن ما يخصّنا نحن، هو الاتحاد نفسه، حيث لا يوجد موت أو فساد أو افتراق، بل مجد وحياة وشركة. وكما وَحَّدَ الربُّ ناسوته مع أُقنومه الإلهي، هكذا سوف يوحِّدنا نحن بأُقنومِهِ الإلهي ليكون هو الكرمة ونحن الأغصان (يوحنا ١٥: ١ – ٢)، وهو الرأس الذي منه كل الأعضاء، وبذلك نصلُ إلى ملء تجسد ابن الله، أي الإنسان الكامل المخلوق من جديد حسب الله.

(يبدو أن النصَّ غير كامل؛ لأن الرسالة بدون خاتمة).